

من الشرق والغرب



قضايا دولية

بقلم: هـ. مونتجومري هاييد

بالاشتراك مع: چون هـ. كيش

ترجمة

مصطفى حسنى

مراجعة وتقديم

حمدي حافيظ



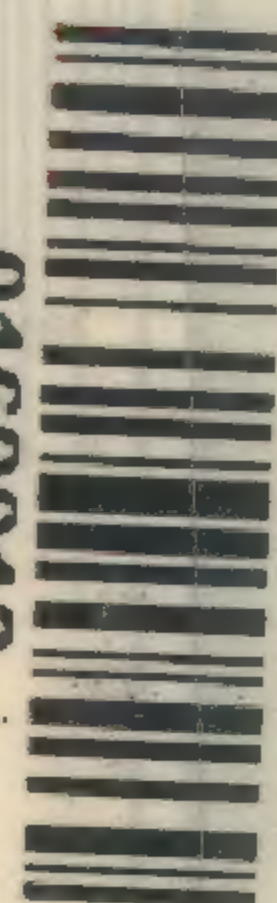
H. MONTGOMERY
HYDE
with
JOHN H. KISCH

**an
international**

**CASEBOOK
OF CRIME**

Chessman	Powers
Messina	Hume
Dominici	Jelke
Lonsdale	Muller
Mazurkiewicz	Abel

0169012



Bibliotheca Alexandrina



قضايا دولية

بقيام
هـ . مونتهجومري هـ - سايد
بالإشتراك مع
چون هـ . كيش

ترجمة
مصطفى حسني
مراجعة وتقديم
حمدي حافظ

تقديم

يتضمن هذا الكتاب ، الذى أصدرته دار « بارى وروكليف » للنشر فى لندن ، عشر قضايا جنائية هامة ، اكتسبت صفة دولية واستحوذت على اهتمام الرأى العام العالمى لأسباب ودوافع متباينة ، تختلف باختلاف نوع الجريمة ومسرحها .

وقد اختار الكاتب الجنائى البريطانى الشهير - مونتجومرى هايد - القضايا العشر من بين أهم المحاكمات التى أحدثت ضجة عالمية فى السنوات الأخيرة ، وحرص فى اختيارها على أن تمثل هذه القضايا - حسب تعبير المؤلف - ٠٠ قطاعا شاملا لجميع أنواع الجرائم الدولية المعاصرة ٠٠ ولذلك ، شمل هذا الاختيار ثلاث قضايا خاصة بالتجسس ، وأربع جرائم قتل ، وجريمتين من جرائم الاتجار بالعرض أو « التجارة بالرقيق الأبيض » حسب قول البعض ، وقضية اختطاف مصحوب بالسرقة ومحاولة الاعتداء ٠٠ وكما اهتم المؤلف باختيار نوع الجرائم أو القضايا التى ضمنها كتابه ، عنى أيضا باختيار مسرح الجريمة ومكان المحاكمة ، فتمكن بذلك من أن يعكس بصورة متكاملة لجانبى القضايا - الجريمة والعقاب - فى سبع دول مختلفة ، هى : الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وسويسرا وفرنسا وألمانيا ، من البلاد الغربية ، وكذلك الاتحاد السوفيتى وبولندا ، من بلاد المعسكر الشرقى .

وتختلف جريمة التجسس عن غيرها من الجرائم ،
بان العمل الذى تعتبره الدولة التى يتم التجسس
حسابها عملا وطنيا جليلا ، يعتبر فى الوقت نفسه
جريمة من جرائم الخيانة التى يؤخذ فيها المتهم بأشد
العقوبات وأقساها فى الدول التى يرتكب العمل ضدها
•• وعلى الرغم من أن جميع الدول تصرف مصروفات
باهظة على أجهزة تخابراتها السرية ، وأجهزة مكافحة
الجاسوسية ، فقد جرى العرف الدولى على اعدام
الجواسيس - عموما - فى زمن الحرب ، فى حين تجيز
قوانين بعض الدول - ومن بينها الولايات المتحدة
الأمريكية ودول المعسكر الشرقى - توقيع عقوبة الاعدام
على الجواسيس حتى فى زمن السلم • ومن الأمثلة
المشهورة على ذلك حكم الاعدام الذى أصدره القاضى
الأمريكى ايرفينج كوفمان ضد الجاسوسين جوليو وس
وايثيل روزنبرج فى عام ١٩٥١ بعد ادانتهم فى قضية
بيع أسرار القنبلة الذرية الى الاتحاد السوفيتى ، وقال
القاضى كوفمان فى حيثيات الحكم : « ان أعمال
الجاسوسية التى تكشف عنها هذه القضية تتصف بطابع
الخسة والقذارة ، مهما حاول مرتكبوها تبريرها بدوافع
عقائدية ، وذلك لأنها تنطوى على حقيقة هامة تعجب
كل ما عداها ••• وهى خيانة الوطن » •

وبالرغم من أن قانون الأسرار الرسمية فى
بريطانيا يحدد أقصى عقوبة للجرائم التجسس فى زمن
السلم بالسجن لمدة لا تزيد على ١٤ عاما إلا أن هذه
العقوبة تزيد زيادة كبيرة بالنسبة للمتهمين بأكثر من
عمل واحد من أعمال التجسس •• ومثال ذلك الحكم
الذى أصدره كبير القضاة فى انجلترا عام ١٩٦١ على
الجاسوس البريطانى جورج بلاك الذى وجهت اليه عدة
اتهامات بشأن افشاء معلومات سرية هامة الى الاتحاد
السوفيتى ، وقد أدانته كبير القضاة فى ثلاث من التهم
الموجهة اليه وحكم عليه فى كل تهمة منها بالسجن لمدة
متفاوتة ، بلغ مجموعها اثنين وأربعين عاما (ويعتبر
هذا الحكم أقصى حكم نطق به القضاء البريطانى فى هذا

القرن ، خاصة اذا علمنا أن المحكوم عليهم بالسجن المؤبد فى بريطانيا قلما يقضون أكثر من اثنى عشر عاما فى السجن) . .

وقد أصبحت جرائم التجسس فى يومنا هذا أكثر تعقيدا مما كانت عليه فى العهود الماضية . . اذ كان الجاسوس يعمل فى الماضى بدافع الأخلاقى . . . هو المال . أما اليوم فاننا نجد أن المواطن الشيوعى فى الدول الغربية - مثلا - لا يتردد فى خيانة بلاده وافشاء أسرارها دون أن يحقق أى كسب مادى لنفسه . . وقد تبين هذا فى كثير من قضايا الجاسوسية الهامة ، مثل قضية آل روزنبرج فى أمريكا ، وقضية جاى بيرجيس ورونالد ماكلين من رجال وزارة الخارجية البريطانية اللذين فرا الى الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٥١ عندما شعرا بأن أجهزة مكافحة الجاسوسية فى بريطانيا بدأت تتعقبهما .

ومع هذا ، فإن العالم لا يعلم كثيرا عن عمليات المخابرات السرية التى تقوم بها الدول الغربية ، حيث تحاط هذه العمليات بستار كثيف من الكتمان . . ويرتفع هذا الستار قليلا بين الحين والحين عندما يختل تنفيذ احدى تلك العمليات وتعرض للفشل مثلما حدث فى قضية «الرجل الضفدع» - كوماندر ليونيل كراب - الذى كلف بالفوص سرا تحت الماء فى ميناء بورتسموث للكشف عن طبيعة السفن الروسية التى حملت المارشال بولجانين ونيكيتا خروشوف فى زيارتهما الرسمية الى بريطانيا عام ١٩٥٦ . . وقد عزت السلطات البريطانية اختفاء «الرجل الضفدع» فى ذلك الحين الى احتمال مصرعه وغرقه أثناء تادية مهمته ، خاصة بعد العثور على جثة لرجل بدون رأس ، ترتدى ملابس الرجل الضفدع فى خليج بورتسموث . . ولكن ، تبين فيما بعد ، أن الرجل الضفدع ، قد وقع أسيرا فى أيدي الروس الذين دبروا القاء الجثة التى تم العثور عليها فى البحر ، وأبحرت السفن الروسية عائدة الى الاتحاد السوفيتى وعلى ظهرها الكوماندر كراب الذى بدأ يعمل فى خدمة الحكومة السوفيتية منذ ذلك الحين .

وكان حادث اسقاط طائرة التجسس الامريكية
« ي - ٢ » بقيادة الكابتن فرانسيس جراى باورز فوق
الاتحاد السوفييتى عام ١٩٦٠ من أخطر حوادث
التجسس التى أثارت ضجة عالمية كبرى فى الآونة
الاخيرة + وقد استغل الاتحاد السوفييتى محاكمة باورز
العلنية استغلالا بارعا « حسب قول المؤلف الذى حضر
هذه المحاكمة فى موسكو وبعث بأنبائها الى صحيفة
الهنداى تايمز اللندنية » +

واختار المؤلف من قضايا التجسس السوفيتية
قضية جوردون الونزديل المتهم ببيع أسرار القاعدة
البحرية البريطانية فى بورتسموث وقضية الكولونيل
رودولف آيل فى الولايات المتحدة الذى تم تبادله مع
الكابتن فرانسيس باورز بالاتفاق بين الحكومتين
الامريكية والسوفيتية فى فبراير عام ١٩٦٢ +

وقد وقع اختيار المؤلف على هاتين القضيتين
بالذات لما تلقيناه من ضوء على الأساليب التى تتبعها
المخابرات السرية السوفيتية فى ممارسة نشاطها فى
أكبر دولتين فى الغرب ، وكذلك لوجود رابطة خفية
كشفت عنها التحقيق بين القضيتين ، اذ وجدت فى حوزة
أحد المتهمين فى قضية أسرار البحرية البريطانية صورة
فوتوغرافية للكولونيل آيل له عند اللقاء القبض عليه +

وتختلف قضايا التجسس السوفيتية اختلافا
جوهريا عن قضايا التجسس الغربية وذلك فى أن
الحكومة الأمريكية - مثلا - بعد محاولات التنصل التى
عمدت اليها فى بداية الأمر ، عادت واعترفت بمسئوليتها
الكاملة عن حادث الطائرة « ي - ٢ » ، وكذلك الحال
بالنسبة للقضية الرجل الضفدع التى أثرت فى مجلس
العموم البريطانى وبسبب إخراجا شديدا لحكومة أنطونى
ايدن فى ذلك الحين ، أما الحكومة السوفيتية فقد أصرت
دائما - وبدون أى استثناء - على انكار أية صلة لها
بالجواسيس السوفيت الذين شاء حظهم العاثر أن
يقعوا فى قبضة « الأعداء » +

أما فيما يتعلق بأنواع الجرائم الأخرى التى تضمنها

الكتاب فقد كان لجرائم « القتل » نصيب الأسد ، اذ
أورد المؤلف منها أربع جرائم ، اختارها لأنها تمثل أكثر
الدوافع شيوعا لجرائم القتل ، وهى : الغيرة ، والخوف ،
والطمع . واقدام المجرم على ارتكاب جريمة القتل بدون
تدبير سابق أثناء ارتكابه لجريمة أخرى . . . ومن بين
هذه القضايا قضية المجرم البريطانى دونالد هيوم
الذى حوكم أمام محكمة زيوريخ الجنائية لاقدامه على
قتل سائق تاكسى أثناء فراره ، بعد قيامه بالسطو على
أحد البنوك فى سويسرا وهى قضية فريدة فى نوعها
لأن القاتل سبق أن حوكم بتهمة القتل أمام المحاكم
البريطانية التى برأت ساحته لعدم كفاية الأدلة ، ولكن
هيوم اعترف بعد ذلك على صفحات الجرائد بارتكابه
الجريمة التى برأته المحكمة منها مطمئنا الى بعده عن
طائلة القانون البريطانى الذى لا يجيز محاكمة المتهم
مرتين على جريمة واحدة . . . وهنا تتضح بعض نقاط
الاختلاف الجوهرية فى التشريعات الجنائية المعمول بها
فى بريطانيا وفى بقية الدول الأوروبية ، فالقانون
السويسرى يعتبر اعتراف المجرم بارتكاب الجريمة بعد
تبرئته منها مبررا لقيام الدولة باستئناف الحكم وإعادة
محاكمته . . . كما قرر القاضى السويسرى فى هذه
القضية مبدأ قانونيا جديدا من نوعه فى مثل هذه
الجرائم ، وهو مبدأ « التعويض » ، اذ حكم بأن تدفع
جميع الأموال التى حصل عليها المتهم فى السجن ،
- نظير نشر مقالاته فى الصحف ونظير عمله فى
السجن - الزوجة القتل وأولاده .

أما القضيتان الألمانية والفرنسية اللتان اختارهما
المؤلف ، فكلاهما يتميزان بالغموض الشديد الذى احاط
بظروفيهما ، فبالرغم من ادانة المتهمين فى كل منهما ،
الا أن المتابع لظروف القضيتين لايسعه فى النهاية سوى
أن يتساءل فى قرارة نفسه : هل حكم المحكمة
كان عادلا فى الحالتين ؟ . وتختلف قضية القتل الرابعة
عن هاتين القضيتين فى أنه لا توجد أية ذرة من الشك
فى ادانة المجرم البولندى فلاديسلاف مازوركيفتش فى
ارتكابه ست جرائم قتل . . . وشروعه فى جريمتين

آخرين . ووجه الغرابة فى هذه القضية هو أن اختفاء ضحايا المجرم الستة ، واحدا تلو الآخر ، لم يثر أية غرابة أو تساؤل بين معارفهم الى أن أذيع أمرهم أثنا المحاكمة . .

وتبقى بعد ذلك ، من القضايا العشر ، قضيتا التعيش من أعراض الفتيات ، واحدة منها وقعت فى أمريكا ، والأخرى فى بريطانيا وكلاهما من القضايا الدائعة التى كشفت عن مدى خطورة شبكات الاتجار بالرقيق الأبيض فى هذين البلدين . أما القضية الأخيرة - قضية كاريل تشيسمان - فقد أثارت اهتمام العالم أجمع حيث ظل المتهم تشيسمان ينتظر تنفيذ الحكم عليه بالاعدام فى أحد سجون كاليفورنيا اثنا عشر عاما ، قام خلالها بمجهودات لم يسبق لها مثيل لالغاء الحكم عليه ، وأوقف اعدامه تسع مرات بأمر المحاكم الأمريكية المختلفة الى أن واجه الموت فى حجرة الغاز بالسجن بعد أن تمكن من كتابة ثلاثة كتب ونشر عدة مقالات فى الصحف عن الحياة فى السجن ، وضعته فى قمة المؤلفين الأمريكيين . . بل ان كتابه بعنوان « الزنزانة رقم ٢٤٥٥ بعنبر الموت » ترجم الى أكثر من عشر لغات وأخرجت عنه هوليوود فيلما سمينها ثيا بالعنوان ، وبلغت أرباح تشيسمان منه ما يربو على المائة ألف دولار .

ولعل حياة هذا المجرم التعس بالذات ، وطفولته النكداء التى كانت سببا فى توجيه ذكائه الخارق ومواهبه الفذة الى النزعات الإجرامية التى قادت الى حجرة الموت بالغاز ، توضح لنا مدى أهمية القراءات التى يتيحها لنا هذا الكاتب فى توضيح الحقيقة الكبرى التى يجب أن يستوعبها المجتمع الانسانى وهى أن المجرمين - مهما اختلفت ظروف المجتمع الذى يعيشون فيه - غالبا ما يكونون هم أنفسهم ضحية المجتمع فى سنيهم المبكرة ، وأن على المجتمع أن يعتمد الى علاجهم وهم فى سن الطفولة، فهذا السن - كما يقول تشيسمان فى أحد كتبه التى كتبها فى السجن - هو الفترة الوحيدة التى يمكن أن يصل فيها المجتمع الى جذور المشكلة الكامنة فى كيان الطفل ، ويسعى الى تقويمه .

حمدي حافظ

الفصل الأول

تشميسمان - كيف عاش ١٢ عاما بعد ادانته !!؟

- ٩ -

هناك تقليد قديم ، لم يفسر رسميا حتى الآن وهو يقضى بأن تنفيذ أحكام الاعدام بغرفة الغاز فى سجن سان كونتين بكاليفورنيا صباح يوم الجمعة فقط، ولذلك تعتبر عملية الاعدام بالغاز التى تمت بعد الساعة العاشرة صباحا بقليل يوم الاثنين ٢٨ من مايو سنة ١٩٦٠ حالة استثنائية . كما أنها كانت حالة الاعدام الوحيدة التى أحيطت بضجة دعائية كبرى فى ولاية كاليفورنيا . أما بالنسبة للضحية ، كاريل تشيسمان ، فيمكن اعتباره أفظع مجرم فى العصر الحديث ، فقد حكم عليه بالاعدام فى يونية سنة ١٩٤٨ ولكنه استطاع البقاء على قيد الحياة اثنى عشر عاما ظل يناضل خلالها فى معركته الباسلة ، ولكنها كانت الخاسرة من أجل البقاء ، وهو قابع بزنزانته فى « عنبر الموت » بسجن سان كونتينى .

فى عام ١٩٥٧ زرت هذا السجن حيث رأيت غرفة الغاز ، وهى غرفة ذات نوافذ من الزجاج ، يجلس فيها المحكوم عليه بالاعدام فوق مقعد يقيد اليه باحزمة . وقد ثبتت بدعائم المقعد أوعية للخلط ، وأقماع وقفازات من المطاط ، وصابون ، وملقط ، ومقص ، ومنشفة ، بالإضافة الى حبوب « سيانيد الصوديوم وحامض الكبريتيك » وتبلغ نفقات تشغيل هذه الأدوات البشعة نحو ١٥٠ دولارا ، أى أكثر من خمسين جنيها كلما استخدم هذا الجهاز . و « عنبر » الاعدام الذى توجد فيه غرفة الغاز يتسع لنحو ستين شخصا يشاهدون عملية التنفيذ بدعوة يرسلها اليهم مدير السجن ليكونوا شهودا . ولقد رأيت لافتة على أحد الأبواب مكتوبا عليها بحروف كبيرة : « ممنوع التدخين » .

وانتهى بى المطاف فى السجن الى « عنبر الموت » حيث سمح لى

بمقابلة تشيسمان والتحدث اليه ، وكان هذا بالنسبة لشخص أجنبي امتيازًا استثنائيًا لا يملك حق منحه حتى مدير السجن ، ولذلك حصلت على الترخيص للقيام بهذه الزيارة غير العادية من مدير عام السجن بسكارامنتو . ويتكون «صف الموت» من «دهليز» طويل تفتح عليه أبواب خمس وعشرين زنزانية في الطابق الاول ويشكل جناحا فرضت عليه حراسة مشددة وهو منفصل عن بقية السجن ، كما انه يقع فوق غرفة الغاز مباشرة ويتصل بها بسلم خاص . ولقد قال تشيسمان لى : انه منذ أدخل « صف الموت » رأى ستة وسبعين رجلا يمرون من أمام زنزانتة في اتجاه السلم المؤدى الى غرفة الاعدام التي يطلق عليها اسم « الغرفة الخضراء » ولكن أحدا منهم لم يعد حتى الآن .

وكان تشيسمان رجلا نحيفا أسمر الوجه ، له شفتان غليظتان ، وعينان نفاذتان ، وتبين لى أنه حاد الذكاء واسع الادراك . وقد حدثنى عن الكتب الثلاثة التي وضعها فى أثناء وجوده بالسجن عن نفسه وعن حياته المنحرفة ، أولها كتاب « الزنزانية ٢٤٥٥ بعنبر الموت » وكان أكثر كتبه بيعا ، وقد ترجم الى تسع لغات أجنبية من بينها اللغة اليابانية ، وقد در عليه أكثر من مائة ألف دولار وحقوق التمثيل السينمائي .

ومن بين الأدوات الشخصية القليلة التي يسمح للمجرم المحكوم باعدامه بالاحتفاظ بها ، صورة فوتوغرافية لغرفة الغاز ، وحينما اطلعنى تشيسمان عليها قال انه يخرجها بين حين وحين ويتأملها كلما هبطت جهوده الأدبية أو شعر بحاجة الى « الالهام » !

ولم يكن تشيسمان كمجرم محكوم عليه بالاعدام مجردا من العبقرية، فبعد أن أتم كتابه الثانى « التجربة بالحنة » ونشر ، حظرت السلطات عليه وضع أية كتب أخرى ، وانما سمحت له فقط بكتابة المذكرات المتعلقة باستئناف الحكم وطلبات وقف تنفيذه . ولذلك سمح له بالاحتفاظ بآلته الكاتبة وأوراق الكتابة عليها فى زنزانتة ، وكانت هذه الأوراق تفحص كل يوم بدقة بحثا عن أية مادة مكتوبة لا تتعلق بقضيته .

ومع ذلك فقد نجح فى كتابة كتاب من ٢٧٠ صفحة من غير أن يضبطه المسئولون ، ولقد صارحنى بالطريقة التي وضع بها كتابه ، واحترمت رغبته فلم أعلنها الا بعد اعدامه .

قال أنه كان يضع مسودة تقريبية لعمل اليوم، بالاختزال، ويضيف عبارات قانونية أحيانا الى الكتابة المطولة بغية ابعاد الريبة اذا اكتشفت المذكرات المكتوبة بالاختزال فى أثناء دورات تفتيش الزنزانية . وبمجرد

نقل المذكرات على الآلة الكاتبة ، كان يتخلص منها بوضعها في «المرحاض» الذي في زنزانته . أما فيما يتعلق بالكتابة على الآلة الكاتبة فقد وقع على اكتشاف هام . اذ تبين له أن رفع شريط الكتابة من الآلة وعدم الضرب بقوة على الحروف يمكنه من احداث أثر لهذه الحروف على ورق الكربون . ولكن الكتابة لاتقرأ الا اذا عرضت للضوء القوي . وبهذه الطريقة استطاع اكمال مسودة كتابه ، وكان يضع هذه المسودات بين أوراق الكربون الجديدة . ومع أن الحراس كانوا يفتشون علب هذا الكربون فانهم لم يرتابوا في أمر المكتوب منها . ولما أتم السجين مسودة كتابه هربها الى الناشرين وصدر الكتاب بعنوان « وجه العدالة » .

وفي خلال السنوات التي أقامها تشيسمان في « عنبر الموت » أبدى مقدرة فائقة ككاتب ذي أسلوب رائع في الوصف ، ففي كتابه « الزنزانة ٢٤٥٥ بعنبر الموت » وصف تشيسمان كيف أن أحد زملائه المحكوم عليهم بالاعدام ، وقد أطلق عليه « الأحمر الكبير » قد واجه نهايته في غرفة الغاز ، فقال :

الساعة ١٠ر٠٢ ، خرج الحراس على عجل ، وأدار أحدهم العجلة التي تغلق باب الغرفة بأحكام شديد ، وحملق الشهود الرسميون في «الأحمر الكبير» من خلال النوافذ السميكة الزجاج لمراقبة ما يجري بداخل غرفة الموت .

كان وجهه قناعا خاليا من كل تعبير ، وأشار مدير السجن للجلاد ، فاسرع هذا يدير مقابضه .

وسمع « الأحمر الكبير » صوت تساقط « حبات السيانايد » المميّنة في وعاء حمض الكبريتيك الموضوع أسفل مقعده ، وفي التو حدث التفاعل ، اذ تولد غاز الهيدروسيانيك ، وتصاعد الى أعلى ولفه في ضباب غير منظور .

واستنشق « الأحمر الكبير » الغاز مجبرا ، وارتعش أنفه من الرائحة الحادة الحلوة الشبيهة برائحة الكمثرى . وابتلع ملء رئتيه من الأبخرة القاتلة . وبدأت حواسه تخذله ، وتولاه دوار شبيه بالإنماء ، وأخذ شعوره ينحسر مفسحا الطريق أمام الظلام النهائي . وبذل جهدا أخيرا يائسا للتخلص من قيوده . وتحجرت عيناه ، فلم تعودا تبصران ، لأنهما لن تبصرا بعد الآن . وسقط رأسه الى الامام ولكنه لم يشعر بذلك ، فقد سقط بدوره في وهدة معتمة لا قرار لها ، واستمرت عملية القتل عشر

دقائق ، وتشنّج جسمه ، ثم انتفض مرة واثنين وثلاثاً ، وأخذ قلبه يعدو ، ويضرب كالطرقة ، ثم تباطأت حركته رويداً رويداً ، وأخيراً توقف .
ورفع الطبيب الواقف خارج الغرفة (السماعة) من فوق أذنيه ، وأشار الى مدير السجن :

ـ لقد مات (الأحمر الكبير) .

لعل هذه كانت نهاية تشيسمان نفسه دقيقة فدقيقة في ذلك الصباح من شهر مايو سنة ١٩٦٠ باستثناء أن موته استغرق تسع دقائق بدلاً من عشر ، كذلك فانه لولا الخطأ في طلب رقم تليفوني من مكتب أحد قضاة الاتحاد بسان فرانسيسكو ، لكان من المحتمل أن يربأ اعدام تشيسمان تسعة شهور أخرى .

في أثناء وجود تشيسمان على قيد الحياة ، كتب كثير عن هذا المجرم الأديب العبقرى وكان معظم ماكتب عنه في شكل مقالات صحفية ، وكان الاتجاه في معظم الأحوال ينحو الى أكثر من مجرد افتراض أن تشيسمان لم يحكم عليه بالاعدام بطريقة غير قانونية فحسب ، وانما كان بريئاً من الجرائم التي أرسلته أخيراً الى غرفة الغاز ، أما في كاليفورنيا فكان هناك كثيرون يظنون أنه قاتل ، أو يعتقدون ، بأقل تقدير ، أنه دفع بفتاة في السابعة عشرة من العمر الى وهدة الجنون .

ولقد كانت هذه الانطباعات خاطئة خطأ تاماً ، فالمعروف أن تشيسمان لم يقتل أحداً ، وان كان من المرجح أنه كان مذنباً في جميع الجرائم التي اتهم بها ، بما في ذلك جرائم السرقة مع التهديد بالسلاح ، والحطف ، والاغتصاب ، وغيرها من الجرائم الجنسية ضد النساء التي تعتبر انحرافات طبقاً لقانون كاليفورنيا الجنائي ، ومن ناحية أخرى كان من المحقق أنه حوكم بطريقة تنطوي على الافتئات على حقوقه . وأن القانون اعتصر عصراً لادانته . ولا شك في أن بقاءه في إحدى زنزانات سان كوينتين اثني عشر عاماً دليل قاطع على مدى التأثير الذي أحدثته حججه على مختلف المحاكم التي درست هذه الحجج . وليس من شك أيضاً في أن الاشخاص الذين تعودوا على الاجراءات الجنائية البريطانية السريعة ، التي تقضى بوجوب تنفيذ حكم الاعدام في مدى ثلاثة أسابيع من صدور الحكم أو رفض الاستئناف ما لم يتدخل وزير الداخلية في الأمر ويرجيء التنفيذ ، سيدهشون لبطء القانون الأمريكي وما يبدو فيه من غرابة وقسوة . الا أنه من العدل ألا يغيب عن البال أن محاكم الولايات المتحدة أرجأت اعدام تشيسمان في ثماني مناسبات منفصلة لا لأنها تريد تعذيبه ولكن لتأمين

حقوقه القانونية ، والنظر في الالتماسات التي أرسلت بالنيابة عنه أو التي أرسلها هو بدأب واصرار . ومن ثم استطاع تشيسمان أن يحدث تأثيرا كبيرا على شعوب دول كثيرة مثلما أحدث هذا التأثير - وهو في العقد الثاني من عمره - على الشرطة والقضاة والمصلحين الاجتماعيين .

ولقد وصف طبيب نفساني كان قد فحصه وهو في الثامنة عشرة ، ما يديه من تعال وزهو بأنه « تعويض عن احساسات كامنة من انعدام الأمن وانعدام الكفاية » . وليس من شك في أن هذه المشاعر نبعت من تنشئته غير المرضية . إذ أنه كان وحيد أبويه ولذلك عمده باسم « كارول » ، ولكنه كان يمقت الهجاء النسائي ، ولذلك غير اسمه فيما بعد الى « كاريل » .

ولما شب قليلا عن الطوق انتقل أبواه من مسقط رأسه « ميسوري » الى جنوب كاليفورنيا حيث شب في « جلنديل » إحدى ضواحي لوس أنجيلوس ، وكان أبوه يحصل على ما يكفي أود الأسرة بكل عناء . وحينما بلغ « كارول » التاسعة من عمره ، أصيبت أمه إصابة بالغة في حادث سيارة انتهى بها الى شلل في نصفها الأسفل فلم تستطع المشي ثانية ، أما « كارول » فكان يبدو معتل الصحة ، ناقص النمو ، وقد أصيب بأمراض كثيرة منها الربو والحمى الروماتيزمية واحتقان الأنف المزمن ؛ ولكنه استطاع تعويض نقائصه البدنية بالتفوق في الدراسة ، مع أنه لم يكن محبوبا في المدرسة إذ كان يميل للطغيان والغطرسة والمحاباة ، ولهذا لم يكتسب أصدقاء يذكرون ، وكان أصدقاؤه من الأشرار . وكانت أول مخالفاته ، كحدث منحرف ، سرقة المتاجر واقتحام الشقق والمنازل الحالية .

وفي العقد الثاني ، برع « تشيسمان » في سرقة السيارات التي كان يستخدمها للتنزه وحينما بلغ السادسة عشرة من عمره سرق سيارة ، وكانت تلك أول مرة تمتد اليه فيها يد العدالة والقانون . وعلى أثر القبض عليه أرسل لمركز حجز الاحداث توطئة لفحصه طبيا . وفي حين كان في الحجز استطاع الهرب بالوثوب من النافذة الى سيارة نقل ، وقاد السيارة الى الجدار المحيط بالمركز ، حيث تسلق هذا الجدار من فوق سقف السيارة ولاذ بالفراغ . وقد قبض عليه ثانية في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي وهو يحاول سرقة إحدى الصيدليات حيث كدس أكوابا من السيجار في وسط المتجر وحطم زجاجات من الويسكى سكبها على السيجار .

وأعيد الى مركز الحجز ثانية . وسرعان ما اكتشفت الشرطة أنه

مستول عن سرقة سيارة أخرى . وسرقة متجر آخر فنقل الى معسكر الغاب ، ولكنه ما لبث أن هرب في مدى أسابيع قليلة ، وقبض عليه وهو يرتكب سرقة أخرى فأرسل في هذه المرة الى إحدى مدارس الدولة الصناعية .

وبعد ثمانية أشهر ، أطلق سراحه بكلمة شرف ، ولكنه ما لبث أن أعيد الى المدرسة الصناعية بعد أسابيع قليلة لأنه أخل بكلمة الشرف . وبعد ذلك بعام أطلق سراحه للمرة الثانية ، ولكنه ما لبث أن عاد الى عاداته المنحرفة القديمة . وقدم للمحاكمة من جديد متهما بسرقة السيارات ، ولأول مرة واجه حكما قاسيا بالسجن ، لتعدد مسوابعه ، ولكنه قال للقاضي مؤكدا : اننى مملوء باحساس من الاشتمزاز لكل ما هو اجرامى ، بما فى ذلك نفسى ، لأننى رضيت أن أقع فى حبائل الاجرام فى أثناء سنوات نشأتى ولقد أثر هذا النداء فى نفس القاضي حتى أنه أصدر أمره بوضع تشيسمان تحت الاختبار .

ووسع تشيسمان نطاق عملياته لتشمل السرقة المسلحة ، ولقد قال انه قصر أعمال السلب التى قام بها على القوادين والمقامين وغيرهم من العناصر المعادية للمجتمع ولكن سجله يدل على أنه كان هناك أشخاص أبرياء بين ضحاياه . وحينما ضبط للمرة الثانية عشرة ، استطاعت الشرطة الايقاع به بعد أن أطلق النار على ساق شرطى . وفى هذه المرة صدر الحكم بسجنه ستة عشر عاما فى سجن سان كونتين . ولقد كان سجننا نموذجيا فنقل بعد عامين الى شينو ، وهو سجن مكشوف يقع على مسافة تبلغ نحو أربعين ميلا من لوس أنجيلوس الذى يرسل اليه المسجونون الذين يتعهدون بعدم الهرب ، ولكن صاحبنا ما لبث أن فر من شينو فى أواخر سنة ١٩٤٣ ، واختفى فى لوس أنجيلوس الا أن الشرطة ما لبثت أن وقعت على أثره حينما كانت تبحث عن سيارة سرقها واخفاها فأعيد الى سان كونتين . وحينما سئل عن سبب فراره ، طلع على المحقق بقصة خيالية اذ قال انه قرر الذهاب الى ألمانيا لأنه اعتزم اغتيال هتلر ! وبعد أن أمضى أربع سنوات فى السجن ، منها جزء فى فولسوم ، وهو سجن عتيق مقبض بالقرب من سكارامنتو ، أطلق سراح تشيسمان أخيرا بكلمة الشرف ، وكان ذلك يوم ٨ من ديسمبر عام ١٩٤٧ .

وبعد ذلك بثلاثة أيام سرقت سيارة « فورد » لها مصباح كشاف على الجانب الأيسر من بيفرلى هيل . وقد تلقت الشرطة فى مناسبات كثيرة فى خلال الأسابيع التالية أن هذه السيارة رؤيت فى « مناطق الاحبة » بضواحي لوس أنجيلوس بين مالبيو وباسادينا . وكان قائد السيارة

يطلق ضوء مصباحه الكشاف . وهو أحمر اللون ، كالضوء الذي ينبعث من سيارات الشرطة ، ويقف بجوار إحدى السيارات المنتظرة ويسرق مامع العاشقين تحت تهديد المسدس . واطلقت عليه الصحافة المحلية ، لص الضوء الأحمر » وفي مناسبتين ارغم المرأة على الانتقال الى سيارته حيث ارتكب معها عملا جنسيا منحرفا . وقد ارغم إحدى ضحاياه ، وهي فتاة فى السادسة عشرة اسمها « اليس ميزا » على التجرد من جميع ثيابها ما عدا حذاءها ، وبعدئذ قلبها على بطنها واعتدى عليها بوحشية . وقد أصدر المعتدى أمره الى زميل الفتاة ، وكان اسمه فرانك هلبرت ، بالانصراف مهددا إياه بمسدسه ، فاضطر للأذعان . وفيما بعد تركت الفتاة بالقرب من منزلها وقد تولاهما اضطراب شديد حتى لقد قال الاطباء النفسيون ان انشطار الشخصية الذى أصابها فيما بعد واقتضى ادخالها الى أحد مستشفيات الأمراض العقلية كان نتيجة مباشرة للمحنة التى مرت بها بسبب هذا الحادث .

وفى مساء اليوم التالى تلقت جميع سيارات دورية الشرطة فى منطقة ساحل ودونديو رسالة جاء فيها أن رجلين مسلحين سرقا متجرا محليا للثياب وهربا فى سيارة « فورد » رمادية اللون ، وسرعان ما وقعت إحدى سيارات الشرطة على أثر السيارة « الفورد » وطاردتها . وبعد أن استمرت المطاردة العنيفة بسرعة سبعين ميلا فى الساعة فى شارع لوس أنجيلوس ، حاولت السيارة «الفورد» تجنب عائق فى الطريق ، فانقلبت . وخرج من حطامها شابان لم يصبهما أذى وحاولا الهرب فى ممر جانبي فأطلق ضابط الشرطة عيارا ناريا للارهاب ، فاضطرا للتسليم . وتبين أن كليهما مجرم سبق الحكم عليه ، أحدهما يدعى دافيد كناولز ، صانع مكاتب فى لوس أنجيلوس ، وكان الآخر كاريل تشيسمان .

والى جانب كمية من الثياب وعدد من أوراق النقد المهشمة التى سرقاها من متجر الملابس ، عثرت الشرطة على مسدس أوتوماتيكى « عيار ٤٥ » فى السيارة المهشمة ، كما عثر بالسيارة أيضا على منديل أحمر كان معدا بحيث يمكن وضعه فوق المصباح الكشاف .

- ٢ -

كانت قائمة الاتهامات التى قدم تشيسمان للمحاكمة بسببها مكونة من ثمانية عشر اتهاما منها ثلاثة اتهامات بجرائم اختطاف بغية ارتكاب السرقة ، احداها السطو على حانوت الثياب فى ودونديو بيتش ، واثنتان

نتصلان بالجرائم التي ارتكبتها ، لص الضوء الاحمر وقد طلب الاتهام تطبيق قسم « قانون لندبرج الصغير » من قانون عقوبات كاليفورنيا على الاتهامين الآخرين . وقد صدر هذا القانون نتيجة للسخط العام الذي أعقب اختطاف ابن الكولونيل شارلس لندبرج من منزله في نيوجرسي ، فأصدر الكونجرس تشريعا يجعل هذه الجريمة من الجرائم التي يعاقب عليها بالاعدام ، ولكن تطبيق هذا القانون على جرائم الاختطاف يتطلب قتل المجنى عليه عبر حدود إحدى الولايات . وقد أدرج في قانون كاليفورنيا الجنائي نص بتطبيق هذه العقوبة على المتهم « اذا حدث الاختطاف مع الاضرار البدني وبغية السرقة » . وبهذا وضع المشرع سلاحا قاتلا في يد رجال الشرطة يستخدمونه عند التصرف مع الاشخاص الذين يرتكبون جرائم السرقة . لان الشرطة تخبرهم بين الاعتراف بالسرقة البحتة أو تطبيق القسم رقم ٢٠٩ « قانون لندبرج الصغير » عليهم . ولقد قال تشيسمان ان الشرطة تركت له الاختيار بعد أن أشبعته ضربا وتعذيبا وحرمته من النوم وظلت تستجوبه الى أن خارت قواه ، ولكنه « رفض أسهل الطريقين للافلات » ومن هنا طلب الاتهام اعدامه .

الا أنه من حيث أن المتهم أرغم صاحب المتجر على التراجع - تحت تأثير المسدس - الى مؤخرة المتجر . . وسرقته ، فان القسم ٢٠٩ ينطبق فنيا على الجريمة ، بيد أنه من حيث تعلق الأمر « بلص الضوء الاحمر » فان جرائمه لا ينطبق عليها نص هذا القسم . صحيح ان اللص ارتكب حوادث سرقة في معظم هذه القضايا ، ولكنه - بعد السرقة - أرغم النسوة على الصعود لسيارته واعتدى عليهن ، وهكذا لم يكن الاختطاف توطئة للسرقة ولكن توطئة لارتكاب اعتداء جنسي ، وبالتالي لا يخضع « لقانون لندبرج الصغير » وعلى أية حال ، لقد اتهم تشيسمان باعتداءات جنسية ومحاولات اغتصاب تخضع لقسم آخر من قانون العقوبات . الا أن المحلفين الذين استمعوا للقضية في هذه الظروف لم يستطيعوا اجراء هذه التفرقة القانونية . ومن ثم لم يكن هناك شك في أن تشيسمان حكم عليه بالاعدام لأنه اقترف جرائم جنسية اقترنت بسرقات ، وأن المحلفين حكموا بادانته في اتهامات الاختطاف وهم يعلمون ان حكم الاعدام سيعقب ذلك آليا .

ومن المحقق أن سلطات لوس أنجيلوس خرجت على جميع التقاليد لضمان اثبات اتهام تشيسمان بما يوقعه تحت طائلة عقوبة الاعدام . وكان القاضي الذي حوكم تشيسمان أمامه في محكمة لوس أنجيلوس العليا « شارس و . فريك » مشهورا بأنه أكثر القضاة اصدارا لحكم الاعدام في تاريخ كاليفورنيا . وكان ممثل الاتهام « ج . ميلر ليفي » يتفانى في

الحصول على أحكام بالادانة . ولقد قال ليفي للمحلفين : « ان هذا الشاب معدوم الفائدة تماما ، فمنذ كان في السادسة عشرة وهو يسىء استخدام كل امتياز منحه المجتمع اياه » . ومضى الاتهام يصف المتهم بأنه « مجرم عبقرى ، وشخصية ذات جانب واحد ، ومتجرد تجردا تاما من كل شعور اجتماعى » .

وحين بداية المحاكمة ارتكب القاضى خطأ غير معقول وغير مفهوم من قاض - وان عرف بالصراحة - الا انه اشتهر بأنه محام جنائى حصيف . ولقد وقع القاضى فى هذا الخطأ حينما رفض طلب تشسمان الحصول على نسخة يومية من اجراءات المحاكمة على أساس أن الاتهام لم ينضم اليه فى هذا الطلب ، وكانت نتيجة هذا الحكم سيئة للغاية كما سيرى ، اذ كان التأثير السريع أنه على أثر سماع كاتب المحكمة الرسمى بأن التقرير اليومى المعتاد لم يعد مطلوبا قرر أن يؤدى المهمة فى وقت فراغه فى أثناء فترة المحاكمة .

ولقد تعرفت الشاهدتان ، اللتان اعتدى عليهما ، السيدة رجنيا جونسون ، والآنسة ماري اليس ميزا ، على تشيسمان وقطعنا بأنه لص الضوء الاحمر ، ومن ناحية أخرى أنكر تشسمان - الذى كان يتولى الدفاع عن نفسه - أنه كان الرجل الذى اعتدى على المرأة والفتاة ، وازاء هذا الانكار طالب الاتهام باستخدام حقه فى تقديم « الاعترافات » التى ادعى السجن بأنه أدلى بها فى أثناء استجواب الشرطة له ، وان كانت المبادئ الرئيسية فى القانونين الأمريكى والانجليزى تقضى بأنه لا يجوز الادلاء بشهادة تتعلق بجرائم سابقة الا بعد ثبوت ادانة المتهم فيما يحاكم من أجله ، أما فى محاكمة تشسمان فقد سمح لمحققى الشرطة فى أثناء الادلاء بشهاداتهم عن أحاديثهم مع المسجون ، أن يصفوا كيف أنهم سألوه - حين الادلاء باعترافاته - عن ماضيه الاجرامى وما فيه من سرقات ومعارك مسلحة مع الشرطة وهروبه من السجن . وهكذا خلق التأثير فى ذهن المحلفين بأنهم يحاكمون مجرما خطيرا يحسن القضاء عليه نهائيا للمصلحة العامة . ولقد حاول الاتهام أيضا - ووافقه المحلفون على ذلك - أن يعطى لجريمة تشسمان حينما سرق السيدة جونسون والآنسة ميزا وأرغمهما على ركوب سيارته والاعتداء عليهما ، شكل جريمة الاختطاف للسرقة مع الاضرار البدنى وهى الجريمة التى تدخل فى نطاق « قانون لندبرج الصغير » .

وفى يوم ٢١ من مايو ١٩٤٨ أصدر المحلفون ، وكانوا يتكونون من أحد عشر رجلا وامرأة ، قرارهم بأن تشسمان مذنب فى سبعة عشر اتهاما من ثمانية عشر ، وذلك بعد مداولة استغرقت ثلاثين دقيقة . وطبقا

لما لهم من حقوق حددوا عقوبة الاختطاف والسرقة ، التي حدثت في المتجر ، بالسجن المؤبد ، وبالإعدام بالنسبة لاتهامي الاختطاف الآخرين . وقد صدر هذا الحكم بعد أن أرسل رئيس المحلفين طلبا للحصول على «تعليمات إضافية» . وهناك قدر من الريبة بالنسبة لما حدث فعلا ، لأن محضر جلسة المحكمة لم يتسم بالوضوح من ناحية هذه النقطة الا أن تشسمان ادعى فيما بعد أن القاضي قال ان المدعى عليه من أسوأ المجرمين الذين مثلوا أمام محكمته ، وأنه أوحى الى المحلفين باصدار حكم بالإعدام .

وبعد اصدار الاحكام ، أصدر القاضي أمره بتأجيل الجلسة خمسة أسابيع للنطق بالحكم ، وقبل التاريخ الذي حدده القاضي «فريك» بيومين مات كاتب اختزال المحكمة الرسمي «ارنست ر . بيرى» فجأة على أثر نوبة قلبية . وحين وفاة بيرى ، لم يكن قد كتب أكثر من ثلث اجراءات المحاكمة باللغة المطولة . ويقضى قانون ولاية كاليفورنيا بأنه يجب استئذان محكمة الولاية العليا بالنسبة لكل جريمة صدر عنها حكم بالإعدام كما يقضى بأن يشهد الكاتب الرسمي ، الذي أخذ المذكرات المختزلة ، بأن المحضر باللغة المطولة هو صورة طبق الاصل من النسخة التي كتبت بالاختزال .

ومن ثم فحينما جئ بتشسمان أمام القاضي «فريك» لاعلانه بالحكم، دفع المتهم بوجوب الغاء هذا الحكم واجراء المحاكمة من جديد ، ولكن القاضي حكم برفض هذا الدفع على أساس أنه يصلح في القضايا المدنية التي يموت الكاتب فيها قبل اتمام تسجيل المحضر (لقد رأى أن هذا الدفع غير ضروري في الجنايات لان المعتاد أن يسجل محضر الجلسة يوما فيوما ، ولكن هذا لم يحدث في قضية تشسمان كما رأينا) ولذلك أمر القاضي « فريك » بأن يتولى كاتب آخر إنهاء المهمة بالاستعانة بمذكرات بيرى .

ثم قرأ القاضي الحكم . . فبالنسبة للجرائم التي شملها حكم المحلفين حكم على تشسمان بخمسة عشر حكما بالسجن تنفذ على التوالي بحيث يتم تنفيذها سنة ٢٠٠٩ ثم كرر القاضي النطق بحكم بالسجن المؤبد وحكمين بالإعدام .

واستمع السجين الى هذه التلاوة غير العادية وهو يهز كتفيه ، وقال « اننى ما زلت مدينا بمائتين وستين عاما ، لاننى لم أحافظ على كلمة الشرف » . ثم استدار ليمضى الى : « صف الموت » .

يقال ان قدرة تشسيمان على البقاء على قيد الحياة لفترة الاثني عشر عاما ، التي لم يسمح بمثلها من قبل . فى ظل غرفة الغاز ، ترجع الى المهارة التي استطاع هو ومحاموه بها استغلال الثغرات والنقاط الفنية الموجودة فى النظام القضائى الأمريكى . ولكن هذا الرأى خاطئ خطأ تاما لانه لم تكن بالقانون ثغرات ولا نقاط فنية فى قضية تشسيمان . والواقع انه لولا سوء تصرف القاضى فيما يتعلق بمحاضر الجلسات لأعدم تشسيمان منذ أمد طويل .

فأولا ، عين القاضى « فريك » عضوا من اتحاد كتاب لوس انجيلوس اسمه ستانلى فريزر ، لاتمام محاضر الجلسات بغير أن يسأل تشسيمان ان كان لديه أى اعتراض على ذلك ، وكان فريزر هذا سكيما مدمنا ، ولهذا امتنعت بعض المحاكم عن استخدامه ، وكان متزوجا من احدى قريبات وكيل النيابة ليفى . وفيما بعد شهد القاضى بأنه لم يكن يعلم شيئا عن هذه الحقائق فى ذلك الحين ، وأضاف انه حتى ولو كان يعلم بها لما كان لذلك أى تأثير على قراره لانه يعلم أن فريزر كاتب كفء . والواقع أن فريزر - الذى حصل على ١٠,٠٠٠ دولار أكثر مما يستحقه العمل الذى أداه - كان يكثر من مشاوره ليفى والقاضى الذى كان يزوده بالمذكرات التى كان يدونها فى أثناء جلسات المحاكمة . ثم ان اثنين من شهود الشرطة قدما لايضاح الشهادتين اللتين أدليا بها . واستغرق اتمام محاضر الجلسات عاما ، وحينما أعلن القاضى « فريك » أخيرا قبوله لها فى المحكمة ، لم يكن حاضرا الجلسة غير ليفى وفريزر وكاتب آخر ، أما تشسيمان أو محاميه فلم يحضراها ، وعلى أساس هذه المحاضر التى أدخل عليها أكثر من ألفى تعديل رسمى فيما بعد ، حكمت المحكمة العليا بولاية كاليفورنيا فى أواخر سنة ١٩٥٠ أوتوماتيكيا برفض التماس تشسيمان . ولكن الحكم لم يصدر بالاجماع اذ خالفه القاضى جيبس كارتر .

وكان المنتظر أن تصدر المحكمة العليا بالولاية أمرها فى هذه المرحلة بإعادة محاكمة المتهم ، وترى بعض الدوائر أن عدم اصدار هذا القرار مرجعه أن القضاة (باستثناء كارتر) شعروا بأن أية محاكمة ، جديدة ستنتهى بتبرئة المتهم ، ثم أن بعض الشهود الرئيسيين - ومن بينهم رفيق مسز ريحنا جونسون فى السيارة ، الذى مات ، والأنسة ماري ميزا ، التى كانت تعاني من مرض عقلى حاد - كانوا بعيدين عن متناول اليد .

وكانت السيدة روزالى آشر ، وهى محامية ضليعة ، قد بدأت تهتم

بالقضية أشد الاهتمام فساعدت تشسمان فى اعداد الوثائق القانونية
الضرورية لتقديم التماس الى المحاكم الفيدرالية ، ومنها الى المحكمة العليا
للولايات المتحدة واشنجتون . وفى ذلك الحين تقرر أن يتم اعدام
تشسمان يوم ٢٨ من مارس ١٩٥٢ ، الا أن القاضى جيبس كارتير أصدر
حكماً - قبل موعد تنفيذ حكم الاعدام بوقت قصير - أرجأ فيه تنفيذ هذا
الحكم حتى تتاح لتشسمان فرصة تقديم التماس للمحكمة العليا الفيدرالية
لإعادة النظر فى القضية كلها . ولقد قال القاضى كارتير الذى خرج على
اجماع قضاة المحكمة فى رفض التماس تشسمان فى ذلك « عندى أن هذا
الحكم خروج على قوانين الاتحاد وكاليفورنيا ، لانه صدر استنادا الى محاضر
غير كاملة ولا دقيقة »

وفى يوم ٢٣ من يونيو ١٩٥٢ ، أى قبل الموعد الذى كان محسباً
لاعدام تشسمان بثلاثة أيام ، أصدرت محكمة الاستئناف الفيدرالية بسان
فرنسيسكو قرارا بأرجاء تنفيذ حكم الاعدام مرة أخرى لأفساح الوقت
لنظر التماس الذى قدمه المتهم معترضا فيه على عدم مسماع محكمة
الولاية لدفاعه وحرمانه من الوجود فى المحكمة فى أثناء نظر هذا التماس .
وحيثما رفضت هذه المحكمة التماس المتهم ، لجأ الى محكمة الولايات
المتحدة العليا . ونظرا لان تقديم الالتماسات لهذه الهيئة القضائية العليا
يستغرق شهورا كثيرة ، فان المحكمة العليا لم تصدر قرارها برفض منح
السجين حق المثول أمامها الا فى نهاية سنة ١٩٥٣ .

وفى أثناء الثلاثة عشر شهرا التالية ، صدرت ثلاثة قرارات بأرجاء
تنفيذ حكم الاعدام قبل موعد هذا التنفيذ بساعات ، ليتمكن البت فى
التماسات المتهم . وفى تلك الاثناء كان تشسمان قد أصدر كتابه الاول
« الزنزانة ٢٤٥٥ بصف الموت » الذى جعله شخصية دولية ، وكان من
نتائج هذا النجاح أن تمكن تشسمان من الحصول على المال ، الذى يمكنه
من الحصول على مزيد من المساعدة القضائية . وهكذا اشترك المستر
جورج دافيز ، وهو محام كبير اشتهر بعدائه لعقوبة الاعدام ، فى الدفاع
عن تشسمان فى شهر أكتوبر ١٩٥٥ بعد أن صدر حكم المحكمة العليا فى
واشنجتون بتولى أحد قضاة سان فرنسيسكو البت فى موضوع الخلاف
حول محاضر الجلسات . وقد أصدر القاضى « لويس جودمان » حكما فى
هذا النزاع مؤيدا للمحاضر (المرفقة) على الرغم من أن فريزر عجز عن
ترجمة أجزاء من المذكرات المكتوبة بالاختزال حينما طلب دافيز منه أن
يفعل ذلك ، وحينئذ نقل محامى تشسمان القضية مرة أخرى الى المحكمة
العليا فى واشنجتون .

وفى يوم ١٠ من يونيو ١٩٥٧ أصدر القاضي « هالان » من المحكمة العليا بالولايات المتحدة أهم حكم صدر فى هذه القضية المعقدة المؤسفة ، فقد ذكر أن تشسمان « حرم من التمتع بحقه فى الالتجاء للقانون » لمدة تسع سنوات وربما أكثر . ولذلك تقرر أن يعاد سماع أقوال المتهم أمام إحدى محاكم ولاية كاليفورنيا على أن يحضر الطرفان الجلسة وأن يمنحا حق استدعاء من يشاءان من الشهود ، والبت نهائيا فى موضوع صحة محاضر الجلسات ، وهكذا أعيد موضوع محاضر الجلسات الى المحكمة العليا نفسها بلوس انجيلوس التى تولت محاكمة المتهم أصلا قبل ذلك بنحو عشرة أعوام . وفى أغسطس ١٩٥٧ وافقت المحكمة العليا بولاية كاليفورنيا على « إعادة النظر » فى حكمى الاعدام بعد البت فى موضوع المحاضر .

كان هذا هو الموقف حينما قابلت تشسمان فى سان كونتين بعد صدور حكم المحكمة العليا بكاليفورنيا بأيام قليلة ، وكان السجين يعلم أنه فاز بفترة جديدة من الحياة قد تطول الى نحو عامين أو أكثر ، ويشعر بأنه أتيحت له فرصة نهائية عادلة للخروج من « صف الموت » على قيد الحياة . فما الذى حدث ونسف هذا الأمل ؟

أولا : حدث أن تنحى القاضي « فريك » عن نظر قضية صحة المحاضر ، فحل محله القاضي « والتر ايفانز » وفى يوم ٢٥ من نوفمبر ١٩٥٧ نظرت المحكمة طلبا بإجراء محاكمة المتهم من جديد ، واستغرق نظر هذه القضية أكثر من ثلاثة شهور أدلى فى خلالها كثيرون من خبراء الاختزال بشهاداتهم بناء على طلب الاتهام والدفاع معا . فقرر الخبير الشاهد الذى استدعاه الاتهام أن « فريزر » فشل فى ترجمة مئات من الرموز التى سجلها « بيرى » واقترح إجراء نحو ألفى تعديل فى المحاضر التى قبلها القاضي « فريك » فى حين قال الشاهد الذى استدعاه تشسمان أنه من المحتمل تفسير كثير من الرموز التى سجلها « بيرى » وأن هناك رموزا أخرى محيت وكتبت بيد أخرى . وفى يوم ٢٨ من فبراير ١٩٥٨ أصدر القاضي « ايفانز » حكما بأن المحاضر صحيحة من ناحية المادة ، ولكنه أشار بإدخال الألفى تغيير التى اقترحها الخبير الشاهد على المحاضر ، وفى الوقت ذاته رفض القاضي طلب إعادة محاكمة المتهم من جديد .

وقدم تشسمان بمساعدة محاميه جيسورج دافيز ، وروزالى آش ، سلسلة من الالتماسات ضد محاضر الجلسات المعدلة ، وبعد أن رفضت جميع محاكم الولاية التماساته ، نجح فى إيصال القضية لمحكمة الولايات

المتحدة العليا في سنة ١٩٥٩ . وفي تلك الاثناء كان موعد تنفيذ حكم الاعدام ، الذي حدد له يوم ٢٣ من اكتوبر ١٩٥٩ ، قد اقترب ، فراح « دافيز » يستحث موكله على طلب الرأفة من محافظ كاليفورنيا الجديد المستر « بات براون » الذي عرف بعداوته لعقوبة الاعدام ، ولكن تشسمان الذي عرف بالخطورة والتعالي رفض أن يفعل ذلك ، لانه كان قد كتب للمحافظ يبلغه أن يريد اما التحقيق أو الموت ، وقال لمحاميه . ان أية رأفة قد يعاملني المحافظ بها - كأن يستبدل بحكم الاعدام السجن مدى الحياة مع حرمانى من كلمة الشرف - لا تهمنى ، وفي الوقت ذاته أوضح تشسمان لمحاميه أنه حر فى أن يتصرف على النحو الذى يراه فى مصلحة موكله . ولذلك طلب « دافيز » من المحافظ أن يمنحه فرصة لمقابلته وايضاح الموقف له ، وقبل هذا طلب المقابلة يوم ١٥ اكتوبر .

وحين بداية المقابلة قال المحافظ « براون » أن تشسمان لم يلجأ اليه فى طلب الرأفة ، بل انه « بالعكس » صرح بأنه يسعى الى اعادة تحقيق القضية فقط وهذا مالا أستطيع الموافقة عليه وقال المحافظ : ان الأدلة على إدانة تشسمان حاسمة فان « الحقائق الوطيدة فى هذه القضية : - السرقات العمد ، والاعتداءات الجنسية ، واستخدام مسدس محشو ، أثرت كثيرا على تفكيرى » ثم اضاف المحافظ « كذلك لم يبد تشسمان أية علامات على الندم واتسم موقفه بالخطورة والغضب من المجتمع وقوانينه » .

واستطرد المحافظ قائلا : انه وإن كان يعارض فى عقوبة الاعدام الا أنه اتسم بالمحافظة على قوانين ولاية كاليفورنيا . ولذلك رفض أن يتدخل فى حكم الاعدام الذى صدر ضد تشسمان .

بقيت بعد ذلك المحكمة العليا بواشنطن . وقبل حلول موعد اعدام تشسمان بيومين ، أصدرت المحكمة حكما بارجاء تنفيذ الاعدام ، وكان سابع ارجاء ، وذلك لتمكين السجن من تقديم التماس جديد . وقد قدم هذا الالتماس ورفض بعد ذلك بشهرين ، وبعد أن نظرت عدة محاكم فى الولاية التماسات المتهم أرجىء موعد تنفيذ حكم الاعدام الى ١٩ من فبراير ١٩٦٠ ، وحينما قدم التماس جديد للارجاء رفضته المحكمة العليا فى واشنطن .

وبذلك كانت نهاية تشسمان قد دنت هذه المرة . ولهذا ودع اصداقاه فى « صف الموت » ونقل الى زنزانة صغيرة مجاورة لغرفة الغاز اعتادت ادارة السجن نقل المحكوم عليهم بالاعدام اليها ليلة تنفيذ الحكم

وقبل موعد التنفيذ بساعتين ظهر مدير السجن أمام زنزانة تشسمان وقال له : ان المحافظ أوقف تنفيذ الحكم ستين يوما ، وكان ذلك بناء على نصيحة وزارة الداخلية لأن الرئيس « أيزنهاور » كان على وشك القيام بزيارة الى أمريكا الجنوبية ، وكانت هناك معلومات تشير الى تدبير مظاهرات وشغب في أثناء هذه الزيارة اذا نفذ حكم الاعدام في غرفة الغاز على تشسمان . ولأول مرة في تاريخ هذه المحنة الطويلة انهار الرجل المحكوم عليه بالاعدام .

وحدد يوم ٢ من مايو ١٩٦٠ لاعدام المتهم وفي حين كان « دافيز » يبحث عن موضوع لتقديم التماس جديد - اذ الواقع أن سجن موكله هذه الفترة الطويلة جدا مع أنه محكوم عليه بالاعدام أمر يناقض الدستور الأمريكى - راح المحافظ « براون » يسمى أيضا لأرضاء ضميره « فأحال موضوع عقوبة الاعدام الى لجنة قانونية خاصة ، واقترح المحافظ وقف عقوبة الاعدام لمدة ثلاثة أعوام ونصف عام ، ولكن اللجنة رفضت الاقتراح بأغلبية ثمانية أصوات ضد سبعة وحينئذ قال المحافظ : « لم يعد في استطاعتي أن أفعل شيئا في ظل القوانين القائمة بكاليفورنيا » .

وقبل الموعد المحدد لتنفيذ حكم الاعدام بيومين اثنين قدم المحامى « دافيز » لمحكمة كاليفورنيا العليا التماسا يطلب فيه الاستماع للمتهم ووافقت المحكمة على الاستماع في الساعة الثامنة من صباح اليوم المحدد لتنفيذ الحكم ، وكان « دافيز » يتوقع رفض المحكمة لهذا الالتماس ولذلك أرسل التماسا آخر للقاضى « جودمان » يطلب فيه ارجاء تنفيذ الحكم وقال : انه سيناقش هذا الالتماس بعد ذلك فورا أمام قاض فيدرالى .

واجتمعت المحكمة العليا بالولاية في الساعة الثامنة صباح يوم ٢ من مايو ، وفي الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين أبلغ كاتب الجلسة المحامى « دافيز » أن المحكمة رفضت طلبه بأغلبية أربعة أصوات ضد ثلاثة .

واستقل « دافيز » سيارته ومعه « روزالى آشر » وانطلقا بسرعة بالغة الى غرفة القضاى « جودمان » بالمحكمة وقال له « اليك الأمر القضائى الذى أتيت لك فرصة قراءته أمس . فعليك اصدار امر بوقف تنفيذ الحكم فورا » . وأشار « دافيز » الى جهاز التليفون

الموضوع على مكتب القاضى وقال له : « هل تسمح سيادتكم بالاتصال بالسجن الآن » وكانت الساعة حينذاك ٩٥٥ .

وامضى القاضى خمس دقائق فى مراجعة الأوراق التى أمامه وبينما كان عقربا الساعة يشير ان الى الساعة العاشرة اذ قال القاضى «جودمان» لسكرتيره « صلى بسجن كونتين » ثم تحول الى « دافيز » وقال : « سأمنحك ثلاثين دقيقة على الأقل وربما أكثر » .

وأبلغ الكاتب تعليمات القاضى : الى سكرتيرته فى الغرفة المجاورة . فأدارت قرص التليفون - ولكنها طلبت رقما خاطئا - فاضطرت للذهاب الى غرفة وكيل كبير الكتاب للتأكد من صحة الرقم ، ومضى نحو دقيقتين قبل أن تعود السكرتيرة الى غرفتها وتطلب الرقم الصحيح ، ثم حولت المكالمة الى القاضى .

وأصغى القاضى « جودمان » لمحدثه لحظات قصيرة : ثم تحول الى « دافيز » وقال له : لقد سبق السيف العذل . . اعدم تشسمان ، وبعد سكتة قصيرة أردف القاضى « كان ينبغي ان تحضر مبكرا » .

- ٤ -

دخل تشسمان غرفة الفاز الخضراء بعد الساعة العاشرة بدقيقتين ، وكان يمزح مع الحراس ويودعهم وهم باسم ، وبعدئذ شدوا وثاقه الى المقعد . ثم أغلق الباب بإحكام ولكن «لستين شاهدها الذين كانوا يراقبون هذا القتل القسائونى الرهيب كانوا قادرين على رؤية الرجل المحكوم عليه بالاعدام بوضوح من خلال النوافذ الزجاجية . وحول تشسمان رأسه قليلا الى اليمين « وغمز » بعينه لندوبى الصحف ودار بينه وبين احدى الصحفيات - وكانت صديقه - حديث بالشفافة ، وكأنها قال لها « كل شيء على ما يرام . ان الرباط محكم » واستمر فى حديثه من غير أن يسمعه أحد . وقد قالت المحررة « انه يودع المحامية روزالى » .

وفى بادىء الأمر جلس تشسمان منتصب القامة ، وكان شعره ممشوطا وقد ارتدى سروالا وقميصا أبيض مفتوحا عند العنق . وقبل أن تصل الساعة الى العاشرة والدقيقة الرابعة بثوان قليلة ، جذب

الجلاد المقيض فسقطت أقراص « سيانيد البوتاسيوم » في وعاء حامض الكبريتيك الموجود أسفل المقعد .

وبدأت الأبخرة القاتلة تتصاعد ببطء وتملأ الغرفة ، ولكن رباطة جاش تشيسمان لم تفارقه . فاستطاع أن يقهقه بما يشبه الضحك . ثم تنفس بعمق فملأ السم رئتيه ، وسقط رأسه الى الخلف ، وبدأ اللعاب يسيل من فمه المفتوح . وفي الساعة العاشرة والدقيقة التاسعة ارتعش كتفاه قليلا ، وفي الساعة العاشرة والدقيقة الثانية عشرة أعلن موته رسميا .

وهكذا . . انتهت المعركة القانونية المريرة التي استمرت اثني عشر عاما والتي اندمجت مراحلها الأخيرة في التضال الأكبر ضد عقوبة الاعدام . وبعد تنفيذ حكم الاعدام في تشيسمان مباشرة ، أفضى « فرد ديكنسون » مدير سجن سان كوتين في مؤتمر صحفي بطرف من الحديث الأخير الذي دار بينه وبين تشيسمان ، والذي طلب منه تشيسمان فيه أن يؤكد مرة أخرى انه لم يكن « لص الضوء الاحمر » . وأضاف قائلا : « لقد أدانت كاليفورنيا رجلا خاطئا ورفضت باصرار الاعتراف بإمكان وقوعها في الخطأ وتصحيحه . وفي الوقت المناسب سيري العالم الدليل على هذه الغلطة الوحشية ، ويومذاك لن يشعر كاليفورنيا بأي فخر ازاء هذه الغلطة » . وقال تشيسمان أيضا لمدير السجن : « انه يأمل في أن تساعد المساهمة التي قدمها ، في إلغاء عقوبة الاعدام » .

ر قبل ذلك بعدة سنوات ، حينما كان تشيسمان يشعر بأن موته وشيك ، أعد تصريحاً للصحف ، وقد روجع هذا التصريح أخيرا وقدم لصحيفة محلية واسعة الانتشار فنشرته . وفي هذا التصريح يطلب تشيسمان من العالم التفكير في الفائدة التي ترتبت على اعدامه . ورد على الحجة القائلة بأن عقوبة الاعدام تطبق على الذين لا يمكن اصلاحهم بأن تشيسمان الذي أرسل الى « صف الموت » قبل اعدامه باثني عشر عاما وتشيسمان الذي أعدم في غرفة الغاز يوم ٢ من مايو ١٩٦٠ « كانا شخصين مختلفين » .

وأبدى أسفه لأنه اضاع طفولته هباء ، ولكنه كان يشعر بأنه كان قادراً على التعاون ، وفي رأيه أن الطفولة هي مرحلة وقف الجريمة

والاصلاح ، و اضا ف « ان فى الامكان الوصول الى الصبيان وتغييرهم :
وتلك المهمة التى ينبغى على المجتمع ان يحققها » .

ومن بين الرسائل التى كتبها تشيسمان قبل اعدامه بساعات قليلة ،
ووزعها مدير السجن بعد ذلك ، رسالة لمحرر صحفى فى سان فرانسيسكو
واخرى لمحاميه المخلص « جورج دافيز » وفى الرسالة الاولى صرح
تشيسمان بأنه لا يعتبر نفسه بطلا ولا شهيدا ، بل بالعكس ، لقد كان
« أحرق مختلط التفكير » يدرك ادراكا تاما طبيعة سنوات تمرده الاولى
ونتائجها . . و اضا ف « كنت أريد الحياة ، وكنت أومن بأننى قادر على
تقديم خدمة جليلة للأدب والمجتمع بكتاباتى ، وقررت أن أurd الجميل
لشعوب الدول الكثيرة التى دافعت عنى ، وآمنت بأن كاريل تشيسمان
انسان ، ولكن : كنت أشعر بالارتياح العظيم لو اننى عشت لأثبت لهذه
الشعوب صدق حكمها »

وكتب للمحامى « دافيز » يقول : « لقد انتهى صراعى . أما
صراعك فلم ينته بعد ، فسيستمر الاجراء الهمجى غير المفهوم « عقوبة
الاعدام » وسيسير رجال آخرون فى مجتمعنا الى غرفة الاعدام - لكن
الى متى ؟ الى أن يدرك شعب هذه الولاية وهذه الدولة ما فى هذه
العقوبة من تقاهة . الى ان تدرك هذه الشعوب ان عدالة القصاص
ليست عدالة على الاطلاق . اننى أموت وكلى أمل فى أن تسهم قضيتى
وموتى فى اذكاء هذا الادراك وتحقيق هذه الغاية . اننى أعلم أنك ستبذل
قصارى جهدك - كمواطن ومحام - لاقتناع زملائك بأن العدالة لا تخدم ،
ولكنها « تهوش » بالثأر والجلادين ، وانى أتمنى لك حظا سعيدا .

الفصل الثاني

جوردون لونسدیل وجواسیس البحرية

- ١ -

« ان هذه القضية مليئة بالمؤامرات بطبيعتها ، ويمكنكم أن تقولوا انها تتميز بذلك الطابع المعروف عن الرويات الخيالية »

كانت هذه هي الكلمات التي قالها كبير القضاة في انجلترا «اللورد باركر» وهو يوجز للمحلفين الأدلة في أهم قضية جاسوسية نظرت في « أولد بايلي » منذ محاكمة جواسيس القنبلة الذرية في اثناء الحرب « الان فان ماي وكلاوس فوش » وقد وجه الى المتهمين في هذه القضية، مثلما وجه للمتهمين في القضيتين السابقتين ، الاتهام بالتآمر معا لنقل معلومات سرية يمكن أن تفيد عدوا مرتقبا ، هو دولة أجنبية ، هي - على وجه التحديد - الاتحاد السوفيتي وذلك من غير ترخيص .

لقد وقع ضباط الأمن البريطانى على أول دليل حينما بدءوا يفحصون حياة « هنرى فردريك هوفتون » الخاصة ، هو موظف مدنى فى الخامسة والخمسين من عمره وكان من قبل من موظفى البحرية الملكية ، ثم الحق كاتباً بالوحدة الإضافية للأصلاح بميناء بورتلاند . وفى فبراير ١٩٦٠ أبلغ موظف من زملائه فى هذه القاعدة شرطة « دور ستشاير » أنه يشعر بالارتياح فيه . وقال هذا الزميل ان مرتب « هوفتون » نحو ١٤ جنيه فى الاسبوع بالاضافة الى معاشه الصغير من البحرية ومع ذلك فان « هوفتون » ينفق ، بأقل تقدير ١٥ جنيه كل اسبوع فيما يشتريه من « ويسكى » بالأماكن العامة المحلية ، ثم أنه كان بسبيل شراء سيارة جديدة وقد أجرى فى منزله وأثاثه تحسينات

كلفته مبالغ طائلة مع انه لا يملك اية مرارذ خاصة ، فمن اين كانت تأتية هذه الاموال الوفيرة التى تمكنه من هذه الحياة البذخة ؟

وكانت الشرطة تتلقى بلاغات كثيرة مماثلة من جيران غيورين ، وكان كثير من هذه البلاغات لا يستند الى اساس . ومع ذلك فان الشرطة - كاجراء روتينى - لا تهمل هذه البلاغات ، وانما تفحصها . وقد تبين من التحرى أن « هوفتون » ينفق نقودا أكثر جدا مما يسمح له به مرتبه المحدود ، كما لوحظ أنه يقوم برحلات منتظمة الى لندن وأبلغت شرطة «دورستشاير» هذه المعلومات لمركز شرطة «ميتروبوليتان» باسكتلانديارد حيث أحيل الموضوع الى القسم المخصوص . وهكذا اثرت الريبة . وقرر القسم المخصوص الالتجاء الى منظمة مكافحة الجاسوسية التابعة للحكومة .

كانت الخطوذة الاولى فحص سجل خدمة « هوفتون » وتاريخه السابق ، وتبين أنه التحق بالبحرية كفلام . وسرح سنة ١٩٤٥ بعد أن قضى ثلاثة وعشرين عاما فى الخدمة . وأنه ابدى امتيازاً فى الحرب الاخيرة فقد خدم فى البحر الأبيض ومع القوافل الروسية ، وأنعم عليه بعدد من النياشين ، وعلى أثر خروجه من خدمة البحرية عين فى وظيفة كاتب مؤقت فى منشأة البحرية على الشاطئ فى « جوسبورت » وبعد خمسة أعوام أصبح موظفاً مدنياً ثابتاً فى الكادر الكتابى ، وفى سنة ١٩٥١ عين موظفاً فى هيئة الملحق البحرى البريطانى فى « وارسو » وعاد الى بريطانيا فى خريف سنة ١٩٥٢ حيث الحق بمنشأة الأدمرالية للأسلحة تحت الماء فى بورتلاند ، وكما يوحى اسمها فان معظم العمل الذى يجرى فى هذه المنشأة سرى ، وكان « هوفتون » قد وقع التعهد المؤلف الذى يتطلبه قانون الاسرار الرسمية الذى يطالب جميع موظفى الحكومة ، الذين يؤدون اعمالاً سرية ، بتوقيعه .

وكان من بين الموظفين الذين وقعوا على هذا التعهد امرأة فى اواخر العقد الرابع من عمرها اسمها « ايل اليزابيث جنى » التى عملت أولاً فى قسم المخازن ، ومنذ أوائل سنة ١٩٥٥ ألحقت بمكتب الرسم التابع لقسم السجلات ، ومع أن وظيفتها كانت صغيرة الى حد ما الا أنها كانت تستطيع الاطلاع على الوثائق السرية ، وتدوين خط سير كل وثيقة .

وقضى « هوفتون » أكثر من خمس سنوات فى منشأة أسلحة

نحت الماء ، وفي أثناء هذه الفترة أصبح صديقا للآنسة « جى » واستمر على اتصال بها بعد نقله الى وحدة الاصلاح الشانوية بالميناء . وأخيرا خطبها توطئة للزواج منها .

وبوصفه الموظف الكتابى الوحيد فى وحدات الاصلاح كان مسئولاً عن تلقى وتوزيع وحفظ الأوراق المتصلة بالوحدة ، ومن بين الوثائق الأخرى ، كان يمكنه الاطلاع على أوامر اسطول الأدميرالية ورسوماتها فضلا على النشرة السرية المعنونة « خصائص البوارج الحربية » .

وتقررت مراقبة حركات « هوفتون » وخطيبته . وبعد أربعة شهور حصل رجال خدمة مكافحة التجسس على نتائج ايجابية ، ففي الساعة ٣ر٢ مساء يوم ١٩ من يوليو ١٩٦٠ روى « هوفتون » فى بيو فندق ، كمبرلاند فى حى الويست اند بلندن ، وبعد دقائق قليلة انضمت اليه الآنسة « جى » وبعدها بقليل أيضا خرج الاثنان معا واستقلا ترام تحت الأرض الى محطة واترلو وفى واترلو بدا عليهما التردد كأنهما لا يعلمان أى الطرق يسلكان ، وسمع « هوفتون » يقول لخطيبته : « دعينا ندعب لمحطة الخط الرئيسى وهناك نعلم أين نحن » .

وتبعهما رجال الشرطة ، وحينما وصلا الى محطة الخط الرئيسى سارا فى طريق واترلوا حيث سمع « هوفتون » يقول « هذا هو الطريق الذى سلكناه فى المرة الأخير »

ومضيا فى اتجاه مسرح « أولد فيك » وتوقفا عند تقاطع طريق مواجه للمسرح ، حيث لحق بهما رجل آخر يبدو أنهما كانا يعرفانه معرفة تامة . وكان هذا الرجل فى منتصف الحلقة الرابعة ، اسمر البشرة ، متوسط البنيان ، له مظهر الاجنبى . وأخذ الثلاثة يسلكون مختلف الشوارع الجانبية وأخيرا عادوا الى طريق واترلوا . وفى أثناء سيرهم روى الرجل الثانى وهو يعطى « هوفتون » رقعة من الورق الأبيض يبلغ حجمها نحو ٤ × ٣ بوصات وحينئذ ترك « هوفتون » الآنسة « جى » والرجل الآخر اللذين كرا عائدين الى حيث تقابلا أولا عند مسرح « اولد فيك » فجلسا فوق مقعد فى حديقة عامة .

وبعد ذلك بنحو نصف ساعة لحق « هوفتون » بهما وكان يحمل حقيبة خفيفة بها « طرد » سلمه للرجل الثانى ، وجلس الثلاثة يتحدثون معا نصف ساعة أيضا ثم انصرف الرجل فى حين عاد « هوفتون » والآنسة « جى » الى فندق « كمبرلاند » سالكين طريقا تحت الارض ، أما

الرجل الثاني فقد عاد الى حيث ترك سيارته سالكا طريقا ملتويا ، وكان لا يفتأ يتلفت خلفه ليرى ان كان هناك من يتعقبه ، وأخيرا مضى الى شقة في « هوايت هاوس » بـريجنـت بارك ، استأجرها باسم « جوردون لونسديل » .

وكشفت التحريات التسالية أن الرجل الذي يطلق على نفسه « لونسديل » كان قد وصل الى انجلترا في مارس سنة ١٩٥٥ مستخدما جواز سفر كنديا يحمل اسمه ، وفيما بعد سجل اسمه كطالب يريد تعلم اللغة الصينية بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن . وقد صرح لأحد الأصدقاء بأن سبب تعلمه اللغة الصينية هو أنه يأمل في الحصول على وظيفة بمؤسسة تتاجر مع الصين الشيوعية . ولكن هذه الوظيفة لم تظهر في عالم الوجود ، إلا أنه أصبح فيما بعد مديرا لشركة تصنيع آلات الصمغ ولكن شركة الات الصمغ ما لبثت أن واجهت مصاعب مالية وافلست حين بدأ رجال مكافحة التجاسوسية يراقبون « هوفتون » وكان معروفا أن لونسديل يقوم برحلات كثيرة للقارة ، وكانت هناك أسباب كثيرة تدعو للاعتقاد بأن اسمه الحقيقي لم يكن « لونسديل » وأنه لم يكن كنديا وإنما كان مواطنا سوفيتيا (١) وكانت القصة التي اعتاد « لونسديل » ترديدها على مسامع أصدقائه العرضيين ومعارفه في انجلترا أنه نشأ في كندا في رعاية عمته ، وأنه قضى عددا من السنين كعامل قطع أخشاب ، قبل أن يعبر الأطلنطي . في حين كان بقية العمال يذهبون الى اقرب مدينة لينفقوا كل ماعندهم من نقود في الشراب . اقتصدت جميع تقودى حتى استطيع السفر ومشاهدة العالم ، وكان « لونسديل » جذابا في نظر النساء ولهذا كان له عدد من الصديقات .

وقد قالت له احدها ذات مرة : « ان لك ملامح الرجل

(١) تقول إحدى الروايات ان اسم « لونسديل » الحقيقي هو « فاسيلي فاسيليفتش باخوموف » وأنه ولد في سمرلنك وهو ابن بلشفي قديم . أما زوجته التي قابلها في أثناء عمله في الادارة الخارجية بالمركز العام للخدمة السرية بموسكو فكانت جالينا بتروفنا شوبينا (انظر كتاب ج. بمنارد هاتون : مدرسة الجواسيس ص ١٢٢٠ وانظر ايضا كتاب برنارد نيومان « عالم التجاسوسية ص ١٧ » فقد ورد في هامش هذه الصفحة أن أحد رجال المخابرات الامريكية تعرف على « لونسديل » وقال أنه « كونوت مولودي » الذي ولد في موسكو وأقام في الولايات المتحدة لعدة سنوات وعو غلام ثم عاد الى روسيا ليؤدي خدمته العسكرية ومنها اشغل بأعمال التجاسوسية .

السلافى » ، فاثارت هذه الملاحظة ثائرة « لونسدیل » وصاح : كلا .
كلا لا تقولى هذا فاننى كندى . هل فهمت ؟ كندى .

ومع أن « لونسدیل » كان يسافر بجواز سفر كندى ، ويحمل شهادة ميلاد كندية باسم جوردون ارنولد لونسدیل المولود فى اونتاريو سنة ١٩٤٢ ، الا أنه من المحقق أن جوردون لم يحمل الجنسية الكندية فى أى وقت . وقد دلت تحريات الشرطة فى تورنتو على أن « جوردون ارنولد لونسدیل » الحقيقى رحل الى فنلندا وهو طفل مع امه وبعض اقاربه وذلك بعد طلاق أبويه ، وهناك اختفى . وليس معروفا على وجه التحقيق كيف استطاع « لونسدیل » أن يدعى دخول كندا ، الا أن المظنون انه فعل ذلك بطريق غير مشروع عن طريق ميناء « فانكوفر » فى اواخر سنة ١٩٥٤ بعد أن وصل الى هناك قادما من بولندا ، واستطاع أن يحصل على صورة من شهادة الميلاد من مكتب الاحصاءات بتورنتو ، وفيها أن « جوردون ارنولد لونسدیل » ولد فى كويالت بتورنتو ، يوم ٢٧ من أغسطس ١٩٤٢ ، وبهذا المستخرج الرسمى قدم طلبا للحصول على جواز سفر كندى وحصل عليه ، وبعد أن قضى اسابيع قليلة فى احد المنازل المؤثثة بفانكوفر حيث قررت صاحبة هذا المنزل أنه « كان هادئا جدا ، نظيفا ، وحيدا دائما ، لا يتكلم كثيرا مع أحد » رحل الى شلالات نياجرا ، ومن هناك دخل الى الولايات المتحدة ، وبعد قليل أبحر الى انجلترا . ولما انقضت خمس سنوات جدد جواز سفره الكندى فى لندن ، وقال ان محل اقامته فى فانكوفر . وفى تلك الاثناء جاز اختبارا لقيادة السيارات فى بريطانيا .

وفى يوم ٦ من أغسطس ١٩٦٠ روى « لونسدیل » و « هوفتون » وهما يتقابلان أمام « اولدفيك » ولم تكن معهما الأنسة « جى » فى هذه المرة . وسار الرجلان معا فى شارع لورمارش حيث دخلا مقهى صغيرا ، وجلسا حول أبعد منضدة عن الباب . فاحتل المنضدة المجاورة اثنان من رجال مكتب مكافحة الجاسوسية حيث أمكنهما أن يسمعا قدرا كبيرا من الحديث الذى دار بين « هوفتون » و « لونسدیل » .
قال « لونسدیل » وهو يتأمل قصاصة صحفية قدمها له

« هوفتون » وكانت خاصة « بمارتن » و « وليامز » الموظفين بالحكومة الامريكية والذين قيل انهما هربا الى الاتحاد السوفييتى .

— شد ما أعجب ! هل هذه القصة صحيحة ؟

وأجاب هوفتون : نعم . انا واثق من فرارهما .
وبعد صمت قصير قال « لونسديل » : يبدو أن معك الكثير في
الحقيبة ؟

فأجاب زميله : نعم . معي أكثر من ثوب نومى وأدوات حلاقتى .
— ان الجيب يبدو منتفخا . لكأننى سأعمل كثيرا !!
فأجاب هوفتون ضاحكا : كثيرا .

وتناقش الاثنان بعد ذلك في اجتماعاتهما المستقبلية . فقال
لونسديل :

— ستكون هذه الاجتماعات فى أول يوم سبت كل شهر ، وبالأخص
السبت الأول من شهرى اكتوبر ونوفمبر ، وذلك فى ايستون ، وسيجلس
قائد السيارة فى سيارة بالمنطقة ، ولو أننى لا أعرف أين . ولكن من
المحقق أننى سأكون هناك ، وعليك أن تستخدم مترجما ، فابحث عنه .

فقال هوفتون : ان غرفة الفندق تكلف كثيرا .

فأجاب لونسديل مؤكدا : سينظر فى هذا الأمر .

رحيئذ قال هوفتون انه سيقابل فتاة من جنوب افريقية فى تلك
الليلة ، واستعلم من لونسديل ان كانت اتصالاته تمكنه من العثور على
عمل لهذه الفتاة ، فأجاب لونسديل بأن عليها أن تبدأ من البداية أولا .
وقبل أن يغادرا المقهى قال هوفتون للونسديل : لا أريد الدفع الآن .

وفى طريق عودتهما الى شارع واترلو ، توقفا عند قمرة ثليفسون
حيث ترك لونسديل الباب مفتوحا فى حين دخل هوفتون القمرة ، ورؤى
هوفتون وهو يخرج لفافة من حقيبته ويضعها فى صحيفة مطوية قدمها له
لونسديل . وبعدئذ أعاد هوفتون الصحيفة بمحتوياتها الى لونسديل .

وبعد ثلاثة اسابيع رؤى لونسديل فى فرع مصرف ميلاند بشارع
جريت بورتلاند وهو يحمل حقيبة سفر صغيرة بنية اللون ، اودعها
المصرف ، ثم رحل الى الخارج لعدة اسابيع . وفى أثناء غيابه قامت سلطات
الأمن باستصدار أمر تفتيش وفحصت الحقيبة فتبين أن بها مجموعة غريبة
من الأشياء : ولاعة منضدة رومانية ، وحقيبة صغيرة بها آلة تصوير (طراز
براكتينا) وعدسة مكبرة ، وفيلمان ، وبعض أشياء اخرى . ولم تكن هذه

الأشياء فى مجموعها بالتى تستحق أن يودعها العميل العادى فى مصرف قبل ذهابه الى القارة فى عطلة .

واسترد « لونسدیل » الحقيبة من المصرف يوم ٢٤ من أكتوبر ، ورؤى بعد ذلك وهو يستقل الترام من بيكاديللى سيركس الى محطة رويسليب مانور ، حيث نزل وسارح فى اتجاه جرانلى درايف ، وكانت هذه أول مرة يشاهد فيها فى هذه المنطقة .

وفى يوم السبت ٥ من نوفمبر ذهب « هوفتون » الى لندن من دورست بالسيارة وتتبعته الشرطة الى ديتون رود ، حيث انضم اليه « لونسدیل » . وركب الاثنان سيارة « هوفتون » وقد رؤيت السيارة فيما بعد وهى تقف فى جزء مظلم جدا من الطريق . وفيما بعد عاد الاثنان الى ميبول ودخلاه . وحينما غادراه فى النهاية ، كان « لونسدیل » يحمل حقيبة أوراق سوداء اللون لم يكن يحملها حين دخوله .

وفى المساء نفسه ، وبعد افتراق الرجلين ، ذهب « لونسدیل » بسيارته « الاستوديوبيكر » الى رويسليب وهناك قضى الليلة فى المنزل رقم ٤٥ بشارع كرانلى . وقد رؤى وهو يغادر هذا المنزل بعد ظهر اليوم التالى .

وكان هذا المنزل مسكنا ريفيا نموذجيا توجد ألوف مثله فى ضواحي لندن ، وله جراج وحديقة صغيرة ولكن المدهش أنه لم يكن به (ايريال) بتليفزيون .

ولقد دلت تحريات الشرطة على أن سكان هذا المنزل زوجان يحملان اسم بيتر وهيلين كروجر وقيل ان الزوج تاجر كتب أثرية .

جاء الزوجان كروجر الى انجلترا أول الامر فى ديسمبر ١٩٥٤ ، وكانا يحملان جوازى سفر نيوزيلنديين صدرا من قنصلية نيوزيلندا بباريس يوم ٣ من مايو ١٩٣٤ الى بيتر جون كروجر والسيدة هيلين جويس كروجر ، وقد تبين فيما بعد أن حاملي هاتين الوثيقتين حصلا عليهما باستخدام شهادات ميلاد مزورة وشهادة زواج مزورة أيضا . وفى بادىء الامر أقام الاثنان فى فندق صغير ، ثم انتقلا الى منزل مؤثث فى كاتفورد ، وأخيرا - أى فى نحو نهاية ١٩٥٥ - انتقلا الى منزل ريفى أنيق له مدخلان وبه تدفئة مركزية بشارع كرانلى نورايڤ برويسليب ، اشترياه من موظف هندى سابق .

وكان « بيتر كروجر » ملما الى حد ما بالكتب الأثرية ، وبخاصة تلك المتعلقة بأمريكا الشمالية ، ولذلك استأجر متجرا مقابلا لكنيسة سانت كليمانت ، للتعامل فى الكتب الأثرية المستعملة . وكان يحرص على حضور المزادات ، وكثيرا ما كان يشاهد فى غرفة البيع وما لبث أن عرف فى المهنة بوصفه مشترى . ثم انضم الى اتحاد الكتاب القومى ، وتقاسم بطلب للانضمام الى اتحاد باعة الكتب الأثرية الدولى . وكان يعلن عن تجارته كل اسبوع فى صحيفة المهنة « كليك » وفى غيرها من انصحف الأوربية والأمريكية فما لبث أن اكتسب عملاء كثيرين ، وأصبح يبيع كتبه للجامعات والمكتبات العامة فضلا على العملاء . وفى أواخر سنة ١٩٥٨ نقل تجارته من متجره القديم الى منزله فى رويسليب ، وبرر ذلك بأنه سبيل لاقتصاد كثير من النفقات وتجنب السفر كل يوم الى لندن والعودة منها . وهكذا أنشأ قسما خاصا لتجارته فى المنزل .

وكانت عضوية اتحاد باعة الكتب الأثرية الدولى تتطلب وضع العضو الجديد تحت الاختبار فترة معينة لأن مهنة الاتجار فى الكتب النادرة تتمتع بشهرة محترمة ولذلك كان « كروجر » شديد اللفتة على الانضمام لعضوية هذا الاتحاد ليستطيع حضور المؤتمر السنوى الذى كان مقررا عقده بامستردام فى أغسطس ١٩٦٠ . والواقع أنه انتخب عضوا قبل هذا الموعد وحضر الاجتماع .

وكان التصوير الفوتوغرافى هواية المسز كروجر ، ولم تحاول اخفاء هذه الهواية ، ولذلك أنشأت غرفة مظلمة فى منزلها لتحميض صور كتيبات مباريات الكريكت التى كان زوجها يشترك فيها - اذ كان كروجر يبدى اهتماما كبيرا بالألعاب الرياضية فى الهواء الطلق ، كما كانت تحمض صور رحلاتهما بالخارج . وكان الزوجان يملكان سيارة « كونسول » سوداء كانا يستقلانها عند ذهابهما للقارة حيث كانا يقضيان هناك عدة شهور أحيانا لأمر تتعلق فى الظاهر بتجارة الكتب . وكانا يبلغان جيرانهما برحيلهما فى كل مرة ، وفى أثناء غيابهما كانا يتركان منزلهما أحيانا فى رعاية صديقهما «جوردون لونسديل» الذى كان بدوره من هواة التصوير الفوتوغرافى ، ولذلك كان من الطبيعى أن يستخدم الغرفة المظلمة .

ولقد قرر «كروجر» انه وزوجته قابلا « لونسديل » لأول مرة فى باريس سنة ١٩٥٥ حيث قال لهما انه طالب فى مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن ، ولهذا كان من الطبيعى أن تدخل الكتب

فى اءادئءهما منذ بادئ الأمر • وقال الزوجان أن شءصفة «لونسءل» القوفة وءعلفقاته الأءبفة اءءءبءءها الفة ، ولءلك وءها الفة الءوة لزفارفءها فى روفسلفب • ففعل • وسرعان ما نشاء بفنهم صءءافة ءمفة • وكان فزورءها فى أثناء الاسبوع ءءى من ففر أن فبلفءها ءلففونفا بزفارفءه • وقال كروءر ولءذا كان من الطبفعف أن فترك منزنلنا فى رعافءه كلما سافرناف الف ءءارء • وكنا نءء المنزل نظففا مرءباف كلما عءنا من رءلائنا ، ولءذا لم فءر بفءنا مءلقاف أنه فمارس أعمالاف مرفة • لءء كان فعاون زوفءى فى ءءصوفر الفوءوفرافف • ولءلك لم نرءب مءلقساف فى اسءءءامه للءرفة المءلمة •

وعءء الف اءءى موظفءاف قسم مكافءة ءءءسس بمراقبة منزل « كرانلى ءرافف » بفن ءفن وءفن • وقء رؤف « لونسءل » وهو فءءل هءا المنزل فى المرة ءءالفة فوم ١١ من ءفسمبر ، وفى الفوم السابء ءعقبه رءال الشرءة الف اولءففك ءفء ءم لقاء آءر بفنه وبفن « هوفءون » والآنسة « ءف » • وكانت هءه المءابلاء ءءم مرة فى الشهر لءبائل المءلوماء • وءفنئء قررء سسلءااء الأمن أن الوقت قء ءان لءضرب ضربءها •

ففى فوم ٧ من ففافر ١٩٦١ رؤف « هوفءون » وهو فقوء سسفارفء من منزنله فى وفماوء فى اءءاء بورءلانء ، وبعء قلفل شوءءء الآنسة « ءف » معه فى السفارة فءبعءها رءال الشرءة الف مءطة سالفسبورف ، ءفء اسءقلاء قءار ءءالفة عشرة والنصف الف واآرلو • وسرعان ما ابلف المراقبون نباف مءفء الاثنفن الف لءءن ، الف اسءءلانءفارفء •

وفى الساعة الرابعة والنصف بعء ظهر الفوم نفسه ، رؤف الاثنان وهما فسفران بالقرب من اولءففك وفءبعءها « لونسءل » ، وبعء لءظاء قلفلة لءق « لونسءل » بهما وسار بفنهما مسافة قصفرة وهو فضع فءفه ففوق كءففهما ، ءم اءءقل ناففة الافرفز ، وأءء من الآنسة « ءف » سسله السوق ءفى كانت ءءملها •

وفى ءلك اللءظة مر بهم رءل فى ءفاب مءففة ، ءم اسءءار ووافهم قائلاف :

— اءنى ضابء شرءة ، وانف ألقى القبض علفكم ••

وكان هءا الرءل كبفر مءءشى الشرءة باسءءلانءفارفء « ءورء سمفء » •

وأبدى الثلاثة دهشتهم البالغة ، وقالت الأنسة « جى » : ماذا ؟ .

أما هوفتون ولونسديل فقد لهما الصمت .

وبعد أن انتزع « سميث » السلة من يد « لونسديل » ، أخذ الثلاثة الى اسكتلانديارد حيث أبلغوا انهم سيحجزون للارتياح فى أنهم ارتكبوا أعمالا مخالفة لقانون الأسرار الرسمية ، وحذر كل منهم على حدة ، وسئلوا عن اسمائهم وعناوينهم وفى حين أجاب « هوفتون » وخطيبته اجابات صحيحة ، أجاب « لونسديل » : لن أجيب عن أى سؤال توجهونه الى ، فلا تتعبوا أنفسكم .

أما « هوفتون » فقال : كم كنت أحمق ! .

وقالت الأنسة « جى » : اننى لم اقترف اثما .

وحينما سئل « هوفتون » عن « لونسديل » ، قال ان اسمه جونسون وأنه امريكى وبتفتيش « لونسديل » عثر معه على ٥٩٠ جنيه استرليني و ٣٥٠ دولارا امريكا فى حين عثر مع « هوفتون » على ١٧ جنيه ومع الأنسة « جى » على ٢٥ جنيه كلها من أوراق النقد مع أن مرتبها الاسبوعى ١٠ جنيهات و ١٣ شلن .

وأدى تفتيش مسكن « لونسديل » فى هوايت هاوس الى العثور على ١٨٠٠ دولار أخفيت بدهاء بداخل لفافتين صينيتين علقت احدهما فوق فراش « لونسديل » والأخرى فوق الدولاب .

وعثر بحقيبة السوق الخاصة بالآنسة « جى » على طردين ، بأحدهما أربع نشرات اختبار خاصة بالادميرالية وبالأخر أفلام لم تحمض تشتمل على ١٣٠ صورة فوتوغرافية لأوامر الأسطول البحرى وصفحات خاصة بتفصيلات التعديلات والاضافات الخاصة بنظم أسلحة البوارج الحربية منقولة عن المطبوعات الرسمية السرية .

وبعد الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم نفسه ، ذهب كبير المفتشين « سميث » وبعض الضباط الى منزل « كروجر » فى كرايلى درايف ، وفتح « كروجر » الباب لكبير المفتشين الذى قال له انه يريد التحدث معه ومع زوجته ، فأدخله « كروجر » الى غرفة الجلوس ، وبعد دقيقة عاد « كروجر » ومعه زوجته .

وبمجرد دخولهما الى الغرفة قال كبير المفتشين « سميث » : اريد أن

أعرف منكما اسم وعنوان السيد الذى يجىء للاقامة معكما فى عطلة نهاية الاسبوع وبالأخص فى يوم السبت الأول من كل شهر .

فتبادل الزوجان كروجر ، النظر ولم يجيبا فعاد « سميث » يقول :
هلا اجبتما ؟ .

فقال كروجر : ان لنا اصدقاء كثيرين .

فطلب كبير المفتشين منهما ذكر اسماء هؤلاء الأصدقاء ، فذكرا عدة اسماء من غير عنوانات ، ولم يشر أحد الزوجين الى اسم « لونسديل » .
وحينئذ ابلغهما كبير المفتشين انهما مقبوض عليهما ، وأن المنزل محاصر ، وأنه سيأخذها الى مركز شرطة رويسليب .

واستأذنت السيدة كروجر فى ارتداء ثياب لائقة ، فقال لهما
« سميث » احضرى معطفك .

فمضت الى غرفة النوم تتبعهما احدى الشرطيات ، حيث ارتدت معطفها والتقطت حقيبتها اليدوية وكانت موضوعة فوق أحد المقاعد . وهمت بالذهاب الى المطبخ لترى ان كانت الغلاية بحاجة الى العناية ، وهنا استوقفها « سميث » وطلب منها حقيبة يدها . فأعطتها له ، ففتحتها ، وأخرج منها غلافا أبيض وسألها عن محتوياته فأجابت : ليست لدى أية فكرة عن ذلك .

ومضت تقول انها خرجت لشراء بعض الحاجات من السوق فى ذلك الصباح وكان معها « لونسديل » وأنهما تناولا طعام الغداء معا .
وبينما كانا يفترقان اذ أخرج « لونسديل » الغلاف من جيب معطفه وهو يقول :

— هل تتكلمين بالاحتفاظ بهذه الرسائل الى أن أقابلك ؟ .

فأجابت بالإيجاب وعادت الى منزلها حيث ألقت بحقيبتها فوق أحد المقاعد بغرفة النوم .
وحينما طلب من المسز كروجر فيما بعد بمركز شرطة باوستريت أن توقع على قائمة بممتلكاتها رفضت الاعتراف بأن الغلاف ملكها .

وحينما فحص الغلاف ، تبين انه يحتوى على بعض أشياء غريبة .
كان به رسالة كتبها « لونسديل » بالروسية بتاريخ اليوم نفسه ، وقطعة من الزجاج عليها ثلاث قطرات دقيقة يمكن تكبيرها الى حجم ثلاث صفحات

كاملة من ورق الكتابة ، وكانت هذه القطرات تحوى رسائل كانت رسالة « لونسديل » ردا عليها ، والواقع أنها كانت رسائل من زوجته الموجودة بالاتحاد السوفييتى . وكان الغلاف يحوى أيضا ورقتين أخريين بإحدهما أرقام مطبوعة باللون الاسود ، مما يدل على أنها رسالة كتبت بالشفرة ، أما الورقة الثانية فاشتملت على اسماء ثمانية شوارع يحتمل أنها أماكن مناسبة للمقابلات .

وحين ترجمة خطاب « لونسديل » وجد نصه كالاتى :

« حبيبتي جاليوشا - تلقيت رسالتك الاولى ، وأنا سعيد جدا لموصول ثلاث رسائل فى وقت واحد ، واحتوى هذا الخطاب على الحاشية التالية : سأبلغ التاسعة والثلاثين قريبا . . فهلبقى كثير ؟ »

أما رسائل القطرة الاولى فمؤرخة يوم ٩ من ديسمبر ١٩٦٠ ، وترجمة بدايتها كما يلى :

« حبيبتي . أهنيك بالعيد . . بعيد ثورة اكتوبر الثالث والثلاثين . ترقبنا رسائل منك ولكنها قد تصل فى نهاية الشهر . اما عن عملى ، فكل شئ على ما يرام » .

وفى غرفة النوم شارع كرانلى دريف - عثرت الشرطة على مجهر يصلح لقراءة «القطرات» ومعه بعض الشرائح الزجاجية الشبيهة بتلك التى وجدت فى الغلاف الذى عثر عليه بحقيبة يد المسز كروجر . وخلف انجيل على احد رفوف الكتب عثر أيضا على قطعة من السلوفان مغلفة بمادة حساسة خفيفة من طراز الافلام المصنوعة محليا والتي تستخدمها المخابرات السوفييتية للتصوير الفوتوغرافى المتناهى الصغر .

وعثر فى المنزل نفسه على معدات أخرى للتجسس وهى كلها تدعو للدهشة . فقد وجدت ولاعة رونسون للمنضدة بقاعدتها فجوة سرية بها خطط للإشارات اللاسلكية ، وكانت هذه الولاة شبيهة بتلك التى أودعها « لونسديل » فى المصرف . وكانت احدى هذه الخطط خاصة بأيام الأحد الاول والثالث من كل شهر وتحدد اشارات اتصال مثل (لينا و «يا» و «آمور» وغيرها من الاسماء الروسية . وعثر أيضا على (كعبى) كتب بهما خزائن سرية . وراديو «مورفى» صغير جدا مصنوع بحيث يمكن وقف عمل مكبرات الصوت واستخدام السماعة . ووجدت فى الحمام علبة صفيح طراز « الزهور الثلاث » بها وعاء سرى يحتوى على تلسكوب

صغير لقراءة القطرات المصغرة . واسفر التفتيش عن العثور على باب سرى بالمطبخ يؤدي الى فراغ حجب بمبارة به جهاز ارسال يعمل على الموجة العالية للاتصال المباشر بموسكو ، وجهاز تسجيل اوتوماتيكي . وفي غرفة علوية عثر على «ايريال» طوله ٧٤ قدما وتسع بوصات متصل بجهاز الارسال . كما عثر على ٢٥٦٣ دولارا امريكيا وكمية من شيكات السياحة الامريكية وبعض من شيكات السياحة البريطانية وكانت جميع هذه الشيكات تحمل توقيع « بيتر كروجر » . كما وجدت مجموعة من جوازات السفر المزيفة منها جوازان كنديان يحملان اسم جيمس ويلسون « رجل الاعمال » وجين سميث « سكرتيرة » .

وقدم الاشخاص الخمسة المقبوض عليهم لقاضى الاحالة يوم ٩ من يناير فأحالهم الى المحاكمة متهمين بالتآمر معا لارتكاب مخالفات لقانون الاسرار الرسمية الصادر في سنة ١٩١١ . ولم يعترف الجميع بانهم مذنبون ورفض « لونسديل » والزوجان كروجر اخذ بصمات أصابعهم فأمر القاضى باخذها عنوة .

وفي يوم ١٣ من مارس سنة ١٩٦١ بدأت محاكمة المتهمين ، وكان المحلفون جميعا من الذكور ، واستمرت المحاكمة ثمانية ايام . واسترعت اهتماما كبيرا في جميع أنحاء البلاد .

وتولى المدعى العام السير ريجنالد ماننجهام بولر رئاسة الاتهام ، في حين تولى فريق من المحامين الدفاع عن المتهمين .

وكان الاتهام الذى وجه للمتهمين هو التآمر معا على الكشف عن معلومات سرية يمكن أن تساعد عدوا مرتقبا لبريطانيا . ولذلك حرص الاتهام منذ البداية على ايضاح أنه ليس من الضرورى أن يكون المتهمون جميعا على صلة ليثبت اجرامهم بشرط أن يكونوا مشتركين فى الوصول الى الغاية المشتركة نفسها وأن تكون هذه الغاية هي التى وردت فى قائمة الاتهام قال : « لنفرض انكم اقتنعتم بأن خمسة أشخاص يشتغلون بأعمال التجسس وانهم جميعا يلعبون دورا فيما يطلق عليه حلقة تجسس ، فليس مما يبرىء واحدا أو أكثر من المشتركين فى هذه المؤامرة أن يقول (اننى لا أعرف جميع الذين يشتغلون فى هذا العمل) ففى مثل حلقة الجاسوسية

هذه قد يكون من المفيد اخفاء شخصية كل واحد منهم عن الآخرين ،
والواقع أنه لم تكن هناك أدلة على أن «هوفتون» أو الأنسة «جى» كانا
يعلمان بوجود الزوجين كروجر » .

وبعد أن أوجز النائب العام الحقائق ، التى أدت الى القبض على
الأشخاص الخمسة ، مضى يصف الاشياء التى عثر عليها بمنزلهم بعد
اعتقالهم فقال : « انه عثر على مبلغ ١١٥٠ جنيها بعضه نقد والبعض
الآخر سندات لدى «هوفتون» ، مع أن مرتبه فى السنة ٧٤١ جنيها ، كما
عثر بمنزله المكون من ثلاث طبقات والموجود عند اطراف ويموث على عدد
من رسومات الادميرالية ومن بينها رسم لرصيف بورتسماوث يصلح
لأعمال التخريب . وعثر فى درج المكتب بغرفة الجلوس على رقعة من الورق
بها كلمة « احفظ » يعقبها ثلاث مجموعات من الأرقام الثلاثية وكلمة
« ذهب » يعقبها أربع مجموعات من الأرقام الثلاثية ، وجميع هذه الأرقام
توضح الأرقام المستخدمة فى نشرات اختبار منظمة أسلحة تحت الماء وفى
هذا قال النائب العام « ان جميع نشرات الاختبارات تحمل أرقاما وهى
النشرات التى تستطيع « جى » و « هوفتون » الاطلاع عليها فى أثناء
عملهما ، ومع أن الحصول على نشرة واحدة منها قد يفيد العدو الى حد
ما ، فان للحصول عليها جميعا أهمية بالغة » .

وفى أثناء تفتيش منزل الأنسة «جى» فى همبرو رود ببورتلاند
وجدت فى حقيبة يدها بغرفة نومها وثيقة ذكر بها اثنا عشر موضوعا
مثل « الغواصات والبوارج الحربية » مطلوب الحصول على معلومات عنها .
وكان بعض الكلمات المستخدمة فى هذه القائمة ترجمة مباشرة من اللغة
الروسية . وكانت الاجابة عن كل موضوع تهم أى عدو مرتقب ، ولكن
الاجابة عنها جميعا تعطى صورة كاملة « للمجهود » الذى تبذله بريطانيا
ضد الغواصات ويوضح الابحاث التى تجربها للمستقبل .

وعثر على رقعة أخرى من الورق فى الحقيبة اليدوية تحتوى على ثمانية
عشر رقما . وكانت جميع هذه الأرقام تدل على نشرات اختبار مجموعة
معينة من الغواصات . وقد ذكر أن ثلاثا منها سرية .

ووجدت فى ثلاث حقائب يدوية أخرى أوراق نقد قيمتها ٣١٦
جنيها ، وخمسة جنيها ، وجنيه واحد ، ودفتر توفير بينك الاقتراض
الوطنى بهما ٧٢٦ جنيها ، فضلا على عدد من شهادات الاسهم ، مع أن مرتبة
« جى » الاسبوعى ١٠ جنيها و ١٣ شلن .

وأخيرا أشار النائب العام الى الاقوال التى أدلى بها «هوفتون» وخطيبته بلشرطة بعد انقبض عليهما ، فقد قال « هوفتون » انه قرر أن يعترف بما فعل . لانقاذ الأنسة «جى» لأننى ورطتها فى هذه المشكلة . وطبقا لقصته : فان رجلا وصف نفسه بأنه مساعد الملحق البحرى بالسفارة الامريكية بلندن وذكر أن الكوماندر اليكس جونسون زاره فى منزله برايموث فى شهر يونيو الماضى ، وقال له ان زميلا له فى السفارة الامريكية بوارسو كان « هوفتون » يعرفه طلب اليه الاتصال بهوفتون وأنه عثر على اسمه وعنوانه فى دليل التليفونات . وقال « هوفتون » : « كان رجلا ظريفا وكان يعرف كل ما يتعلق بحديث رجال البحرية وعاداتهم فقبلته على علاته » .

وعقب النائب العام على ذلك بسخرية قائلا : أليست قصة غير عادية أن يلجأ مساعد الملحق البحرى الأمريكى فى لندن الى موظف كتابى يعمل فى وحدة الاصلاح الاضافية فى اياموث ، لأن صديقا مشتركا فى بولندا قال له أن يستقبله بحفاوة ؟ » .

وكان ما حدث بعد ذلك أكثر مدعاة للغرابة ، فقد قدم «هوفتون» خطيبته «للكوماندر جونسون» وأفضى اليه فى الوقت ذاته بمحل عملها ، وكانت نتيجة ذلك أن قال له «هوفتون» ان السلطات الامريكية متلهفة على معرفة ما اذا كانت البحرية البريطانية تستخدم المعلومات التى تقدمها لها ، وسأله ان كان فى استطاعته أن يحصل من «جى» على معلومات فى هذا الشأن . وقال «لونسديل» : «أرى أن أحاول اقناع الأنسة «جى» ، وذلك بالتلطف معها ، بأن تجعلنى أرى وثائق معينة فقالت ان هذا العمل محفوف بالمخاطر ، فأجاب بأننا جميعا نعمل لتحقيق غاية مشتركة ، وكنت أحقق فوافقت » .

وتساءل المدعى العام : لشد ما أعجب ! ما هى هذه الغاية المشتركة؟

ولقد قال «هوفتون» انه أفضى لخطيبته بقصة ملثوية ، اذ قال انه يريد التثبت من صحة بعض أقوال جونسون ، ولذلك سألها هل يستطيع الاطلاع على بعض الوثائق ؟ . ومضى «هوفتون» يقول : « استخدمت جميع وسائل الاقناع معها ، ومع أنها أبدت ترددا كبيرا الا أننى استطعت أن استدرجها فى النهاية ، فحصلت على الملفات » .

وفى تلك الأثناء كان الكوماندر جونسون . قد أعطى «هوفتون» آلة تصوير وبعض الأفلام ولمح الى أن جيوبه عامرة بالمال . وأضاف «هوفتون» :

« وقررت أن أصور له مالا يضر لأثر الرماد في عينيه » . وأضاف المدعى العام معلقا على «مالا يضر» بأن «هوفتون» قال بأنه صور نشرة الإدميرية السرية .

وختم «هوفتون» أقواله قائلا : أحب أن أقول ان الأنسة «جى» كانت ضحية بريئة لحماقتى ، فأنا لم أتحقق من شخصية الكوماندر ، اكتفاء ببطاقة الزيارة التى أبرزها لى .

وراح المدعى العام يخبر المحلفين برأيه فى أقوال «هوفتون» بأبسط الكلمات فقال : « انه مع ما قد يتبادر الى ذهن المرء من ان الأنسة «جى» تصرفت تحت تأثير خطيبها ، الا أنه من الخطأ الفاحش أن توصف بأنها ضحية بريئة . وبالتالى فان اعتراف الاثنين بأنهما خدعا فى شخصية «لونسديل» لا يبرر عملهما ويعتبر اعترافا منهما بأنهما مذنبان .

أما أقوال الأنسة «جى» التى أدلت بها بناء على طلبها عقب تقديمها لقاضى الاحالة مباشرة ، فلم تكن أقل بعدا عن التصديق ، فبعد أن وصفت لقاءها الأول مع «لونسديل» أمام اولدفيك حينما قدمها «هوفتون» للكوماندر جونسون من بحرية الولايات المتحدة ، قالت ان خطيبها طلب منها بعد المقابلة الحصول على صور لبعض «الوثائق التى لا تضر» حتى يستطيع أن يناقش الأمر من غير أن يبدو جاهلا ! . ومع أنى أعلم أنه ماكان يجدر بى أن أفعل ذلك ، الا أننى لم أجد أى ضرر فى الحصول على بعض النشرات من الكتب لكى يتمكن هارى من التحدث الى الأمريكى . وقالت «جى» أيضا : حينما أعطيت النشرات لهارى قال انه سيعيدها الى يوم الاثنين . »

وبعد ذلك استدعى الاتهام شهوده ، وكان أكثرهم من رجال قسم مكافحة الجاسوسية ، فوصفوا كيف أنهم وضعوا المتهمين تحت المراقبة ، وأعقبهم كبير المفتشين «سميث» الذى وصف القبض على المتهمين وما عثر عليه لديهم من أدلة على الادانة وأضاف قائلا : ان «هوفتون» طلب مقابلته فى السجن ، فلما قابله قال له :

— اذا أحضرت صور أشخاص معينين الى السجن فساعدواوك فى التعرف عليهم لأننى أريد الادلاء باعتراف .

فسأله الدفاع : هل كان يعرض تقديم أقصى ما يستطيع من المعونة ؟ .

فأجاب المدعى العام : فى ذلك اليوم ، ولكنى ماكدت أعود للمسجن حتى تغير الحال .

— هل كان ذلك عندما قلت له ان نسخة من رأى اقوال كتابية سيدلى بها ستقدم الى المدعى عليهم الآخرين كدليل على أنه عدل عن رأيه ؟ .

فقال الشاهد : لا ، لم يكن الأمر كذلك . لقد أراد أن يعقد صفقة معى بأن أجعله شاهد ملكة ، فلم أستطع الموافقة على ذلك .

ولقد أتاحت هذه الاعترافات المؤسفة — من وجهة نظر هوفتون — الفرصة للمدعى العام لاعادة استجواب الشهود ، فقيما يتعلق بالصور الفوتوغرافية ، قال كبير المفتشين سميث « أراد مشاهدة صور الروسيين والبولنديين الذين يعملون فى سفارات دولهم بهذه البلاد » .

— وهل قال لك لماذا كان يريد رؤية هذه الصور ؟ .

— لمحاولة التعرف عليهم ، فقد كانت بينه وبين بعضهم صلة .

وحينئذ سأل المدعى العام كبير المفتشين عن « رغبة هوفتون » فى عقد صفقة .

وأحدثت اجابة كبير المفتشين ضجة فى قاعة المحكمة .

قال : أراد أن يمدنى بمعلومات أقدمها للسلطات المختصة ، وبذلك يتحول الى شاهد ضد المتهمين الأربعة الآخرين ، بدلا من أن يكون متهما .

واستطرد المدعى العام : هل طلب رؤية صور أى اشخاص أمريكيين أو كنديين ؟ .

فأجاب كبير المفتشين بلهجة قاطعة : لا . . لم يفعل .

ووصف شهود تاج آخرون مختلف الأشياء التى وجدت فى منزل «كروجر» وصفامستفيضا ، وكيف انه كان من بينها آلة تصوير «براكتينا» الخاصة «بلونسديل» وهى التى سبق أن أودعها المصرف قبل القيام برحلته الاخيرة للمقارة ، علاوة على جوازات السفر المزورة ، ومن بينها اثنان كنديان باسم ولسون ومارى جين سميث ، وقد عثر عليهما مخباين فى غطاء (وراقة) جلدية جديدة .

أما الكابتن ج . و . سايموندس ، وهو ضابط قديم فى الادmirالية

متخصص فى ابداء النصح فى جميع الشئون المتعلقة بالحرب تحت الماء ، فقال : ان الافلام التى وجدت فى حقيبة السوق الخاصة بالآنسة «جى» وقت القبض عليها ، تألفت من النصف الأخير من الكتاب السرى «خواص البوارج الحربية» ومن أوامر أسطول الادميراليه وبعض الرسومات السرية وأول غواصة ذرية . وكلها تفيد أى عدو مرتقب .

وعند سؤال دفاع «هوفتون» للشاهد ، وافق هذا على أن صور صفحات «خواص البوارج الحربية» لم تكن واضحة ولهذا كان من الصعب جدا قراءتها ، ولكنها اذا وضعت تحت المجهر فيجوز فك طلاسم نحو ٩٠٪ مما صور ، ولو أن جزءا كبيرا من المعلومات الواردة فى الصفحات التى تم تصويرها قد أصبح علنيا .

ومن بين صور أوامر أسطول الادميرالية التى التقطها «هوفتون» أمر خاص بعلاج الأمراض التناسلية .

سأله محامى «هوفتون» : هل تظن أن هذا يفيد أى عدو مرتقب ؟

فأجاب الشاهد : انه يبين الى أى مدى تمضى الأمور فى البحرية .

- لعلك لا تريد القول بأن كل ما جرى فى البحرية يفيد عدوا مرتقبا ؟

- كلا . ولكن للعلاج الطبى فائدة الى حد معين .

وكان آخر شاهد للاتهام هو المستر «ت» الذى قال انه اخصائى فى وسائل الاتصال بمحطات الرقابة ، وأنه استطاع ان يلتقط الاشارات التى أرسلت الى منزل «كروجر» وامكنه أن يحدد أنها مرسلة من منطقة موسكو .

- ٣ -

بعد ظهر اليوم الرابع من أيام المحاكمة انهى الاتهام مرافعاته ، ونهض محامى الآنسة «جى» ليقول للمحكمة انه يعتزم استدعاء موكلته للدلاء بالشهادة ، ولكنه لن يستدعى أى شاهد آخر . وتقدمت من المنصة سيدة ممثلة الجسم فى منتصف العقد الخامس من العمر ، عليها مسحة من الجمال . وقالت ان اسمها «ايل اليزابيث جى» ولكنها مشهورة عند اسرتها وأصدقائها باسم «بانتي» .

وقالت ردا على سؤال محاميها ان أباهما كان حدادا من هامبل بهامبشاير وأنه مات وهي صغيرة ، ولقد ورثت سبعمائة جنيه من جديها .
واقامت في بورتلاند مع أمها التي بلغت الثمانين من العمر ، وعمة مريضة في سن أمها ولم يتعد اهتمامها بالشئون السياسية ابداء صسوتها في الانتخابات العامة ، وكانت تعطيه للاحرار دائما ، وأنها لاتنتمى لأية منظمات سياسية . وأضافت أنها قابلت «هوفتون» حينما جاء ليعمل في المكتب المجاور في مؤسسة الأدميرالية ببورتلاند ونشأت بينهما صداقة ،
وحين ابتاع كوخا في بورتلاند زخرفاه معا ، وأنها كانت تفكر في الزواج منه لو كانت شئونها المنزلية حسنة .

وحينما سئلت عن عملها أجابت بأنها حينما كانت تبحث عن نشرات الاختبار تعمل قوائم على رقع من الورق كانت تضع بعضها في جيب سترتها أو في حقيبتها اليدوية ، وقد تعرفت على قائمة أرقام النشرات على ظهر قائمة تسويق ، وأضافت أنها كتبت الفرق بين «الهيدروفون» و «الترانسديوسر» لمعلوماتها الخاصة ، وأن أول مرة سمعت فيها اسم «لونسديل» كانت في محكمة شرطة بلوستريت فقد كانت تعرفه دائما باسم «اليكس جونسون» .

— متى سمعت اسم اليكس جونسون لأول مرة ؟ .

— ذات صباح في أثناء ذهابي الى العمل مع «هوفتون» فقد قال هاري أن اليكس جونسون زاره في الليلة الماضية ، وأنه من المحتمل أن يقدمنى له في أثناء زيارتنا التالية للندن .

— هل كان هاري يبدو مضطربا أو قلقا ؟ .

— لم يكن قلقا ، لأنه يسر دائما من مقابلة الناس .

— هل اخبرك بجنسية جونسون ؟ .

— قال انه امريكى له صلة ببحرية الولايات المتحدة .

وأردف أنها قابلت «لونسديل» مرة يوم ٩ من يونيو ١٩٦٥ حين قدمها «هوفتون» قائلا «لاليكس جونسون» صديقتى باتنى» .

وحينما سئلت عن آلة التصوير التى أعطاها جونسون لهوفتون لتصوير بعض الأوراق التى قدمتها اليه من نشرات الاختبار ، قالت انها ظنت « أن هذا أمر مضحك ، ولكنها لم تر فيه شيئا اجراميا » . وكان

تفسيرها للوثيقة التي وجدت في حقيبة يدها أنها كانت صورة من وثيقة أعطاهها هوفتون لها قاتلا انها «جاءت مع آلة التصوير» ، وأنها نسختها بنفسها ، وأحرقت الأصل ، ظنا منها « ان الأمر مضحك » .

- مادام الأمر كان مضحكا في نظرك ، فلماذا نسخت الوثيقة ؟
- لأنها استهوتني .

وقالت : انها كانت تعمل في مشروع « اسديك » في الأسبوع السابق على ٦ من يناير ، وأنها ظنت أن بعض نشرات الاختبارات قد تكون مفيدة ، فأخذت سبعا منها كانت على مكتبها في ذلك الحين .

قالت : وضعتها في غلاف رسمي ، ثم وضعت الغلاف تحت ابطن حين خروجي .

ومضت تقول «انها لم تتوقع ان يأخذ «هوفتون» النشرات الى لندن ولما استقلا القطار معا في ساليسبوري يوم ٧ من يناير لم تكن تعلم شيئا عن محتويات سلة تسويقها ، وأنها تذكر أن «هوفتون» قال انها تحتوى على لفافة من نشرات الاختبار وعلبة من لحم اللسان ، وأخيرا وصفت ما حدث حينما قابلت لونسديل بقولها :

— لقد أخذ السلة من يدي ، وخيل الى أن هذا أمر طبيعي يفعله كل رجل مهذب !

وأردفت أن كل ما تعلمه بعد ذلك هو أنها عرفت ما كان في السلة بعد القبض عليها .

— لقد هزنى ذلك ، وأحسست بنهسول ، كنت أومن بأننى لم ارتكب خطأ . أما عن الزوجين كروجر فأننى لم أسمع بهما أو أرها الا في المحكمة .

وكان استجواب المدعى العام لها موجزا ولكنه كان قاتلا . .

— حينما استجوبت في اسكتلانديارد قلت أنك لم ترتكبي خطأ . . فهل كان هذا صحيحا ؟

— فى ضوء ما تكشفته عنه الأمور ، فأننى ارتكبت خطأ خطيرا .
أما حينذاك فأننى لم أشعر بأننى ارتكبت أى اجرام .

— لقد خالفت قواعد عملك حينما كنت تأخذين هذه النشرات معك وتعطينها لهوفتون في عطلات الأسبوع ؟

– نعم ...

– ألا ترين أنك وهفتون خنتما الأمانة ؟

– نعم ..

– لا من أجل أفكار سياسية ، ولكن طمعا في المال ؟

– لا أوافق على ذلك .

وحينما سئلت عن القائمة التي وجدت في حقيبة يدها ، قالت ان « لونسديل » نفسه لم يقل لها شيئا عنها ، ولكن « هوفتون » قال لها حينما أعطاها لها : كان هذا قدرا من المعلومات التي طلبها « لونسديل » ولم يعن ذلك شيئا بالنسبة لها .

– لو أنك وجدت نشرات اختبار عن هذه الموضوعات . فهل كنت تسلمينها لهوفتون ؟

– يحتمل .

– حتى يراها لونسديل ؟

– نعم ..

– هل معنى ذلك أنه كان من المتفق عليه أن يدفع « لونسديل » ثمنا لهذه المعلومات ؟

– لم يناقشني لونسديل في ذلك مطلقا .

– سمعت كبير المفتشين «سميث» يقول ان «هوفتون» عرض أن يتحول الى شاهد ملقة . هل يعنى ذلك – ان كان صحيحا – أنك لم تكشفى لنا عن كل ماحدث ؟

– لست افهم .. ماذا تعنى ؟ ..

– قيل لنا ان « هوفتون » أراد الاطلاع على صور بعض الروسيين والبولنديين للتعرف على من كانت له بهم صلة ، فهل كانت لك اتصالات بأي روسيين أو بولنديين ؟

– لا ..

– هل حقا ظننت في أثناء سفرك الى لندن مع « هوفتون » يوم

٧ من يناير أنه لن يأخذ معه بعض نشرات الاختبارات التي أعطيتها له في الليلة السابقة ؟

— لقد دهشت لذلك كثيرا حينذاك .

وحينما سألهما رئيس المحكمة عن تقديم النشرات لهوفتون قالت «انها كانت تثق فيه» وانها لم تكن تعتقد مطلقا أنه سيستخدمها .

ونودي «هوفتون» ، وبدأ يدلي بشهادته بأن وصف ماضيه في الخدمة وما عقب ذلك من تعيينه بين موظفي الملحق البحري بوارسو ، وأنه طلق زوجته في هذه الفترة لأنه قابل فتاة بولندية اسمها «كريستينا» ، وعن طريق هذه الفتاة تورط في سلسلة من عمليات السوق السوداء ، وأنه حصل على مبلغ ٤٠٠٠ جنيه عن هذه العمليات بعد عودته الى إنجلترا ، دفعها له أحد المشتغلين في هذه العمليات ، وكان هذا هو التفسير الذي قدمه لثرائه المفاجيء والنقود التي وجدت في منزله . وأضاف أنه لم يدفع له شيء من هذه النقود مقابل الحصول على معلومات سرية .

ومضى «هوفتون» يقول انه في أوائل سنة ١٩٥٧ تلقى مكالمة تليفونية من رجل قال ان لديه معلومات يريد الافضاء له بها عن «كريستينا» وكان «هوفتون» يعلم أن «كريستينا» متلهفة على مفادرة بولندا ، ولذلك ظن محدثه أنه بهمه أن يعلم أن «كريستينا» هربت فعلا من بولندا . وقال ان المتحدث — الذي لا يعلم هوفتون من هو — اتفق معه على مقابلته في متحف فن والويتش ، ولكن بدلا من أن يحدثه عن «كريستينا» فان هذا الرجل الذي فهم «هوفتون» انه رجل المخابرات البولندية ، سأله : هل يمكنك أن تحضر لى بعض معلومات بحرية ، وقال «هوفتون» أنه أجاب بأنه غير مسموح له بأن يفعل هذا ، وان واجبه يقضى عليه بإبلاغ الأمر للشرطة نظرا لأن محدثه يبدو أجنبيا .

— هل قال شيئا آخر ؟

— قال ما معناه انه سيفضب منى ومن زوجته اذا فعلت ذلك .

— هل اعتبرت هذا تهديدا جديا ؟

— نعم اعتبرته تهديدا خطيرا .

ومضى «هوفتون» يقول ان الرجل اطاعه علم نشره اعلانات لهوفر ، وقال له « اذا احتجنا اليك ثانية فسنرسل لك هذه النشرة » ثم اعطاه ثمانية جنيهات لتغطية نفقات السفر من وايموث .

واسستمر « هوفتون » يقول انه تلقى النشرة في خريف ذلك العام ، وأنه ذهب الى مكان عام اسمه « توبى اند جاج » عند معبر كنجستون « ذهبت لأرى ما سيحدث » وكان قد أخذ معه صحيفة « هامشير » المحتوية على بعض المعلومات غير المبوبة . وقابله الرجل نفسه ، وحينما قال له « هوفتون » ان المعلومات الوحيدة التى يستطيع تقديمها له مستقاة من الصحف ، هده الرجل بأنه وزوجته « سيضربان » .

وقال « هوفتون » : قلت له ان مثل هذه الأشياء تحدث فى بلاده ، وأن فى استطاعتى أن أحصل على حماية الشرطة ، ولكن الرجل قال لى : هل تذكر اسم بتروف ؟ لقد كان فى السفارة السوفيتية باستراليا ، ولكنه انحاز للغرب ولم يستطع الاستراليون حمايته . اذ مع ان الحكومة الاسترالية تمنحه ألفى جنيه فى العام وحمايتها ، الا انه يعيش فى خوف دائم على حياته . ألا تعلم أن الرجل أصبح الآن سكيرا متداعيا ، وأن الحكومة الاسترالية سوف تسر اذا ذهب ؟ .

وأضاف « هوفتون » ان محدثه ذكر له « تروتسكى » أيضا ، وقال : لقد ظفرنا به بعد مضى عشرين عاما مع أنه كان يقيم فى قلعة .
ولسوف نظفر بك بسهولة .

وقال « هوفتون » انه لم يبلغ عن هذا الحديث ، وأردف : وكان من أسباب ذلك أننى لم أعطه شيئا ، فضلا على أننى كنت أصدق ما قاله لى .

ومضى يقول : انه تلقى نشرة ثانية ولكنه تجاهلها ولم يتخذ أى اجراء ، ولكن ما ان انقضت فترة قصيرة حتى هاجمته عصاية من « اشرار لندن » فى أثناء عودته لمنزله ذات ليلة ، وأوسعته ضربا . وسأله أفرادها عن سبب عدم ذهابه الى لندن حينما تلقى البطاقة ، ثم ضربوه ضربا مبرحا لم يكابده من قبل بقبضات الأيدى وبالأقدام . وأردف « هوفتون » انه لم يبلغ الأمر للشرطة لاعتقاده أنها لن تستطيع أن تفعل شيئا .

وأعقبت ذلك تهديدات أخرى باستخدام الشراك الجهنمية والطرود التى تتفجر . وقد تلقى دعوة جديدة ولكنه تجاهلها ، فتعرض للضرب مرة أخرى الى أن فقد وعيه . وفى هذه المرة هددوه بالظفر به عن طريق خطيبته « فاعتبرت ذلك أخطر تهديد » فقد كان فى استطاعتى احتمال المكاره ، ولكنى كرهت أن يحدث شئ لى ، أو لزوجتى السابقة .

وبعد ذلك زاره الرجل الذي عرف الآن ان اسمه « لونسديل »
وقال له « ان اسمه اليكس جونسون ، وأنه مساعده الملحق البحري ،
وكان قد ذهب الى بولندا في عمل » وقال « هوفتون » انه بدأ يفكر في
تلك الليلة ان هذا الرجل لم يكن أمريكيا . . ثم انكشف القناع !

واستطرد « هوفتون » يقول ان الورقة التي أخذها من « لونسديل »
يوم ٩ من يوليو كانت غلafa به تذكرتان لباليه برلشي بالبرت هول
ابتاعها « لونسديل » له وللآنسة « جي » ولكنه انكر الحديث الذي
ادعى رجال قسم مكافحة التجسس أنه دار بينهما في مقهى ستييف ،
باستثناء الاشارة الى الامريكيين اللذين هربا ، أما عن صور « خصائص
البوارج الحربية » فقد تعمد أن يهز آلة التصوير كي تستحيل رؤية أسلحة
البوارج واستهلاك الوقود « وكان الغرض أن تبدو الصور هامة ،
ولكنك اذا أخذت تفحص التفاصيل فلن تحصل على شيء »

وهنا سألته محاميه عن الصفقة التي حاول أن يعقدها مع كبير
المفتشين « سميث » وفي بادئ الأمر قال « هوفتون » انه لا يرى أن
يصف ذلك بأنه صفقة ولكنه وافق فيما بعد على أنه من الجائز « أنها
كانت صفقة » فقد أراد أن يعرف هل المعلومات التي عرض تقديمها
ستساعده هو والآنسة « جي » .

فقال الاتهام : يقول كبير المفتشين « سميث » انك أردت الادلاء
بأقوال ضد الأربعة الآخرين ؟

— لا . لم أكن راغبا في الادلاء بأقوال ضد الآنسة « جي » مهما
تكن الظروف ، الا اذا اضطرت لذلك .

وسأل محاميه : هل تعتبر نفسك انجليزيا وطنيا ؟

فأجاب هوفتون : بكل تأكيد ، كنت اعتبر نفسي انجليزيا وطنيا .

وهنا تدخل المدعى العام مستغلا الثغرة التي فتحها له الدفاع
للقضاء على « هوفتون » . . .

سأله : قلت انك كنت تعتبر نفسك انجليزيا وطنيا ، فمتى
كففت عن اعتبار نفسك كذلك ؟

— حينما تورطت في هذه المشكلة .

— ومتى كان ذلك ؟

— فى يناير ١٩٥٧ .

— بنض النظر عن دافعت الى ذلك ، فقد وافقت على تقديم معلومات خاصة بالبحرية الملكية لأشخاص كنت تعلم أنهم أجنب ؟

— نعم . .

— لقد اعترفت بأنك اعتزمت تقديم مثل هذه المعلومات يوم ٧ من يناير وأنت أحضرتها معك الى لندن ! .

— نعم . .

— أنك متهم مع « جى » و « لونسديل » وغيرهما بنقل معلومات قد تفيد عدوا مرتقبا الى أشخاص آخرين !

— نعم . .

— اذن لماذا لم تعترف بأنك مذنب ؟

— لأننى أردت الاحتفاظ بفرصة ابداء سبب ذلك .

— لو اعترفت بأنك مذنب لاتيحت لك فرصة الافضاء بما تريد .

— لست ملما بالقانون .

فرماه النائب العام بنظرة تنطوى على القسوة والغضب وسأله :

— ألسنت مذنباً فى الاتهام الموجه اليك ؟

فأجاب هوفتون : قد أكون كذلك بالطريقة التى فرض بها الاتهام

على :

— أنك متهم بالتآمر مع آخرين على اىصال معلومات قد تفيد عدوا

محتملا !

— اننى لم أتآمر مع الزوجين كروجر ، لأننى لم أكن أعرفهما .

وكان تصريح « هوفتون » التالى ضربة قاضية له ، اذ سأله الاتهام :

— من حيث اتصال الأمر بعلاقاتك مع « لونسديل » هل توافق

على أنك تآمرت معه على تزويده بمعلومات عن البحرية ؟

— نعم . .

— معلومات قد تفيد عدوا مرتقبا ؟

— لم أكن أظن ذلك .

لم يدل «لونسديل» ولا الزوجان كروجر ، بشهاداتهم ، وإنما قرا كل منهم أقواله المكتوبة من قفص الاتهام ، ونظرا لانهم لم يؤدوا القسم فلم يكن من المستطاع استجوابهم .

ونهض «لونسديل» أولا ، وقال : سادلى بهذه الأقوال رغبة منى فى عدم الاضرار بالمستر والمسز كروجر ، لاننى وضعت بعض مقتنياتى فى منزلهما . .

فقد كانت جميع الأدلة التى وجدت فى منزلهما هى اما ان «لونسديل» يملكها او انه قدمها لهما على سبيل الهدية ، كولاعة السجاير وغلاف الكتاب ذى التجويف السرى ، وقال «لونسديل» انه كان يقيم فى منزلهما الريفى فى أثناء غيابهما ، وأنشأ مكانا سرىا تحت الارض وضع فيه جهاز الارسال وغيره من الاشياء التى عثر عليها ضباط القسم المخصوص ، ونظرا لانه توقع أن يواجه الزوجان كروجر المتاعب فقد قرر أن يحصل لهما على جوازى سفر مزيفين ، وخبأهما فى (الوراقة) الجلدية ولم يكن الزوجان كروجر يعلمان شيئا عنهما . وقال «لونسديل» انه طلب من المسز كروجر الاحتفاظ بالغلاف الكبير المحتوى على الخطاب المكتوب بالروسية ، والرسائل المصغرة .

ثم اضاف : اعلم انه لم يعد فى الامكان تصحيح الوضع الآن ، ولكنى اشعر بأن اقل ما أستطيع أن أفعله فى هذه الظروف هو أن أتقبل المسئولية الكاملة عن عملى ، بصرف النظر عن النتائج التى ستترتب على ذلك بالنسبة لى .

ونهض بيتر كروجر ، وقال : ان ماقاله «لونسديل» صحيح فيما أعلم ، أما فيما يتعلق بى وبزوجتى فاننى لست أكثر من تاجر كتب نادرة . ورفع يده ، وبها نسخة من مجلة لتجارة الكتب النادرة ليراها المحلفون . وأردف :

— هذا هو اعلانى على الصفحة السابعة والاربعين .

ومضى يقول انه وزوجته لم يشتركا فى أعمال التجسس أو فى أية أعمال أخرى يمكن أن تعتبر غير مشروعة ، أما «لونسديل» فمجرد صديق ، وقال : اننا لا نعرف شيئا عن التجايف السرية وما شابها ، كما كنا نجهل جهلا تاما الاشياء التى أخفيت فى الكتب وغيرها ، ولم تكن نعلم

بوجود جوازات السفر الكندية ، ولم توضع الصور الفوتوغرافية التي بها
بمعرفتنا ، وبالتالي فان التوقيعات التي عليها ليست توقيعاتنا .

وختم كروجر كلامه قائلا : انهما أجابا عن أسئلة الشرطة بكل صدق
وأمانة .

ورددت هيلين كروجر أقوال زوجها ، وقالت ان القداحة (الولاعة)
التي أعطاها «لونسديل» لهما استخدمها عشرات من الاصدقاء ، وانها لم
تلاحظ شيئا غريبا فيها ، وأردفت ان المرة الوحيدة التي رأت فيها الباب
السري كانت حينما استدعت (سباكا) لاصلاح انابيب التدفئة المركزية ،
ولكنها لم تر أية أدلة تشير الى استعمال هذا الباب بعد ذلك .

واختتمت هيلين كروجر كلامها قائلة : كنت أهتم بمنزلي ، وأساعد
زوجي في عمله . انني لأعلم شيئا عن التجسس ، ولا صلة لي بمثل هذه
الامور .

وبعد مناقشة قصيرة بين الاتهام والدفاع أوجز كبير القضاة الأدلة
وقال للمحلفين :

— عليكم الاخذ بالأدلة المهيأة لكم فقط . في هذه القضية ثلاثة عناصر
يتعين على الاتهام اثباتها ، أولها هل كان هناك اتفاق لنقل المعلومات ؟ ثانيها
إذا كان هناك مثل هذا الاتفاق ، فهل كانت هذه المعلومات نافعة للعدو على
نحو مباشر ؟ . ثالثها : هل كان الاتفاق يهدف الى الاضرار بسلامة الدولة
ومصالحها .

ومضى كبير القضاة يستعرض الأدلة في ضوء تكوينها ، وقال انها
تدين المتهمين . ثم أشار الى «لونسديل» والزوجين كروجر فقال :

— قد تتساءلون : ماذا كانوا يفعلون في كرانلي وريف . . وماذا كان
يحدث هناك ؟ يقال في جميع هذه الظروف ان النتيجة الحتمية هي ان
سكان المنزل و«لونسديل» كانوا على اتصال بأشخاص خارج البلاد ،
بأشخاص في روسيا وان هذا الاتصال انما كان يتم اما عن طريق جهاز
الارسال أو بواسطة الرسائل المصغرة أو بأية طريقة أخرى ، وبالنسبة
لاتصال «لونسديل» بالخارج فليس هناك شك في ذلك ، فهناك زيارته
لكرانلي وريف ، التي تثبت ذلك ، وهناك الغلاف الابيض الذي وجدت به
الرسائل المصغرة والرسالة المكتوبة بخط اليد . ولعلكم لن ترقبوا
في أن الرسالة المكتوبة بخط اليد لم تكن فقط ردا على الرسائل المصغرة

التي وجدت في (القطرات) ولكنها كانت رسالة كتبها «لونسديل» نفسه فلماذا وجدت جميع هذه المعدات واجهزة الارسال ؟ ولماذا وجدت في منزل كرانلى وريف ؟ ان الصورة التي يراد عرضها علينا ترمى الى ايهامنا بأن المستر كروجر منصرف انصرفا تاما الى كتبه ، وان زوجته مهتمة فقط بأعمالها المنزلية ، وأن كليهما يجهل جهلا تاما كل شيء عما فعله «لونسديل» فهل يمكن تصديق ذلك ؟ .

أما من «هوفتون» فليس هناك شك في أنه كان على اتصال وثيق مباشر «لونسديل» ، وقد اعترف بأنه وافق على تقديم معلومات عن البحرية الى شخص ارتاب ، أو عرف ، انه اجنبى . اما قوله بأنه حرص على تقديم صور (مهزوزة) لنشره « خصائص البوارج الحربية » فغير مقتنع على الإطلاق .

ومضى كبير القضاة يقول : قد يتبادر الى أذهانكم أن الأرجح انه لم يكن ماهرا في استخدام هذا النوع من آلات التصوير ، ولذلك أساء التقاط الصور . . هل تؤمنون بأن رجلا له سجل خدمة « هوفتون » ، ويتمتع بحماية الدولة كان يتصرف بدافع من الخوف ، ان الانسان حين يرتكب خطأ لأول مرة ولا يبلغ عنه ، يرى من الصعب عليه الإبلاغ عن هذا الخطأ في المستقبل ، ولكن هذا ليس نوعا من الخوف الذى ندرسه الآن .

وأخيرا هناك الآنسة « جى » ذات الصلة الوثيقة « بهوفتون » و «لونسديل» الذى قالت انها اعتقدت انه كوماندر ببحرية الولايات المتحدة واعتبرت طلبه الحصول على المعلومات أمرا عاديا .

انها موظفة مدنية مختصة بتوزيع نشرات الاختبار ، وقد وقعت تعهدا بالمحافظة على أسرار الدولة ، وكانت تلم بجميع محتويات المنظمة وما بها من معلومات نتيجة للسنوات الطويلة التى قضتها فى عملها . . ان السذاجة التى تبديها انما هى مجرد تظاهر وادعاء ، ولهذا ينبغي عدم الاعتماد على ماتقوله ، فمن غير شك أنها كانت تعلم ان ماتفعله خاطيء ، فقد اعترفت بذلك على الرغم من قولها انها لم تكن تعرف انها مذنبه .

وهكذا أنهى كبير القضاة تلخيصه للأدلة . واختلى المحلفون بأنفسهم مدة نصف ساعة ، ثم عادوا ليعلنوا قرارهم .

لقد اجمعوا على أن المتهمين الخمسة مذنبون .

وقبل النطق بالاحكام ، اعتلى كبير المفتشين «سميث» منصة الشهود ليفضى ببعض المعلومات التى وقع الشرطة عليها عن ماضى «لونسديل» ،

والزوجين كروجر ، فقال ان التحريات لم تسفر عن معرفة شخصية «لونسديل» الحقيقية وان كان من المحقق انه ليس الرجل الذي يدعيه «جوردون ارنولد لونسديل» وانه يعتقد انه روسي ، وعضو في المخابرات الروسية ، ومضى «سميث» يدلي بموجز عن تحركات «لونسديل» منذ دخل الى الولايات المتحدة قادما من كندا سنة ١٩٥٥ ، فقد دلت التأشيرات المسجلة على جواز سفره على انه قام في صيف سنوات ١٩٥٦ و ١٩٥٧ و ١٩٥٩ و ١٩٦٠ برحلات طويلة الى الخارج تتراوح مدتها بين خمسة وعشرة أسابيع الى دول مختلفة .

ومضى كبير المفتشين يتحدث عن الزوجين كروجر ، وكانت هذه المعلومات مفاجأة للحاضرين بالمحكمة بل للدفاع نفسه . فقد ثبت ، على نحو قاطع ، ان اسميهما الحقيقيين : موريس ولورنا كوهين ، وانهما مواطنان أمريكيان يبحث عنهما مكتب البحث الجنائي الامريكي منذ أكثر من عشر سنوات ، وعلى وجه التحقيق منذ قبض على جاسوسي الذرة « جوليئاس واثيل روزنبرج » سنة ١٩٥٠ ففي هذا الوقت كان «كوهين» يعمل مدرسا في إحدى المدارس بمدينة نيويورك ، ولكنه سرعان ما استقال واختفى مع زوجته حينما أدرك أن رجال البحث الجنائي يجدون في أثره وانهم يرتابون في أنه أحد أفراد حلقة تجسس روزنبرج ، ومع أن الزوجين تركا شقتهم في نيويورك من غير أن يأخذا معهما غير الثياب التي تكفيهما لقضاء عطلة الاسبوع ، فقد استطاعا أن يحصلوا من مصرفهما على سندات ادخار تزيد قيمتها على ١٠٠٠ دولار . ولم تستطع السلطات معرفة الأماكن التي ذهبا إليها فيما بين شهري سبتمبر ١٩٥٠ وابريل ١٩٥٤ وهو الوقت الذي ظهرا فيه في فرنسا ، وان كان المعتقد أنهما أقاما فترة في نيوزيلندا، لانهما حصلوا على جوازي سفر نيوزيلنديين .

ولقد كان « موريس كوهين » ابنا لزوجين من الروس اليهود المهاجرين ، ونشأ في ضاحية برونكس بنيويورك حيث التحق بالمدرسة وأصبح نجما في فريق كرة القدم بمدرسة جيمس مونرو العليا . وحين تخرجه من جامعة المسيسيبي عرف بأفكاره اليسارية . وانضم للفرقة الدولية التي قاتلت في جانب الجمهورية في أثناء الحرب الاهلية الاسبانية . وحينما عاد الى نيويورك حصل على وظيفة في منظمة التجارة السوفيتية ، وفي خلال هذه الفترة تزوج من « لورنا بتكا » وهي بولندية الجنس أمريكية المولد . ومنذ عام ١٩٤٢ حتى عام ١٩٤٥ خدم في جيش الولايات

المتحدة ، وحين تسريحه ، تلقى منها جاقى التدريس ، وعمل مدرسا فى مدارس مختلفة بمدينة نيويورك الى أن اختفى عام ١٩٥٠ . ومن بين الذين كانوا يزورون الزوجين كوهين فى منزلهما بالشوارع الحسادى والسبعين رجل اسمه « ميلز او ميلتون » قدمه الزوجان لاصدقائهما على أنه رجل أعمال انجليزى ثرى ، وقد اتضح فيما بعد أنه الكولونيل « رودلف آيل » من المخابرات السوفيتية (حين قبض على آيل سنة ١٩٥٧ وجدت لديه صورة فوتوغرافية للزوجين كوهين) . وقد تبين أن بصمات أصابع الزوجين كروجر هى بذاتها بصمات أصابع الزوجين كوهين .

وصدرت الاحكام وكانت على النحو التالى :

السجن ٢٥ عاما على لونسديل ، والسجن ٢٠ عاما لكل من الزوجين كروجر ، و ١٥ عاما لكل من هوفتون والأنسة جى .

الفصل الثالث

بريان دونالد هيوم - بريطاني حوكم في زيورخ

- ١ -

ذات صباح في أواخر مايو ١٩٥٨ ، استقل رجل ، كان له تاريخ إجرامي في بريطانيا ، الطائرة من مطار رنجاوي بمانشستر في طريقه الى زيورخ وكان يحمل جواز سفر جاء فيه أن اسم حامله هو «جون ستيفن بيرد» وأنه مهندس كيميائي في الثامنة والثلاثين من العمر . وكان في جيبه ألفا جنيه استرليني يسعى لتهربها الى خارج البلاد ، لأنه لم يكن مسموحا لأي مسافر الى الخارج حينذاك بأن يأخذ معه أكثر من خمسة جنيهات الا بترخيص رسمي . وكان قد حصل على هذا المال من طريق مشروع وان كان من الممكن أن يعتبر ثمار أعماله الاجرامية . أما جواز السفر فقد حصل عليه بالتزوير ، لأنه زيف اسم الضامن في استمارة طلب الجواز . وكان قد كتب أخيرا سلسلة من المقالات الصحفية أحدثت ضجة بين الرأي العام البريطاني ، قال فيها : « أشعر بأنني حصلت على جزائي عن الجريمة التي ثبت ذنبي فيها ، وهانذا أرحل الآن للخارج تحت اسم جديد » .

كان اسم المسافر الحقيقي « بريان دونالد هيوم » وكانت أمه مديرة من سواينديج ، أنجبت ابنا غير شرعي هناك في شهر ديسمبر ١٩١٩ ، ولعل لعدم شرعية مولده صلة بما نشأ عليه هيوم من حقد على المجتمع . ولكن نشأته في ملجا جعلت منه غلاما طيبا في بادئ الامر ، بيد أنه مالبث أن أبدى كراهيته للمجتمع بطرق مختلفة حينما كبر ، وكان أخطرها ذات مساء في شقة بلندن في شهر اكتوبر ١٩٤٩ حينما قتل رجلا اسمه ستانلي سیتی . وكان ضحية هيوم ، واسمه أصلا ستانلي سیتی ، وهو

يهودى من بغداد يتاجر فى السيارات وفى السوق السوداء ، قد أثار ثائرة
هيوم حينما ركل كلب هيوم المحبوب بعد ان أفسد الطلاء الجديد الموجود
على احدى سياراته .

وبعد أن قتل هيوم ضحيته سبتى بدأ يقطع جثته ، ثم قذف بها
بعدئذ فى القنال الانجليزى من طائرة استأجرها ، الا أن الجثة طفت على
سطح المساء فى احراش اسكس ، حيث انتشلها صياد . ومالبت رجال
اسكتلانديارد أن تمكنوا من معرفة شخصيته .

وألقى القضا على هيوم ووجه اليه اتهام قتل ستانلى سبتى . وأدى
اكتشاف بقع دموية فى الشقة الى تقوية الاتهام ضده فى نظر القانون ،
ومع ذلك فقد أدلى بقصة مذهلة للشرطة ، وظل متمسكا بهذه القصة طوال
فترة محاكمته باولد بايل . قال ان ثلاثة رجال ، عرفهم بأسماء « ماك
وجرينى وبرى » عرضوا عليه مائة جنيه مقابل اغراق طردين يقذفهما من
طائرة ، وقدا له خمسين جنيها أخرى فى اليوم التالى للتخلص من طرد
ثالث . وأقسم هيوم بأنه قبل القيام بهذه المهمة لانه كان فى أشد الحاجة
للمال ، وأن أحد هؤلاء الرجال احضر الطرود الى منزله ، وانه ألقى بالطرد
الثالث فوق الارض فتساقطت منه بعض قطرات الدم .

وبعد محاكمة استغرقت سبعة أيام ، فشل المحلفون فى الاتفاق على
حكم ، فدعى محلفون آخرون للبت فى الموضوع ، وأصدروا حكمهم بعدم
ادانة المتهم لعدم كفاية الادلة التى قدمها الاتهام . وكان هناك اتهام آخر
وجه اليه هو الاشتراك مع المجهولين فى قتل سبتى ، وقد قبل هيوم هذا
الاتهام لان فيه خلاصه من الاتهام الاول ، ولذلك حكمت المحكمة عليه
بالسجن اثنى عشر عاما .

وبعد أن قضى هيوم فى السجن أكثر من ثماني سنوات افرج
عنه ، لحسن السير والسلوك ، من سجن دارتمور . وبعد ذلك بوقت
قصير ذهب الى صحيفة « سنداى بكتوربال » وحاول أن يبيع قصة
تجاربه فى السجن ، ولكن الصحيفة لم تبد اهتماما بالقصة ، وأوحت الى
هيوم بأن يكتب القصة الحقيقية لمقتل « سبتى » والدور الذى لعبه
فيها . ووافق هيوم على أن يكتب ، او بالأصح على أن يوقع على
« اعتراف كامل » - لأن التحرير تولاه أحد محررى الصحيفة وحصل
هيوم فى مقابل ذلك على ألفى جنيه ، وتعهد من الصحيفة بأن يمنح عشرة
أيام قبل البدء فى نشر القصة يفادر البلاد فى اثنائها .

وبعد أن قضى محرر الصحيفة ثلاثة أسابيع مع هيوم في فندق ، سجل في خلالها جميع تفاصيل الجريمة واتم تدوينها والحصول على توقيع هيوم عليها ، دفعت الصحيفة ألفي جنيه لهيوم . وكان هيوم قد ترك شاربته ينمو وتخلص من اسم هيوم وصبغ شعره ، ووضع عويونات سميكة على عينيه ، وحجز لنفسه مقعدا على إحدى الطائرات الداهية إلى سويسرا . وبعد أيام قليلة غادر إنجلترا ونزل في مطار كلوتن - بزيورخ .

وكانت الحياة التي قرر أن يبدأها هي أن يتنكر ويتقمص شخصية طيار اختبارات كندي . وكان قد حرص قبل مفادرة لندن على طبع بعض بطاقات باسم « جون بيرد » وعنوانه مونتريال . فلما نزل بزيورخ بدأ يطلع من يتصل بهم على هذه البطاقات ، وكان من بينهم قائد سيارة أجرة وقد دعاه بيرد « هيوم » لشرب كأس من الخمر معه في نادي تراس على بحيرة لوسرن . وكانت هناك فتاتان تجلسان أمام (البار) ، واتفقا أن كان قائد السيارة يعرف إحدى هاتين الفتاتين ، فقال لهيوم : ان اسمها « ترودي سومر » وأنها تدير صالونا للحلاقة في روسنويج . وأضاف مغريا « انها فتاة لطيفة » . وبعد قليل كان هيوم يرقص مع الفتاة ، ولم يكده يمضي وقت طويل حتى كان قد أحبها من كل قلبه . وفي ساعة متأخرة من مساء اليوم نفسه وفي حين كان هيوم والفتاة يحتسيان كأسا من الشراب في فندق سانت جوتهارد الذي نزل به هيوم ، عرض عليها أن تتزوجه . وكانت الفتاة قد قالت له ، وهما في النادي ، انها متزوجة ، وذلك - على حد قولها - لكي تمنعه من التماذي في مغازلتها ، ولكنها اعتسفت فيما بعد انها كانت قد طلقت حديثا من زوجها . وعلى أية حال لقد أدهشها عرض هيوم ، فقالت له « انك لا تكاد تعرفني ، وليس في استطاعتك أن تتزوجني بالسرعة نفسها التي تقود بها طائراتك » .

وفي اليوم التالي قدم هيوم « لترودي » طاعة من الورد ، ودعاها لتناول الطعام معه ، فقبلت الاثنتين شاكرا ، لأنها كانت ترى الحياة مقبضة في زيورخ ، كما أن صاحبة صالون حلاقة ، مثل ترودي سومر ، لاتجد كل يوم طيارا كنديا سخيا يفدق عليها حنانه واهتمامه . ولكن العشاء جاء مخيبا لآمال « ترودي » لأن صديقها كان مكتئبا يتصرف وكأن هناك حملا كبيرا يشغل كاهله ، وقال لها انه راحل إلى

كندا في اليوم التالي « في مهمة خطيرة » الا انه أكد لها ، وهما يفترقان ،
انه سوف يعود ويتزوجها .

والواقع ان هيوم كان قد ابتاع انفسه تذكرة الى مونتريال ،
ووصل اليها فعلا بعد ذلك بأربع وعشرين ساعة . ولم تكن مهمته
الخطيرة تتعدى التردد على نوادي مونتريال الليلية ، وغيرها من أماكن
اللهو ، للاستمتاع بحاضره ، ولكنه سرعان ما شعر بالضيق من
مونتريال ، وعول على الانطلاق جنوبا ولم يجد صعوبة في الحصول على
(فيزا) من قنصلية الولايات المتحدة في مونتريال ، وبعد ذلك بقليل كان
في طريقه الى كاليفورنيا ، وهناك أنفق معظم ما تبقى معه من مال ، بعد
ان أنفق الشطر الأكبر منه في كندا ، وتحول تفكيره مرة أخرى الى
« ترودي » وصالون الحلاقة الصغير في روسنويج . وفي نهاية شهر
يونيو عاد الى زيورخ ومعه مزيد من الزهور والهدايا لحبيبته .

قال وهو بقبلها : ترودي : حبيبتي ، لقد عدت لأتزوجك .

وكان من الطبيعي ان تبتهج « ترودي » ، وحينما ابتاع هيوم لها
خاتما للدلالة على خطوبتهما سمحت له بالإقامة في مسكنها . وحينئذ
صارحها هيوم بأنه تخلى عن عمله كطيار اختبار ، وأنه التحق برؤية
أخرى ، وتلك هي التجسس على الروس لحساب الأمريكيين ، ومع
ما في هذه القصة من اغراق في المبالغة الا ان « ترودي » الفارقة في الحب
صدقته ، وفي تلك الأثناء كانت موارد هيوم المالية تنضب سريعا ، فلم
يبق معه أكثر من مائة وخمسين جنيها ، ولذلك خطرت له فكرة
جديدة . . . لماذا لا يتخذ من زيورخ قاعدة للقيام بفارات على بنسوك
انجلترا ؟ ان احدا ان يشك في عودته الى انجلترا بعد ان افتضح سر
مقتل « سیتی » ومن ثم فإنه سيصبح بدمان تام في سويسرا .

وهكذا عاد الى لندن في الأيام الأخيرة من شهر يوليو ، حيث نزل
في فندق صغير بشارع بيكر ، تحت اسم « دونالد براون » وبعد ان قام
بعمليات استكشاف قرر ان يسطو على بنك ميدلاند ، بيوستون مانور ،
واختار يوم أول أغسطس ، أي يوم السبت السابق على عطلة البنك ،
للقيام بفارته ، وهو يأمل أن يتمكن من الفرار ومعه أربعون ألف جنيهه
بأقل تقدير . ولقد وضع تفاصيل خطته بدقة لا تتوافر الا في الخطط
العسكرية ، فقد حزم حقائبه وأودعها بمكتب الأمانات بالمطار . وفي
صباح اليوم التالي ذهب الى المصرف وقال : انه يريد الاستعلام عن فتح

حساب ، فأمدده الصراف بالمعلومات المطلوبة وحينئذ قال له هيوم انه سيعود فيما بعد .

وقبل الظهر بلحظات ، أى فى الوقت الذى كان البنك يوشك فيه على اغلاق ابوابه ، عاد هيوم ، وعرفه الصراف ، الذى كان يهم باغلاق ابوابه ، ورأى فيه عميلاً مرتقباً ، ولذلك سمح له بالدخول واغلق الأبواب خلفه .

وأخرج هيوم مسدساً من جيبه فجأة ، وسدده الى الصراف قائلاً : ارفع يديك فوق رأسك واحذر ان تتحرك .

واذ ظن أن الصراف يوشك على قذفه بالمحبرة ، أطلق رصاصة من مسدسه فسقط الرجل على الأرض وقد أصابه الطلق النارى فى بطنه .

وركض المغير خلف البنك حيث كان يوجد رجلان آخران وفتاة وصاح بهم : لن يصاب أحد منكم بضرر اذا فعلتم ما اقوله لكم ، ان كل ما أريده هو النقود .

وأمر الجميع بالدخول فى الغرفة الخلفية ، ثم قطع حبل التليفون وأمرهم بأن يشد كل منهم وثاق الآخر . ثم اختطف كل ما استطاع الحصول عليه من نقود ، ولكنه ما لبث أن تبين أنها لا تزيد على ألف وخمسمائة جنيه ، وهو مبلغ تافه بالنسبة لما كان يحلم بالاستيلاء عليه . ومن ثم قال وهو يلوح بمسدسه :

— ماذا بشأن الخزانة الكبرى ؟ ماذا بها ؟

فقال أحد الموظفين المقيدين : لا شئ غير دفاتر الحسابات !

والواقع انه كان بقبو المصرف مبالغ ضخمة جداً ، ولكن هيوم لم يعرف بأمرها

وفى تلك الاثناء بدأ الصراف يئن . وأخذت الفتاة تتوسل الى هيوم أن يسعفه ، فوضع هيوم شيئاً تحت رأس الجريح ، ووعد بطلب الاسعاف بمجرد خروجه .

وقبل أن يستقل هيوم القطار من محطة كيو بروج اتصل تليفونيا بأحد الأطباء وطالب اليه الذهاب للبنك لاسعاف مريض هناك .

وحينما وصل هيوم الى باتنى ٥ نزل من القطار وذهب الى مكتب

الأمانات حيث استرد حقائبه ، وبعد أن تخلص من شخصية « دونالد براون » وأصبح « جونى بيرد » سافر من فيكتوريا الى باريس ، وفي اليوم التالى ركب الطائرة عائدا الى زيورخ حيث توجد « ترودى » .

وذهب مترددا مع « ترودى » الى مكتب المسجل لمعرفة اجراءات الزواج . وهناك اخبره الموظف المختص بضرورة احضار شهادة ميلاده وبأنه لابد من اجراء بعض التحريات عنه فى لندن . وبعد أن تطلع الموظف الى صورة « جون ستيفن بيرد » الموجودة بجواز السفر ، ثم تأمل هيوام الذى كان قد حلق شاربه منذ امد طويل ، قال له « ان هذه الصورة لا تشبهك » . ثم نصحه باعادة تجديد جواز سفره ، وكذلك بدت الصورة لشخص غريب فى عيني « ترودى » التى تأملتها بعد أن أعاد الموظف جواز السفر .

وفي منتصف شهر اغسطس عاد هيوام الى مونتريال ، وهو يأمل أن ينسى « ترودى » ولكنه بدلا من نسيانها استطاع أن يحصل على وثائق رسمية مزيفة تثبت أنه « جون بيرد » مهندس الطيران المقيم بالمنزل رقم ١٢٠٩ بشارع ماى بمونتريال ، وأنه رعية بريطانية وأعزب . . ثم عاد الى زيورخ وأرجأ تاريخ الزواج فترة طويلة ، ولكنه ما لبث أن وافق تحت ضغط « ترودى » على أن يتم الزفاف فى شهر فبراير المقبل . وكان قد قرر القيام بغارتين على مصرفين قبل هذا التاريخ ، اولاهما على فرع بنك ميدلاند بلندن . وقد أتمها فعلا يوم ١٢ نوفمبر ولم يظفر منها الا بثلاثمائة جنيه فقط ، اما الاغارة الثانية وهى التى حاول القيام بها فى زيورخ فكانت القاضية عليه . .

ففى يوم ٢٩ من يناير ١٩٥٩ ودع « ترودى » التى كانت تجهل كل شىء عن نواياه ، وراح يتسكع حول احدى الكنائس حيث قضى ليلته ، وتناول طعام افطاره فى صباح اليوم التالى من القربان والبنيد ، وبعد ذلك بساعة او نحوها مضى الى فرع صغير لمصرف جيسوربى واطلق الرصاص على الصراف الذى استطاع استعمال جهاز الانذار على الرغم من اصابته البالغة . وبعد أن اختطف اللص مبالغاً ضئيلاً لا يعدو ٢٠٠ فرنك سويسرى اندفع الى الشارع يطارده اثنان من مستخدمي البنك . وأخيرا لحق به طبائخ أحد الفنادق وقبض عليه بعد أن قتل قائد سيارة « تاكسى » اسمه آرثر بانخ ، كان قد حاول القبض عليه .

وبينما كانوا يقودون هيوام الى سجن زيورخ اذ قال هيوام ، الشهير براون ، والشهير ببيرد : لقد انتهى امرى

ونقل فيما بعد الى سجن ريجنسدورف ، حيث وجهت اليه خمسة اتهامات هي : التتل ، والشروع فى القتل ، والسرقه المسلحه ، والتهديد بالقتل ، ومخالفة تعليمات الاتحاد السويسرى الخاصة بالاجانب .

- ٢ -

بعد أن قضى هيوم ثمانية شهور فى السجن استجوب فى أثنائها استجوابا مستفيضا وفحصه طبيب للأمراض العقلية ، قدم للمحاكمة أمام محكمة ونترثور ، بالقرب من زيورخ يوم ٢٤ من سبتمبر ١٩٥٩ .

فى الساعة الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم ، وقفت سيارة محصنة ضد الرصاص أمام مبنى المحكمة وهبط هيوم منها فى حراسة شرطين عملاقين وكان معصماه مقيدين الى ركبتيه بالسلاسل ، وابتسم فى وجه جمهرة الصحفيين الذين كانوا يحيطون بباب المحكمة . . . كان هذا يومه العظيم ، وقد قرر أن يجعل منه يوما مثيرا . وفى داخل المحكمة اجلسوه فوق مقعد عادى أمام منضدة طويلة جلس وراءها القضاة الثلاثة الذين تقرر أن ينظروا القضية .

وافتح الرئيس ، الهادىء الخلق ، الدكتاتور « هانز جات » الذى استنفد صبره كثيرا فى أثناء المحاكمة . . . افتتح المحاكمة بأن طلب من المتهم الوقوف وذكر اسمه وتولى مترجم المحكمة ترجمة أقوال الطرفين :

— هل صحيح أن اسمك براون ، وأنت كنت معروفا قبل ذلك باسم هيوم ؟ .

— أنك تسأل سؤالاً أحق وستحصل على إجابة حمقاء !

— ما اسمك ؟

— ألا تعرفه ؟ لعلك بحاجة الى عوينات أكثر سمكا !!

وأردف هيوم صائحا ، وهو يشير الى رئيس المحكمة : قل لهذا الأحق أنه كان ينبغى أن يعرف من أنا !

وبعد هذا الاستهلال ، قال السجين انه عرف أحد القضاة ، ولذلك فإنه يعترض عليه . .

وأشار الى القاضى المقصود ، ولكن هذا أبدي أنه لم يسبق له رؤية
المتهم . وصاح بغضب شديد :

- اننى لم أره من قبل على الإطلاق !!

وحينما قرأ كاتب المحكمة قائمة الاتهام ، قال هيوم انه فهمها وليس
بحاجة الى مترجم . . . وبدأ القاضى يستجوب المتهم عن ماضى حياته ، وقال
هيوم :

- اننا فى سويسرا نتلهف كل اللهفة على معرفة شخصية كل مدعى
عليه بالدقة .

وحينما سئل : هل أنت متزوج ولك طفل ؟ أجاب هيوم :

- نعم ، ولكنه لم يكن طفلى . . كان أبوه ستانلى سيسى !

وكان هذا التصريح كاذبا كذبا تاما .

وفى اليوم نفسه أصدرت زوجة هيوم السابقة فى لندن التى طلقته
بسبب قسوته البالغة وتزوجت غيره ، تكذيبا شديدا للهجة لهذا القول
عن طريق محاميها .

ومضى رئيس المحكمة يسأله عن نشأته ، وعن الحياة فى الملجأ الذى
قضى فيه نحو خمسة أعوام ، فأجاب هيوم :

- كانت حياة غير مريحة جعلتنى متعاملا على المجتمع .

- هل تظن أن شيئا معيناً حدث لك حينذاك ، وأثر فى حياتك
فيما بعد ؟

- ليس فى استطاعتى أن أبدي حكما . لقد حدثت عدة أشياء
ولكنى لا أظن انها خلقت أثرا .

فاردف الرئيس : الواقع أننى ألقى عليك هذا السؤال لان كثيرا من
الصحف قالت ان الاحداث التى وقعت فى الملجأ أثرت على حياتك .

فأجاب السجين : هناك أشخاص آخرون وصلوا الى هذه النتيجة .
أما أنا فلا . . كان الاطفال يعاملون أسوأ معاملة . لقد كنت أضرب فوق
رأسى بمطرقة أو فأس ، ولكن ذلك لم يؤثر على حياتى فيما بعد فيما أظن .

- ذكرت بعض الصحف ، التى تحدث مندوبوها معك ، ان المعاملة
السيئة التى لقيتها أثارت حفيظتك على الانسانية بصفة عامة .

– يجوز • لقد قلت ان لمعاملة زوج ابني لى أعظم التأثير على كل ما فعلته فى حياتي • لقد حدث ذلك وأنا فى الثامنة من عمرى ، أى بعد خروجى من الملجأ ، ولكنى لا أظن أن للبيئة شأنًا فى خلق عنصر الاجرام فى عقل الانسان •

ومضى رئيس المحكمة يسأل المتهم ، هل ما قلته لخطيبتك السيدة « ترودى سومر » صحيح أو أن نصفه كان أكاذيب ؟

فسأله المتهم بدوره : وماذا قلت لها ؟

– تاريخ حياتك !!

فقال هيوم بصرامة : كان كذبا •

– هل قلت للسيدة سومر أن أمك فى الثامنة والستين ، وأنك تقولها لان أباك لا يفيق من الخمر ؟

– نعم • لقد خدعت السيدة سومر • اننى لم أحدثها بقصة حياتي ولم أقدم لها مؤلفات عنها ••

وفى أثناء سؤاله عن أيام دراسته ، تحول هيوم الى النظارة فجأة وقال :

– هل المستر تشيسنى موجود فى قاعة المحكمة ؟ أريده شاهدا •

(كان رجل انجليزى ، اسمه رونالد تشيسنى ، قد أطلق النار على نفسه فى غابة بألمانيا بعد أن وجدت زوجته مخنوقة فى حمام منزلها بلندن ، كما وجدت أمها مذبوحة ، وكان المعتقد أن تشيسنى طار الى انجلترا من امستردام وارتكب جريمته ثم عاد الى القارة)

وتجاهل رئيس المحكمة هذه المقاطعة ، واستمر فى استجواب المتهم • فسأله هل صحيح انك تطوعت فى سلاح الطيران الملكى سنة ١٩٣٩ ؟ وأجاب هيوم مؤمنا • وقال انه انضم لسلاح الطيران للمران ، ولكنه أصيب بمرض الالتهاب السحائى بعد ذلك بعامين فترك الخدمة •

وهنا قلب رئيس المحكمة تقريراً أمامه كان قد تلقاه من اسكتلانديارد عن تاريخ حياة هيوم • فصاح المتهم غاضبا :

– اذا كان المحلفون يصدقون ما كتبه مفتش سفيه ، فليس هناك إذن مايدعو لأن أقول لكم العكس •

– اذا كان ما جاء فى التقرير خطأ ، فقل ذلك .

– كان ينبغى أن تدعونى أتمكن من الحصول على أوراق فصلى . .
قاما أن تصدقوا مايقوله مغتش من اسكتلانديارد ، أو تصدقوا أوراق
فصلى من سلاح الطيران الملكى . ولكنكم لم تمكنونى من الحصول على
أوراق فصلى ، ومن ثم فانكم تصدقون اسكتلانديارد .

(بعد ترك سلاح الطيران الملكى اشتغل هيوم فى أحد المصانع ،
وابتاع فيما بعد بزة رجال سلاح الطيران الملكى وادعى أنه ضابط . وقد
اعترف هيوم بأن هذا الجزء من تقرير اسكتلانديارد صحيح) وقال التقرير
الذى تلى على المحلفين – ان هيوم ادعى أنه ضابط بسلاح الطيران سنة
١٩٤٢ ، وأنه كان يرتدى البذلات الرسمية لبعض الضباط الذين كانوا
معه سابقا بعد أن سرقها منهم . ولقد زار هيوم محطات سلاح الطيران
الملكى فى تلك الفترة ، وصرف شيكات مزيفة وحصل على نقود مستعينا
فى ذلك بادعاءات أخرى كاذبة .

وللمرة الثانية قاطع المتهم رئيس المحكمة قائلا :

– ان كل ما جاء فى تقرير اسكتلانديارد ضدى . . لماذا لم يشتمل
على ما هو فى مصلحتى ، كالمغامرة التى قمت بها ذات مرة لانقاذ طفل من
النهر ، وانقاذى قطا من فوق سقف لأن رجال الشرطة تهيّبوا المخاطرة ؟
ان هذا التقرير لا غاية له الا أن يلطخ ماضى .

وسأله الرئيس : هل أنتجت « ويسكى » غير مشروع عامى ١٩٤٢
و ١٩٤٣ ؟ فأجاب المتهم : نعم ، ولكنى لم أفعل ذلك الا بدافع من حماسى
للحرب .

– كيف أنتجت هذا الويسكى ؟

– كنت أقطره من البطاطس .

– هل كان لك نشاط آخر فى السوق السوداء ؟

– لا أعتقد أنه كان هناك انسان لم يكن له نشاط فى السوق
السوداء حينذاك .

وقلب رئيس المحكمة صفحات التقرير الموضوع أمامه فوق المنضدة .
ثم سأله :

— هل صحيح أنك سرقت مدافع رشاشة من ترسانة بريطانية.
بالاشتراك مع رجل إيرلندي ؟

فأجاب هيوم من فوره : نعم ، لقد جرحنت في صدرى من أجل
إيرلندا •

وحيثما سئل عن أسباب تحطم زواجه ، قال هيوم انه كان يعارض
أشد المعارضة في صداقة زوجته لشخص آخر •

— ومن كان هذا الشخص ؟

— رجل اسمه سیتی !

وسأله رئيس المحكمة أين كان سیتی هذا ، فأجاب السجين اجابة
أثارت ضحك الموجودين من الانجليز :

قال : انه لم يعد على قيد الحياة !

فقال رئيس المحكمة : ليس في هذا الكفاية • ليس لدينا صحف
انجليزية هنا ••

وهنا تدخل المترجم ليوضح للسجين انه عليه أن يذكر ما حدث
بإيجاز •

فأجاب هيوم : لقد مات •

— وكيف مات ؟

فقال هيوم : بالعنف !

ثم تحول الى المترجم وقال له : قل للرئيس اننى على استعداد لسرد
الحقائق المتعلقة بموته ، ولكن هل أحاكم ثانية بسبب مقتل سیتی ؟

فقال الرئيس مؤكدا : لن تحاكم بسبب مقتل سیتی — الا أنه من
الضرورى تقديم الصورة الكاملة للمحلفين ، اذا كنت تقول ان سیتی قتل،
لانه كان من المستطاع أن يتم هذا القتل بطرق كثيرة ••

— لقد قتلته بمدية • والواقع أن فرصته لقتلى كانت أعظم من
فرصتى لقتله •

— وماذا كان سبب القتال ؟

— وجدته في موقف مخز مع زوجتى !

وبدا المترجم يترجم حرفيا حينما قاطعه هيوم قائلا : هل من الضروري لشرح كلمتي « موقف مخز » ؟

ويظهر أن رئيس المحكمة فهم المقصود ، اذ سأل المتهم : هل سبق لك التشاحن مع سيتي قبل هذه المرة ؟

- لا . لم يسبق أن تشاحنت معه جديا . لم يكن أحدا يحب الآخر ولكن كلا منا كان يربح نقودا من وراء الآخر . . . لقد ركل كلبى ذات مرة .

- هل تعنى أنك قتلت سيتى بدافع الغيرة ؟

- نعم : كانت الغيرة بداية المعركة .

وجوابا على مزيد من الاسئلة حول هذا الموضوع ، قال هيوم انه نشر رأس سيتى وساقيه وفصلها عن بدنه ووضع الجثة وأجزاءها فى طردين ألقى بهما من طائرة فى القنال الانجليزى .

وفى أثناء الاستجواب استدار هيوم الى المترجم وانفجر قائلا :

- قل له (للرئيس) ان المسألة اذا تطورت الى مباراة باللغة العامية فسأمزقه اربا (لم تترجم هذه العبارة) .

قال الرئيس : لقد حكم عليك فى هذه القضية بالسجن اثنى عشر عاما قضيتها فى سجون مختلفة . فهل صدرت ضدك أحكام تأديبية فى أثناء هذه الفترة ؟

- نعم . . عدة مرات فى البداية .

وهنا قال رئيس المحكمة : ان التقرير الوارد من سجن ويكفيلد يقول انه : « ليس من المستطاع الثقة بهيوم » ولو انه لم يثر متاعب خطيرة فى أثناء وجوده فى السجن ، الا انه عوقب مرتين فى أثناء وجوده فى ويكفيلد ، وفى عام ١٩٥٣ نقل الى سجن وارثمور .

فسأله هيوم بقحة : هل هذه الاشياء تهم المحلفين ؟ لقد عوقبت أيضا فى ريجنسدراف لاننى قذفت ثمرة من البطاطس ذات مرة !

وبينما كان هيوم يعاد الى المحكمة تحت الحراسة المسلحة بعد فترة الغداء ، اذ انقض على مصور صحفى كان يلتقط له صورة ولطمه بعنف بالغ . وكان من سوء الحظ ان اللطمة أخطأت الصحفى .

وحينما استؤنفت جلسة المحكمة بعد الظهر سئل هيوم عن جوازات

سفره المختلفة ، ولكنه رفض بعناد أن يجيب عن أسئلة رئيس المحكمة .
ولكنه كان أكثر استعدادا للإجابة عن الاسئلة الاخرى ، كالإجابة عن
سؤال عن رحلاته لمانيا الشرقية اذ قال للمحكمة :

- كنت مع الدكتور كلوس فوش في السجن ، وقد أعطاني رسالة
طلب مني تسليمها لأبيه في ألمانيا الشرقية ، الا أن السبب الرئيسي
لرحلاتي الى الشرق كان رغبتى في مقارنة الدول الشيوعية بالغرب .

وأكد هيوم في الوقت نفسه أن الغاية الرئيسية من هذه الرحلات
كانت دراسة الاحوال الاجتماعية . وأعترف أيضا بأنه كان دائم العطف
على الحزب الشيوعى .

وفيما يتعلق بحالات السطو على البنوك الثلاثة التى استجوب
بشأنها بدقة ، لم يحاول المتهم اخفاء شيء ، وقدم للمحكمة اجابات تفصيلية
ولو انه اتهم القاضى في أثناء الاستجواب بأنه «يحاول صلبه» وقال انه
غير آسف على الحادثين اللذين ارتكبهما في انجلترا ، ولكنه أبدى بعض
الأسف على الحادث الذى ارتكبه في سويسرا .

وقال للمحلفين : انه لحادث غريب يصدر عنى ، فأننى رجل حى
الضمير . صحيح أن ضميرى ضئيل ولكنه موجود ، ولذلك فأننى لم
أغتفر لنفسى الحادث الذى ارتكبته في سويسرا . كنت أعتزم تكراره
ولكننى فشلت .

وحينما كان يغادر قاعة المحكمة في نهاية اليوم ممسكا بذراع حارسه .
يتوقف لحظات ليتيح للمصورين الصحفيين فرصة التقاط صورته، وكأنما
عفا عنهم في النهاية . وراح يبتسم لهم ابتسامة عريضة .

- ٣ -

وجيء به الى المحكمة في اليوم التالى مكبلا بالاغلال وفي حراسة
رجال شرطة مسلحين بالمدافع الرشاشة ، وكان يبدو طوال اليوم رزيناً
مستغرقاً في الفكر على عكس ما كان يبدو منه من نزع في اليوم الاول .

واستمر رئيس المحكمة في استجوابه عن الاحداث التى أدت الى
سطوه على بنك جيورب ، واعترف هيوم بأنه قال « لثرودى سومر » يوم
٢٣ من يناير انه راحل الى مونتريال ولكنه بقي في زيورخ . وعاد الى
خطيبته في الليلة التالية وقال لها انه لم يستطع الطيران .

– هل كانت نيتك الأصلية من رحلتك يوم ٢٣ البقاء بعيدا فترة من الزمن ، كما حدث في المناسبتين السابقتين والقيام بالسطو على المصرف إن أمكن ؟

وأجاب هيوم بأنه كان يفكر في العودة الى كندا ، ولكنه عدل عن رأيه لأنه لم يكن يملك مالا ، كما أنه كان يشعر بانحطاط نفسى فى ذلك الوقت .

– هل قلت فى مناقشة مع « ترودى » انك شرير تريد أن تنتحر ؟ وهل قلت لها انك حاولت كتابة قصة حياتك ؟

فأجاب هيوم : نعم ، لقد كتبتها وضمنتها ما حدث لى منذ جئت الى سويسرا ، كما سجلت فيها حوادث السطو على مصارف لندن . وقد وضعت الترتيبات أو بدأت فى اجراء اتصالات لأحصل على النقود اللازمة لها حتى أتركها فى النهاية وهى فى حالة مالية طيبة . وقد أردت أن أؤكد ذلك حينما قلت للمسز « سومر » اننى رجل شرير ولكننى لم أحدثها بحوادث السطو على المصارف وأفضيت اليها بقصة أخرى .

ومضى المتهم يقول انه اعتزم الهجرة الى كندا مع « ترودى سومر » بعد زواجهما ولكنه لم يضع أية ترتيبات لهذه الرحلة . وقال انه حصل لها على جواز سفر سويسرى باسم المسز « كاجلمان » ولكن « ترودى » لم تكن تعلم شيئا عن ذلك . ولقد كان يشعر بانقباض شديد ولذلك خطر له أن عيد الميلاد ، الذى قضاه مع أسرة « ترودى » سيكون آخر عيد له . وأضاف هيوم قائلا انه رأى مؤسسة البوليس الدولى توزع صورته على الصحف ، ولاحظ أن مكافأة قدرها ٦٠٠٠ جنيه ستمنح لمن يأتي به . وفى خلال رحلته الاخيرة لكندا عرف أنه من الخطر أن يعود الى أوروبا ولكن حبه « لترودى سومر » كان أقوى من مخاوفه فعاد .

– هل قلت للمسز سومر أنك تكره الناس جميعا ما عداها ؟

– نعم ..

– هل كنت مضطرب الأعصاب شديد الحساسية ؟

– نعم ، ولكن ما كتبتة الصحف عنى كان سخفا .

فقال رئيس المحكمة : لا علم لى بذلك . كل ما أردت معرفته هو هل يجب أن ندعو « ترودى سومر » للدلاء بالشهادة أو لا ندعوها . ولكنى أعتقد أننا لم نعد بحاجة اليها هنا ..

– أشكرك أعمق الشكر

ومضى القاضى يقول : ان واجبى أن أقول ان « ترودى سيمر » قالت
انك كنت صريحا معها الى أن نضب معينك المالى فى الأيام الأخيرة •

وهنا قال هيوم انه كتب للمحكمة يطلب اليها تجنيب « ترودى »
متاعب العلانية •

وحينما سئل : كيف قضيت وقتك قبل القيام بعملية السطو ؟
اعترف بأنه ذهب الى كنيسة انجليزية فى زيورخ حيث قضى بها ساعتين
فى «التفكير» ، ثم ذهب للحصول على طعام • ودخل احدى دورالسينما ،
وبعد ذلك عاد الى الكنيسة وقضى ليلته فى غرفة القس ، ولكنه لم يستطع
النوم ، واعترف هيوم بأنه أفطر من قربان الكنيسة ونبيذها •

وهنا عرضت على المحكمة علبة من الكرتون بها ثقب ، واعترف
هيوم بأنه أخذها من الكنيسة •

سأله القاضى : ماذا كانت فكرة هذه العلبة ؟

– لحمل النقود فيها •

– هل كانت أيضا لاختفاء مسدسك ؟

وحينئذ تحول هيوم الى المترجم وقال له :

– أرجو أن تترجم ما يلى للرئيس بدقة •• اننى لا أستطيع المجادلة
فى ذلك ، ولكن الفاية الوحيدة من هذه العلبة كانت حمل النقود • اننى
لم استخدم العلبة لاطلاق المسدس • اننى اعلم أن هناك من اقترح أننى
فعلت ذلك • فاذا كان المحلفون يصدقون ذلك ، فهم أحرار •

ولكنه اعترف بأن العلبة كانت أمامه فى البنك حينما أطلق النار •

وبعد أن غادر الكنيسة ذهب أولا الى محطة السكة الحديد الرئيسية
بزيورخ حيث دخل المطعم وتناول بعض الأقراص ليستطيع التفكير باتزان
وفيما بعد ذهب الى احدى البحيرات وأطعم البط ، وبعد نحو نصف ساعة
ذهب الى البنك ، وفى الطريق حشا مسدسه •

سأله الرئيس : هل كنت مستعدا لاطلاق النار ؟

واجاب المتهم : نعم

– كم كان عدد الرصاصات التى حشوت المسدس بها ؟

– كان معى أربع رصاصات . ويحتمل أنه كان بالخزانة أربع وواحدة
فى الماسورة ، واثنان فى جيوبى .

– هل كنت واثقا من نجاح خطتك للسطو على المصرف ؟

– كنت أعلم أنها ستفشل ولكنى أقدمت عليها .

فسأله الرئيس باهتمام : لماذا أقدمت عليها على كل حال ؟

– من الصعب الإجابة عن هذا السؤال . لم أكن راغبا فى أن يدمغنى
ضميرى بميسم الجبن .

– ألم يذكرك ضميرك بأن إطلاقك الرصاص قد يقتل شخصا أو
يجرحهم مع عدم إيمانك بنجاح المغامرة ؟

– لم أكن واثقا من أنه سيكون من الضرورى إطلاق النار على أحد

– هل اتخذت أية احتياطات لهروبك بعد السرقة ؟

– لا . لم أضع خططا هذه المرة مثلما فعلت من قبل .

واستمر هيوم فى سرد قصته فقال: انه بمجرد دخوله البنك صاح :
« ارفعوا الأيدي » ولو أن « والتر سككنك » الصراف الذى أطلق عليه
النار بعد ذلك بلحظات نفى أن هيوم قال شيئا . وقال هيوم انه أطلق
النار عليه أيضا . ومضى المتهم يقول : انه كان من السهل عليه « تصفيتهم »
لو أراد ذلك ، لأنه بارع فى الرماية بالمسدس .

– هل صحيح أنك وضعت علبة الكرتون على البنك وأطلقت النار
منها ؟

– نعم . .

– هل سددت مسدسك ؟

– لا . كانت طلقة سريعة حينما تحرك « سككنك » الصراف .

– ما رأيك فى الرصاصة التى أطلقتها على الكاتب الآخر ؟ هل
أدخلت فى حسابك احتمال قتله ؟

– فيما بعد . كان من السهل ادراك احتمال قتله ، أما وقتذاك
فقد أطلقت النار من غير تفكير .

– لقد ذهبت الى اسنك وفى نيتك إطلاق النار بالطريقة نفسها

التي استخدمتها عند سطوك على بنك ميدلاند ، ومن ثم كان يجدر بك .
أن تعلم احتمال قتل أحد الموظفين .

– لم أفكر فى النتائج .

– على اية حال ، ان اطلاق النار خبط عشواء يمكن أن يقتل رجلا !!

– هذا واضح .

– قلت للمحكمة ان مدير فرع برنتنورد ، التابع لبنك ميدلاند ،
اصيب اصابة بالغة ، ولذلك كان عليك أن تحسب حساب احتمال القتل ؟

فأجاب هيوم بقحة متناهية ازعجت المحكمة : نعم . لكن فيما يتعلق
بمدير البنك الانجليزى ، ينبغي أن أقول انه انقض على وأوقعنى على
الأرض . كان هو الذى هاجمنى ، وأعتقد أنه نال ما يستحق . هناك
نص قانونى فى انجلترا يقول . ان من يقتل رجلا فى أثناء السرقة يحكم
عليه بالاعدام فلا بد أن يكون هناك نص مماثل بشأن أمثالى من الأشخاص
الذين يقتلهم مديرو البنوك .

– ماذا حدث بداخل بنك جيورب ؟

فأجاب هيوم ، وهو يشير الى رسم توضيحي للمصرف : وثبت هنا
ودخلت الى الغرفة . كان الرجل الذى أصيب ملقى على الأرض ، أما
الآخر فأمسك رأسه بيديه . وتقدمت من الحزانة فنهض رجل ، فظننت
أنه سيحرك جهاز الانذار فلطمته بمسدس على رأسه ثم اشتبكنا فى عراك
فضربتة برأسى . وحينئذ ، فقدت مسدسى ولكن لم يكن فى نيتى قتله ،
وانما كنت أريد التخلص منه فقط .

– هل تعقبك أحد ؟

فأجاب هيوم بعد تردد : أظن أننى قابلت تلميذ الصانع « فيتز » ،
وحينئذ ، قال القاضى للمحلفين انه حينما سألت الشرطة هيوم اول الامر
قال انه لم يطلق النار على هذا الشاب « لأن لون شعره كان كلون شعر
ترودى سومر » .

وأخيرا سأل القاضى عن اطلاق النار على قائد السيارة وعن الجهة التى
جاء الرجل منها .

– رأيتہ يعدو خلفى ولم تكن المسافة بيننا تزيد على طول هذه
الغرفة .

– وماذا حدث وقتئذ ؟

– أطلقت النار عليه !

– ماذا كان طول المسافة بينكما ؟

– نحو ستين قدما . .

واستطرد هيوم قائلا ان قائد السيارة « سقط » وحينئذ انقض شخص آخر على ظهره .

ثم قال : واحاطت بى جمهرة كبيرة من الناس ، وكان من بينهم رجل جذب شعري . وهذا هو كل ما اذكره ، ولقد سررت حينما جاءت الشرطة .

فسأل الرئيس : هل ضربك الجمهور ؟

فأجاب المتهم من غير مبالة : نعم . أظن أنه على من كان فى مركزى ان يتوقع حدوث ذلك . لقد كاد الرجل الذى جذب شعري ان يفتك بى لولا تدخل الشرطة .

واشار هيوم الى الشاب اولريش فيتز وقال :

– ان هذا الشاب يستحق أية جائزة يمكن ان يقدمها بنك ميدلاند فقد تعقبنى طول الطريق ، أما الآخرون فطاردونى بعد ذلك .

وبذلك انتهى استجواب المحكمة للمتهم . وسأل الرئيس الاتهام والدفاع : هل لديكما أية اسئلة تريدان توجيهها الى هيوم ؟ وحينما أجابا بالنفى ، استدعى أول شهود الاتهام للدلاء بشهادته .

وكان هذا الشاهد صراف البنك « والتر سكنك »

وبعد أن وصف « سكنك » ما حدث بالبنك ، قال انه نقل للمستشفى حيث أجريت له عملية نقل دم ، وأعقبتها عملية جراحية . وظلت حياته فى خطر اسبوعا كان فى خلاله شبه فاقد الوعي .

وسأله المدعى العام : هل طالبت بتعويض ؟

– لقد دفع البنك لى تعويضا ؛ كما أننى لم أعان من خسائر مالية الا أنه ليس هناك تعويض عن الألم .

فقال الاتهام : عندى لك مفاجأة لطيفة . ستحصل من هيوم على مائتى جنيه كتعويض أدبى ، ومن المتوقع أن يصل هذا المبلغ فى الأيام القليلة المقبلة .

(الواقع أن هيوم دفع هذا المبلغ للصراف الجريح بعد ذلك بثلاثة أيام)

وكان الشاهد الثانى مساعد الصراف (أدوين هاج) وهو كهل فى الرابعة والخمسين من العمر ، قال انه قبل وصول المتهم كان المصرف خاليا ، فانتهاز الفرصة للاتصال بزوجته تليفونيا ، فقد كان جهاز التدفئة المركزية الموجود فى منزله معطلا منذ يومين ، وأراد أن يعرف ان كان قد تم اصلاحه . . وبعد أن أطلق المتهم الرصاص وسقط «سكنك» على الأرض . سأل الشاهد زوجته أن كانت قد سمعت صوت طلق نارى ، فأجابت السيدة «هاج» بأن شيئا ما لابد حدث ، وبعد ذلك بلحظات رأى هيوم يتقدم نحوه :

ـ فهاجمته ، وبدأنا صراعا . ونجحت فى الامساك بجهاز الانذار بيدى اليمنى ، فجن جنون الرجل ولطمنى على راسى بمسدسه . وبعد دقائق قليلة عاد الرجل من الطريق الذى جاء منه ، فوثبت فى اثره الى الشارع .

وبعد ذلك وصف السيد « هاج » كيف قابل فيتز خارجا من مكتب البريد المجاور للبنك وحذره من السلاح الذى يحمله هيوم ، بدأ يصيح : «اقبضوا عليه اقبضوا عليه» ثم عاد الى البنك . وهنا قال الاتهام للسجين:

ـ يصر هذا الشاهد على انه لم يكن جالسا أمام مكتبه ، وانما كان يتحدث تليفونيا .

فقال هيوم باصرار : بل كان جالسا الى مكتبه ، ولعله كان نائما كان يعتمد رأسه بيديه ، وقد نهض بعد ذلك . . اننى واثق من صحة ما أقوله ثم انقض على . فتشابكنا ولكنى لم أفعل شيئا الا حينما حاول أن يقبض على .

وهنا قال أحد المحلفين انه من الجائز أن الفرع ركب «هاج» ولهذا عاد الى مكتبه واعتمد رأسه بيديه .

وبدت علامات الكبرياء على الشاهد وقال : اصر على أننى كنت أتحدث بالتليفون ، واضطرت لانهاء المكالمة وضج الحاضرون بالضحك .

خصص معظم اليوم الثالث من المحاكمة لسماع شهادات مختلف الشهود الذين اشتركوا فى مطاردة هيوم بشوارع زيورخ ، وشاهدوا إطلاق الرصاص على قائد سيارة الأجرة التعس الذى حاول اعتراض طريق الهارب واشترك فى القبض عليه فى النهاية . .

سأل رئيس المحكمة المتهم : هل سمعت ما كان الناس يقولونه ؟

فأجاب باسم : نعم . عندى فكرة عن ذلك .

— هل صحيح أنهم كانوا يريدون شنقك ؟

— أظن ذلك .

وحينما وصف أحد الشهود ما فعله بعد القبض على المتهم ، أبدى هيوم غضبه من الشاهد بالتثاؤب واحداث هممة عالية أثارت دهشة الحاضرين .

وقال هيوم : قال الكابتن « استوتز » من الشرطة الجنائية ان كل ما يعرفه هذا الشاهد يمكن أن يدون على طابع بريد ، ومع ذلك فقد تكلم ساعات لأنه من هواة الشهرة . لقد ركض وجذب شعري وأكبر ظنى أنه تعلم فى مدرسة بنات .

وأبدى المتهم اهتماما كبيرا بشهادة خبير السلاح «الدكتور فراى سولزر» الذى شهد بأن العلامات التى وجدت على الرصاصات التى استخرجت من جسم قائد سيارة الأجرة كانت مماثلة لتلك الموجودة على الرصاصات التى وجدت مع هيوم . ووافق المتهم على هذا القول . وقال خبير السلاح أيضا انه أرسل الرصاصات لاسكتلانديارد لمقارنتها بتلك التى عثر عليها بعد حادث السطو على فرع برنتورد التابع لبنك ميدلاند (وقد ثبت أنها تماثلها)

وكانت شهادة آخر شاهد للاتهام ، ولعلها كانت أهمها جميعا فى هذه المحاكمة المثيرة ، هى التى أدلى بها فى اليوم الرابع من المحاكمة . كانت شهادة طبيب الأمراض العقلية « الدكتور ادولف ججنبيوهل - كريج » الذى مثل امام المحكمة حاملا تقريراً من ١٥٠٠٠ كلمة عن هيوم كتبه طبقاً لما تقضى به الاجراءات الجنائية السويسرية .

وتناقش الطبيب مع المحلفين فى تقريره . وقال : لقد أبدى دونالد

هيوم انعداما كاملا للاحساس الايجابى حيال زملائه البشر ومن بينهم خطيبته السابقة ترودى سورمر . . انه كان عاجزا عن الحب لانه لا يعرف غير الكراهية لقد أبدى اعراضا على الاضطراب النفسى وكان يكره الناس جميعا .

ومن ناحية أخرى تبين للطبيب أن المتهم يتمتع « بذكاء فوق مستوى الذكاء العادى » وبرغبة جنسية جامحة .

وقال الدكتور كريج انه من الصعب استخلاص نتائج قاطعة ، ولكنه يعتقد أن هيوم مسئول مسئولية تامة عن افعاله .

وأردف : طوال فترة فحصه ، كان يبدي تأثرا عميقا عند الكلام عن أعمال العنف . اذ كلما بدأ يتكلم عن هذا الموضوع ظهرت على وجهه علامات الشر الرهيبة حتى لطالما ارتعشت أوصالى .

وتناول طبيب الأمراض العقلية ماضى هيوم بسلاح الطيران الملكى بالحديث ، فقال ان لهذا الماضى أهميته فى الحكم على نفسية المتهم لأن سلطات هذا السلاح أعطت المتهم تقريرا حسنا حين فصله . فقد أصيب بالعجز وفصل من الخدمة بعد أن وقع له حادث طيران فى اندوفر سنة ١٩٤٠ . فقد كان عائدا من رحلة تدريب ، وأخطأ فى تحديد موقع الأنوار بمطار اكسفورد وسقطت الطائرة فوق الأنوار فقتل ثلاثة من رجال المطار وأصيب هيوم نفسه بجروح بالغة فى رأسه استدعت نقله للمستشفى ، وهناك ظل يشكو من صدادع اليم ، وشخص الطبيب الحالة بأنها التهاب سحائى وليس من شك فى أن حياته أنقذت نتيجة استخدام العقار الجديد الذى ظهر حينذاك . وكان شفاؤه مؤلما وبطيئا ، وحينما تم - بعد اسابيع طويلة قضاها فى المستشفى - أعلن انه غير صالح لأعمال الطيران .

وفى أثناء فترة النقاهة زاره الاخصائى النفسانى بسلاح الطيران الملكى وتحدث اليه كثيرا ، وخرج من هذا الحديث بأن اخلاق المريض تغيرت كثيرا نتيجة اصابته . وقد اشتمل تقرير الاخصائى على الفقرة التالية :

« بعد أن عانى من الالتهاب السحائى أصيب بدرجة من الاضطراب النفسى العضوى الثابت ، فأدى ذلك الى أن يفقد عقله ، كما أضحت أفكاره السياسية مرنة . وبذلك أصبح دائما ، ما كان من الطبيعى أن يكون عابرا ، طورا من المراهقة فى النضوج الاجتماعى للشخص . « البلشفي » .

قرأ طبيب الأمراض العقلية السويسرى هذا التقرير على المحلفين ،
ولكنه أوضح لهم فى الوقت نفسه أنه يعتبر هذا التقرير محدود الأهمية .
وقال : ليس من المستطاع وصف أحد الأشخاص بأنه مصاب بالاضطراب
العصبى بسبب آرائه السياسية . ولهذا فأننا لن نفيد كثيرا من هذا
التقرير .

وتعرض الدكتور كريج بعدئذ لأعمال هيوم المعادية للمجتمع بعد
خروجه من سلاح الطيران الملكى ، فأكد أهمية تظاهره بأنه ضابط فى
سلاح الطيران خلال هذه الفترة .

وقال : لم يكن ذلك رغبة فى الحصول على النقود ولكنه كان رغبة
منه فى أن يكون ضابطا بسلاح الطيران ، لأنه عمل يلقي قبول المجتمع
بعد الدور الذى لعبه سلاح الطيران الملكى فى انقاذه انجلترا .

وهنا أشار الطبيب الى حكم الاثنى عشر عاما الذى صدر ضد هيوم
وللدور الذى لعبه فى مقتل سیتی .

فقال : الشئ المهم هنا أن نلاحظ أنه أفرج عنه قبل انتهاء مدة الحكم
بأربع سنوات . وفى أثناء وجوده فى السجن كان سلوكه مرضيا ، ولهذا
أهميته البالغة لان معناه أنه استطاع التحكم فى سلوكه ، وبالتالي السيطرة
على نفسه على الرغم من المحنة التى كان يعانى منها .

ومضى الدكتور كريج يقول للمحلفين : انه وان كانت قصة مقتل
سیتی التى نشرت فى صحيفة « سنداى بكتوريال » قد كتبت فعلا بقلم
شخص آخر ، الا أن لها أهميتها فيما يتعلق بأخلاق المتهم بسبب
التفصيلات المثيرة التى قدمها .

وبعدئذ تحدث الطبيب عن سرقات بنوك انجلترا التى دبرت باحكام
ودلل فى رأيه على أن هيوم كان كفاءا على تكييف نفسه طبقا لمتطلبات أى
موقف .

وقال : انه ماهر ولكنه يستطيع من ناحية أخرى أن يتحول الى
شخص شاذ غريب . أما عن علاقته « بترودى سومر » فليس هناك شك
فى أنها لعبت دورا هاما فى حياته . فقد أحبته ، وكان رجلا مهذبا معها .
ذلك لانه يستطيع أن يصبح رجلا مهذبا اذا أراد ذلك .

ففى الاسابيع السابقة على سرقة بنك زيورخ ، تحول هيوم الى رجل
صعب غريب الاطوار مع « ترودى سومر » ، الا أنه من المحقق أن قرب
انتهاء نقوده كان هو السبب فى ذلك . أما نوبات بكائه وكراهيته للعالم

بصفة عامة فأمر طبيعى بالنسبة لشخص فى مثل حالته العقلية يطارده .
« البوليس الدولى الجنائى » .

واختتم كريج شهادته قائلا : لقد كان مقتل سیتی وجريمتا السطو
على بنك ميدلاند عبثا ثقيلا على ضميره ، ولهذا الأمر أهميته لان جريمة
السطو على البنك فى زيورخ نفذت بطريقة تدل على الرعونة .

وهنا واجه رئيس المحكمة المتهم بأقوال طبيب الامراض العقلية
وبخاصة ما جاء فيها عن مسئوليته عن أفعاله مما يحتم عليه (أى على
رئيس المحكمة) ألا ينصح المحلفين بإصدار حكم بتخفيف المسئولية .

فقال هيوم : اننى أقبل ذلك ، ولكنى أريد أن أتحدث الى هذا
الشاهد نحو ساعة ان أمكن .

فقال رئيس المحكمة بأعياء : ان وقتنا يسمح بذلك . .

وبدأ هيوم بمناقشة مختلف مدارس التحليل النفسى ، وسأل
الطبيب : هل أنت من أتباع « فرويد » أو « ادلر » أو « جانج » فقال
الدكتور انه من أتباع كارل جوستاف جانج ، العالم النفسانى السويسرى
وبعد أخذ ورد طال أمدّه ثلاثة أيام متوالية قال هيوم ان رأى طبيب
الامراض العقلية فيه قائم على تقارير الصحف والتقارير التى وضعت عن
سلوكه فى السجن ، ووافق الدكتور كريج على ذلك جزئيا ، ولكنه قال :

— لقد دهشت حينما قابلتك لأول مرة ، فان المرء لا يستطيع الاعتقاد
بأنك قاتل

ومضى هيوم يتهم الطبيب بأنه اتخذ موقفا عدائيا نحوه ، لانه
شيوعى أو ذو اتجاهات شيوعية . فنفى الدكتور كرايج ذلك بكل قوة .
وقال :

— ليس عملى يقتضى أن أتهمك بأى شيء ، فان مهمتى تقضى على
يفهمك . لقد قلت انه من الخطأ خطأ تاما أن يعتقد الانسان انك شخصية
غير عادية لمجرد أنك شيوعى ، وأضيف الى ذلك أنك أصررت فى أحاديثك
معى على أنك مسئول مسئولية تامة عن أفعالك .

وبعد استراحة قصيرة استأنفت المحكمة الاستماع الى المرافعات
النهائية وتكلم الدكتور « بول لينهارت » المدعى العام أولا فأكد أهمية
ما أطلق عليه « لحظات القدر الخمس » فى حياة هيوم .

وأوجز المدعى العام حياة المتهم فى سنواته الاولى ، فقال انه غير معروف على نحو قاطع : هل أسيئت معاملة هيوم وهو غلام ، كما قال او ، لا ، الا أنه من الواضح أنه كان تلميذا شريرا . ولقد اقترح الدكتور كريج أن أول لحظات القدر حانت حينما أصيب فى أثناء خدمته فى سلاح الطيران فقد كانت هذه الخدمة مبعث بهجته ، وبعد ذلك بدأ ينحدر ، فلم يستطع الاستمرار فى الوظائف التى شغلها ، وكان يسير فى الطرقات مرتديا بزة ضابط سلاح الطيران التى استعارها .

أما اللحظة الثانية من « لحظات القدر » فكانت حينما حكم عليه بالسجن اثنى عشر عاما بسبب دوره فى مقتل « سیتی » وكانت اللحظة الثالثة حينما أطلق سراحه بعد أن قضى ثمانية أعوام فى السجن . وهنا نقد المدعى العام السويسرى قانون الجنايات الانجليزى فى هذه النقطة لانه لا ينص على وضع المتهم تحت المراقبة أو الاشراف بعد الافراج عنه لحسن السلوك ، قال :

— لقد كان خطأ تمكينه من استبدال اسمه من غير اتخاذ أية خطوات احتياطية . فلو كان هيوم مصمما على بدء حياة جديدة ، لكان من الأجدى تزويده بجواز سفر قانونى . ولكنه لم يحسن سلوكه ، ولذلك صب جام غضبه على الانسانية .

أما « لحظة قدر » هيوم التالية فكانت حينما حصل على ألفى جنيه مقابل قصته عن مقتل « سیتی » .

قال المدعى العام : لقد أتاحت له هذه النقود التصرف وفق هواه . فاستخدمها فى التجوال ولم يعمل شيئا .

أما عن « لحظة القدر الخامسة » فقال المدعى العام :

— أحب هنا أن أذكر نقضا فى القانون الانجليزى ، ذلك هو أنه ليس من المستطاع الالتجاء الى التاج اذا تبين أنه حكم على أحد الاشخاص خطأ أو أن الحكم عليه لم يكن كافيا . . . فقد استطاع هيوم أن يعلن عنى الملاً أنه قاتل « سیتی » ولكنه لم يقدم للمحاكمة ويعاقب لأن المحكمة سبق أن برأته من هذا الاتهام . ولكن القانون السويسرى يبيح فى هذه الحالة نقض الحكم .

وقال المدعى العام ان ظلما بينا أحاق بالسيدة « ترودى سومر » فقد قبض عليها لان الشرطة ارتابت فى اخفائها أدلة تدلن المتهم ، ثم أفرجت عنها فيما بعد لثبوت براءتها، ولذلك فقد أصبح من حقها أن تطالب

الدولة بالتعويض لانها سجننتها خطأ ، ولكنها تنازلت عن هذا الحق لانها ليست راغبة في تحميل خزانة الدولة هذا العبء وفضلت الحصول على هذه النقود من الصحف .

وختم المدعى العام مرافعته مطالبا بالحكم على المتهم بأقصى العقوبة - السجن المؤبد - لان حكم الاعدام غير معمول به في سويسرا .

وهنا نهض محامى المتهم - الدكتور ديكتور فون ريشنبرج - وقال انه موافق على كل ما ورد بقائمة الاتهام من غير استثناء ، وانه وان لم يكن « مدافعا عن التاج البريطانى » الا أن هناك بعض النواحي التي يتفق فيها القانون السويسرى مع القانون البريطانى . والواقع أن مرافعة الدفاع تركزت فى محاولة تخفيف الأثر الناجم عن سلوك موكله « لقد اعترف هيوم بأنه مذنب ومستول مسئولية تامة عن أفعاله » .

وحينما انتهى الدفاع من مرافعته سأل رئيس المحكمة هيوم : هل تريد أن تقول شيئا للمحلفين ؟ فأجاب المتهم بالنفى ، وبذلك رفع رئيس المحكمة الجلسة الى صباح اليوم التالى .

- ٥ -

كان اليوم التالى هو الخامس والاخير فى هذه المحاكمة غير العادية التي لم تشهد قاعة المحكمة الصغيرة بونترفور مثيلا لها من قبل . وافتتحت الجلسة بأن أوجز رئيس المحكمة أدلة القضية للمحلفين بدقة . وبعد ذلك اختل المحلفون بأنفسهم للتداول فى الحكم .

ولم يتسرع المحلفون فى اتخاذ قرارهم ، فقد قضوا نحو ثلاث ساعات فى التداول ، ولم يكن سبب هذا التأخير التثبت من أن هيوم مسئول عن أفعاله ، لأنه قضى معظم وقته فى السجن فى محاولة تأليف رواية اعتزم بيعها للصحف وانما كان سبب تأخر المحلفين فى المداولة هو الاتفاق على الحكم الذى يصدر ضده .

وبعد انقضاء ساعتين وخمسين دقيقة عاد المحلفون الى قاعة المحكمة

وسلموا لرئيس المحكمة الحكم كتابيا . وفي التو قرأ الرئيس الحكم :
« مذنب في جميع الادعاءات » .

ونطق القاضي بعد ذلك بأقصى عقوبة في القانون السويسري وهي
السجن المؤبد مع الاشغال الشاقة . مع حفظ حق المتهم في طلب « الافراج
المشروط » بعد انقضاء خمسة عشر عاما من حسن السلوك في السجن .
واستمع المتهم للحكم في صمت ، ولم يبد أي انفعال حتى حينما سسمع
القاضي يقول له : انه مع افتراض الافراج عنه بعد انقضاء خمسة عشر عاما
فانه سيسلم لاسكتلانديارد « اذا طلبت ذلك » .

الفصل الرابع

الدكتور ريتشارد مولر

طبيب الاسنان الالماني والسيارة المشتعلة

- ١ -

يوجد في حياة طبيب الاسنان الالماني ، الدكتور ريتشارد مولر ، من أوترباخ تاريخ لن ينسى بحى بالاتينيت بألمانيا الغربية ، حيث كان هذا الطبيب يقيم ويمارس مهنته بنجاح . ذلك هو يوم ١٨ من فبراير ١٩٥٤ . ففي هذا اليوم لم يقض الطبيب وقتا كالوقت الذي اعتاد أن يقضيه مع مرضاه ، وسبب ذلك أن أمه ماتت في ذلك اليوم . وكان عليه أن يعد العدة للجنازة ، ثم انه لم تكن لديه خادمة في منزله بالقرب من أوتربرج ولذلك كان عليه - بعد أن أوى أولاده الثلاثة الى فراشهم في المساء - أن يذهب مع زوجته الى الريف بسيارتهما بورجوارد للبحث عن خادمة مناسبة في إحدى المزارع القريبة .

ولقد كان « كلاوز » الابن الثاني ، أول من سمع انذار الحريق ، وصاح وهو يوقظ أخويه :

- استيقظا ، فقد انطلقت صفارة الحريق .

وحينئذ طلب منه أخوه الأكبر أن يعود للنوم ويدعه وشأنه . فعاد « كلاوز » الى الفراش ولكنه لم يستطع النوم لانه كان يعجب : لماذا لم يستطع أن يرى لهب النيران حينما أطل من النافذة ؟ !

وبعد أن جاوزت الساعة الواحدة صباحا بقليل ، استيقظ مرة أخرى على رنين جرس الباب وصوت يقول : « فيو » ان أحداثا عند باب الحديقة فصاح : ماذا حدث برب السماء ؟

وسمع صوتا غريبا يطلب منه فتح الباب ، فسأل الغلام عما هناك
وعندئذ سمع صوت أبيه يقول : هذا أنا يا فيو .

وعندئذ هبط فيو الدرج ، وفتح الباب ، وشد ما كانت دهشته
حينما رأى أباه مضمد اليدين وبرفقته رجلان من حاملي النقالات .
فصاح الغلام : يا الهى ماذا حدث يا أبى ؟

ولاحظ الغلام أن أباه يبكى فسأله : أين أمى ؟

فاجاب أبوه متأوها : احترقت فى السيارة .

وظهر شبح شخص ثالث أمام وجهة المنزل نصف المضيئة ..
كان ضابط شرطة . وتبع الزائرون الثلاثة الطبيب وابنه الى غرفة
الاستقبال حيث جلسوا وأشعلوا لفافات تبغ . وبدأ الدكتور «مولر»
يسعل فقال فيو : ان الدخان يضايق أبى .

وبعد قليل انصرف الشرطى قائلا : انه سيعود حينما ترى الشرطة
سؤال الدكتور «مولر» . ولما انفرد الطبيب التعس بابنه بدأ يقص عليه
ما حدث ، وكان يتكلم فى عبارات متقطعة وتختلط كلماته بدموعه ..

كانت قصة راح يرددها مرات ومرات طوال السنتين التاليتين .

قال : انه كان عائدا وزوجته بالسيارة ، وبعد أن جاوزا قرية
بيروتشوف انطلقا فى طريق مظلم بالغابة فلاحظت زوجته شيئا شبيها
بالقنفذ ، على الجانب الايسر من الطريق كانت مصابيح سيارته قد
أضاءته .

فقالت - حسبما قرر زوجها - هذا شيء للاولاد ، فدعنا نأخذه
لهم معنا .

فقال الطبيب : حسنا . سأخرج غطاء عجلة القيادة وأضع القنفذ
أمامنا فى السيارة .

وبعد أن قطعا نحو خمسين ياردة ، أوقف الطبيب السيارة وهبط
منها . وأخذ (مفكا) ومصباحا يدويا من حقيبة أدوات السيارة ، ثم
كر عائدا الى الشيء الذى جذب أنظار زوجته والذى تبين أنه قنفذ
فعلا .

وحينما وصل الى المنطقة خيل اليه انه سمع حفيفا فى الغابة

أعقبه صوت تعذر عليه وصفه ، ولكنه كان أشبه بصوت طرق أو احتكاك فوق علبة من الصفيح .

واستطرد الدكتور مولر : حينما سمعت الصوت ، تلفت حولي ، فرايت السيارة مشتعلة .. أما ما حدث بعد ذلك فلست أذكره بالضبط .. فقط رايت اللهب .. ولا شك في أن مساعدة أمك كان أول ما خطر ببالي .. ويبدو اننى تذكرت أن اخلع معطفي للمساعدة في اطفاء النار . واعتقد اننى ركضت في الطريق ولكنى لا أذكر الى أى مدى ذهبت .

وسمع راكب دراجة ، اسمه مارتن ، صيحات استغاثة الدكتور من بعيد ، ولو أن الدكتور لم يستطع أن يتذكره وهو في حالته الهستيرية .

وقيل أن الدكتور «مولر» كان يصرخ قائلا : المعونة . أرجوك أن تساعدنى . أن زوجتى تحترق في السيارة .

ولما اقتربا من السيارة ، التى كانت النار تلتهمها في تلك اللحظة، أدرك «مارتن» أنه من المستحيل اطفاء النار من غير معونة الاخصائيين، ومن ثم انطلق بدراجته بأقصى سرعة الى قرية بيروتشوف حيث اتصل تليفونيا بفرقة المطافئ والشرطة . ثم عاد الى السيارة المحترقة وحاول اطفاء النار بأغصان الاشجار التى اقتلعها من الاشجار القريبة .

وبعد ربع ساعة وصلت سيارات المطافئ والشرطة والنقالة . وفي هذا الوقت كانت النار قد خفت قليلا ، ورؤيت بقايا جسم آدمى محترق في مقدمة السيارة بجوار مقعد السائق .

وأدار رجال المطافئ فوهات خراطيمهم الى خارج السيارة ، وبعد لحظات قليلة أطفئت السنة اللهب التى كانت تاكل هيكل السيارة وعجلاتاتها . الا انه من العجيب أن أحدا لم يبذل محاولة بالنسبة للبقايا المتفحمة الا بعد انقضاء عدة ساعات ، وكان الماء قد أزال جميع الآثار الموجودة على الهيكل المتفحم ولقد كان هذا الاهمال ، من سوء حظ الدكتور مولر . لأنه لو اتخذ الاجراء المناسب مع الجثة حين وصول رجال المطافئ والشرطة لأمكن معرفة سبب الوفاة بالدقة من فحص الجثة . ولكن الحريق أتم عمله بشكل مذهل بحيث كان من المستحيل إجراء مثل هذا التشخيص . أما السبب الذى قدمه رجال الاطفاء والشرطة فهو « أنه من المحقق أن الحريق لم يكن عرضا » .

وبعد أن انتهى الدكتور من سرد قصته ، تملكه الاعياء فأوى الى فراشه وبعد لحظات كان يغط في نوم عميق ، أما ابنه «فيو» فلم يستطع النوم بعد أن سمع هذه القصة الرهيبة . ولذلك بادر بارتداء معطفه ، وتسلسل من المنزل بهدوء حيث استقل دراجته وانطلق في اتجاه بيروتشوف . وحينما وصل الى انحناء شديد في الطريق استطاع أن يرى وهج نار عند المنعطف جعله يظن أنه منبعث من السيارة . ولكنه كان منبعثا من نار أوقدها رجال الاطفاء والشرطة الذين تخلفوا في موقع الحادث ليصطلوا في ذلك الليل القارس البرد من شهر فبراير .

وهبط الغلام من فوق دراجته ، وأسندها الى شجرة . ثم دنا من السيارة المحترقة . وأخرج مصباحه اليدوي وأضاءه ، وسدد اشعته من خلال زجاج النافذة المحطم فسقط الضوء على بقايا الجثة البشعة الموجودة على المقعد الامامي .

وفجأة أحس «فيو» بيد ثقيلة توضع فوق كتفه ، فاستدار بقوة . فرأى أمامه شرطيا قال له :

— دغ هذا وشأنه . لا تنظر اليها فلا فائدة في ذلك .

وسمح الغلام للشرطي بأن يقوده بعيدا .

وفي صباح اليوم التالي ذهب الدكتور «مولر» الى مركز الشرطة حيث استجوب هناك ساعات طويلة عن مأساة الليلة السابقة . وفي الساعة الواحدة والنصف مساء استأذن في الذهاب لتشيع جنازة أمه .

فقال له الضابط القائم بالتحقيق : ستبقى هنا لأن الشك يحيط بك فاذا سمحنا لك بالذهاب للجنازة فستكون في رفقة أحد منا .

وأخيرا ، وفي نحو الساعة الثانية ، سمح له بالذهاب للجنازة . فركب مع أخيه في سيارته في حين جلس شرطي سري في المقعد الخلفي .

وكانت الجنازة قد أوشكت على الانتهاء حين وصولهم . وذهبوا للمنزل فيما بعد حيث تناول المشيعون طعام الغداء في حين بقي الشرطي السري في السيارة خارج المنزل .

كانت تلك فرصة يستطيع فيها الدكتور «مولر» أن يهرب اذا أراد ، لأن القرية قريبة جدا من الحدود الفرنسية ، ولأنه كان يستطيع

التسلل من المنزل من الباب الخلفى من غير أن يفتن الشرطى السرى لذلك . ولكن الدكتور «مولر» اختار البقاء .

وبعد ساعتين عاد الدكتور «مولر» الى مركز الشرطة مع حارسه . وبمجرد وصوله ألقى القبض عليه ، ووجه اليه الاتهام بقتل زوجته .

قضى مكتب المدعى العام وقتا طويلا فى اعداد القضية ضد الدكتور «مولر» فقد اتبعت الشرطة سبيل التحريات اللازمة بمنتهى البطء ، ويبدو أنها واجهت صعوبة فى الوصول الى الدافع على القتل . اذ لماذا يسعى رجل ، تدل جميع الظواهر على أنه سعيد فى زواجه من سيدة فتاة وله ثلاثة اولاد محبوبون ، لقتل زوجته عمدا ؟ ولماذا اختار هذا اليوم بالذات بعد موت أمه الطاعنة فى السن ؟ كان من الصعب على السلطات الاجابة عن هذه الاسئلة ولذلك انقضى مايقرب من عامين قبل أن يقدم الدكتور «ريتشارد مولر» للمحاكمة الجنائية .

وكانت القضية التى عرضها الاتهام تنحصر فى أن «مولر» قتل زوجته حتى يسترد حريته ويتزوج من محظيته «تلى هوبل» التى كانت تعمل كاتبة استقبال فى عيادته باوترباخ . ذلك لانه مع انقضاء عشرين عاما على زواجه ، وما كان يبدو من اخلاصه التام لزوجته ، لم يكن مخلصا فعلا لزوجته . وفى اثناء حياته الزوجية ، كانت له ثلاث مغامرات غرامية كشفت الشرطة عنها عند محاكمته . وكانت المغامرة الاولى فى اثناء حالة الاضطراب التى سادت ألمانيا على اثر انهيار ألمانيا عسكريا فى مايو ١٩٤٥ ، فقد لجأ الطبيب ذات ليلة حين زحف جيوش الحلفاء ، الى مزرعة فى بلغاريا ، حيث قيل انه اعتدى على فتاة اسمها «فكتوريا» فى غرفته . وحينما عاد ، فيما بعد ، وجد فكتوريا حاملا نتيجة لليلة التى قضياها معا . وقالت الفتاة انه عرض عليها اجهاضها ولكنها رفضت .

أما مغامرته مع « نيللى هوبل » فبدأت فى ابريل ١٩٤٧ ، وكانت الفتاة تمرن قبل ذلك فى عيادة أحد اطباء الاسنان بكيسرلوتن حيث تعلمت كيف تضع رءوس المرضى فى الوضع الصحيح على المقعد وكيف تحشو الاضراس . وكانت فى التاسعة عشرة من عمرها حين جاءت لتعمل فى عيادة الدكتور «مولر» الذى كان حينذاك فى منتصف العقد الخامس ، وبعد ثمانية أشهر بادلتها الفتاة الحب ، فكانت القيلة الاولى ، ثم العناق الاول ، فالسير معا فى الغابة وأخيرا قضاء أول عطلة أسبوعية

معا . وما لبثت العيادة ان أصبحت عشا للغرام . وأعقبت ذلك ليالٍ كثيرة جميلة في فنادق غير محترمة ببالاتنيت .

ومضى غرامهما سعيدا عدة سنوات من غير ان يعلم بأمره أحد غيرهما ، وكانا يتبادلان الهدايا فى تلك الاثنياء . فصنعت نيللى لطبيبها (بول أوفر) وقدمته له هدية فى عيد الميلاد ، أما هو فأعطاهها غطاء منضدة ، « غطاء منضدتنا » كما وصفته « نيللى » فى إحدى رسائلها لحبيبها . وترك « مولر » الصديقية (بول أوفر) فى العيادة فى اثناء عطلة عيد الميلاد ، وبعد عدة أسابيع أخذ الصديقية الى المنزل وقال لزوجته ببساطة ان نيللى صنعتها له .

ولم تقل « ترود مولر » شيئا لزوجها فى ذلك الحين ، الا انها حينما اختلت بأختها « إيرين بوهلر » قالت بكبرياء « لقد صنعت له هذه المخلوقة صديقية . اليست هذه هى النهاية ؟ »

فأجابت أختها ببساطة : أظن ان الممرضة تستطيع ان تفعل ذلك ، اذا كانت علاقتها طيبة برئيسها .

وفى هذا الوقت نفسه بدأت « إيرين بوهلر » نفسها تفازل الطبيب فقد ظلت تعاني من اضطراب صحتها سنوات طويلة ، وكانت تلجأ الى مختلف الاخصائيين بناء على نصيحة « مولر » وتوصياته ولكنها لم تبرا ، الى أن كان يوم ذهبت الى عيادة زوج أختها لتترك له رسالة .

وفتحت « نيللى هوبل » الباب لها وادخلتها غرفة الانتظار حيث كان هناك مرضى آخرون كثيرون ، وبعد دقيقة أو اثنتين دخل الدكتور « مولر » غرفة الانتظار بمعطفه الابيض ، وهو بادى الاندفاع كعادته فى اثناء العمل .

وخرجا الى الممر معا ، وسألها ، وهو يتطلع الى عينيها : ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ؟

فأجابت : أواه يا ريتشارد . لقد بلغ السيل الزبى ، ولم أعد أطيق ..

فسألها ، وهو يمسك بيدها ويتأمل عينيها : لم تعودى تطيقين ماذا ؟

— ليس فى استطاعة الاخصائى معاونتى ، فهو يعالجنى منذ ثلاثة

أسابيع من غير أن يتغير شيء ، فما زالت الآلام مستمرة ، ولا يمكننى النوم فى الليل .. فماذا أفعل يا ريتشارد ؟

ففكر لحظة ثم قال ضاحكا : هل تعلمين ما أمرك يا إيرين ؟ هل أخبرك ؟

— نعم . فماذا هناك ؟

— انك بحاجة الى رجل .. تلك هى المشكلة كلها .

فانتفضت إيرين وقالت : ولكنى لست متزوجة ؟

فضغط زوج أختها يديها بين يديه بقوة ، وأحست إيرين لحظتها وكأنه يريد أن يضمها الى صدره ، فانتزعت نفسها سريعا وهرولت خارجة من باب العيادة الى الشارع .

ولكن إيرين لم تستطع مقاومة زوج أختها ، وفى النهاية أصبحت هى أيضا محظيته ، وفى الوقت نفسه كان الثلاثة والمحظية يذهبون الى الريف بالسيارة وكانت إيرين تتأثر فى هذه المناسبات باخلاص أختها لريتشارد ، وكيف انها كانت تتفانى فى رعايته .

وفى شتاء عام ١٩٥١ - ١٩٥٢ لاحظت إيرين ان عواطف زوج أختها بدأت تغتر نحوها . فانتابها القلق ، وأقدمت على خطوة طائشة - كما قالت فيما بعد - فكتبت له رسالة تأنيب أخبرته فيها بمدى حبها له ، وبعثت بالرسالة الى عيادته بأوترباخ . وقرأ الطبيب الرسالة ووضعها فى جيبه حيث نسيها . وبعد ذلك بعدة أيام ، وحينما كانت زوجته تنظف السترة عثرت على الرسالة الخطيرة فى جيبها .

أما ما دار بين الزوج وزوجته ، على أثر هذا الاكتشاف الرهيب ، فليس لايرين علم به ، فان أختها لم تحدثها بالامر حينذاك ، الا انه ما كادت تمضى عدة أسابيع ، وتذهب إيرين لمنزل أختها ، حاملة طاقة من الورد بمناسبة عيد ميلاد «تروود» حتى استقبلتها أختها بفضب ، وقالت لها : كان يحسن ألا تحضرى ثانية الى منزلنا .

وهكذا لم تحدث مناقشات ولا مواقف عاصفة . لم يتعد الامر هذه العبارة الوحيدة ..

وتركت إيرين المنزل مبهوتة . وفى اليوم التالى اتصلت بالعيادة تليفونيا ..

وسألت : ماذا حدث لترودى ؟

فأجاب الطبيب : لقد عثرت على رسالتك ..

— لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ؟

— حسنا .. خطر ببالي ان الموقف احسن هكذا . فلماذا انت مهتاجة ؟

وارتج على ايرين ، ووضعت السماعة فى مكانها بعنف .

وكانت تتوقع حدوث أزمة فى منزل الزوجية ، ولم يكن يدهشها أن تعلم أن اختها هجرت زوجها . ولكن العكس هو الذى حدث .. لقد صفحت اختها عن زوجها ، وبعد أسبوع ذهبت الاسرة كلها الى بحيرة كونستانس ، لقضاء عطلة عيد الفصح .. ولكن «ترود» لم تستطع الصفح عن اختها ، ولذلك بدأت تقل من زيارتها لأبويها لان « ايرين » كانت تعيش فى كنفهما .

ولم تكن الرسالة التى وجدتها «ترود» فى جيب زوجها هى الاكتشاف الوحيد الذى ألمها فبعد ذلك بعدة شهور عثرت فى جيب معطف زوجها الابيض على تذكرة دواء سجلت «نيللى هوبل» على ظهرها حبها الذى لا يموت لمخدومها .

ولم تقل « ترود » شيئا لزوجها هذه المرة ، ولكنها انتهزت فرصة غيابه المؤقت عن العيادة وذهبت لحسم الامر مع كاتبة الاستقبال .

قالت « لنيللى هوبل » : أتوسل اليك ان تدعى زوجى وشأنه . فكرى فى أولادنا الثلاثة ، انهم لم يصيبوك بأى أذى . فكرى فى معنى هدم زواج سعيد .

وحينما عاد حبيب « نيللى » حاولت أن تقطع علاقتها به ولكنها لم تنجح ، فقد استمر يتقابلان بعد ساعات العمل ، وفى شهر يوليو ١٩٥٣ رحلا معا فى عطلة مدتها اثنا عشر يوما قضياها بالنمسا وايطاليا ، تاركين « ترود » فى المنزل « للعناية بالأولاد » كما قال زوجها .

وحين عودته الى أوتربرج حدثت مشاجرة بينه وبين زوجته .

قالت « ترود » بعنف : لا تقل انك كنت وحدك .. انك لن تجرؤ على الكذب على ، لاننى اعلم الحقيقة .. لقد ذهبت « هوبل » معك .

واضطرب « ريتشارد مولر » للاعتراف بصحة اتهام زوجته ، وهو
خجل .

كان من الواضح انه لا بد من استقالة « نيللي هويل » اذا أريد
لهذا الزواج البقاء ، ولهذا قررت « نيللي » البحث عن عمل آخر . وبعد
عدة شهور أمكنها العثور على وظيفة - مساعدة لاحدى الأمهات فى
انجلترا - وقد ودعها حبيبها بعد أن قضيا ليلتهما الأخيرة معا فى فندق
بارك بمانهايم .

لم يكونا يعرفان متى وأين يمكن أن يتقابلا مرة ثانية ، والواقع
أن لقاءهما التالى تم بعد عامين ، ولم يكن هذا اللقاء على النحو الذى
تمنياه فى جو أجنبى ملائم ، وإنما فى قاعة محكمة المانية مقبضة .

- ٢ -

بدأت محاكمة الدكتور « ريتشارد مولر » فى قضية قتل زوجته
بمحكمة الاستئناف فى كايزرلوترن يوم ٢٨ من نوفمبر ١٩٥٥ . وقال
المتهم : انه ليس مذنباً . أما الاتهام فقال انه قتل زوجته ، ليس لسترده
حرية ويتزوج من محظيته ، لأن مغامرته مع « نيللي هويل » لم تنته
برحيلها الى انجلترا ، بل بالعكس زاد هذا الانفصال الاجبارى حدة
عاطفة العاشقين الأثيمين ولهفة على الالتصاق ببعضهما بعضاً . ومضى
الاتهام يقول : ان « مولر » كثيراً ما كان يتصل بخليته تليفونيا ، وقدم
قائمة بهذه المكالمات ، كما كان يبعث اليها برسائل طائفة بالحب ، فكانت
« نيللي » تجيبه على رسائله برسائل مماثلة .

وبعد أن قدم الاتهام الدافع على ارتكاب الجريمة راح يصف
الوسيلة التى نفذها المتهم بها ، فقال ان « مولر » اشترى مدفأة جديدة
لسيارته قبل وقوع الجريمة بأسبوع واحد ، كما اشترى أربعة جالونات
من البترول لم يفرغها فى خزان السيارة ولكنه استبقاها منفصلة
فى علب بسيارته . ثم ادعى أنه شديد الاهتمام بصحة زوجته فى
اليوم الذى اختاره لارتكاب جريمته ، واقترح عليها ، بعد تناول
العشاء ، الذهاب الى الريف بالقرب من اوتربرج للبحث عن خادمة فى
احدى المزارع . وعادا من طريق غير مطروق ، بالقرب من بيروتشوف
لكن « مولر » حاول الوقوف على الجانب الأيمن من الطريق ملاصقا
الأشجار التى على جانبه بحيث يستحيل فتح الباب الأيمن للسيارة .

واستطرد الاتهام قائلا : ان « مولر » لطم زوجته فوق رأسها
أو خنقها ، ويحتمل أنه قتلها ، وبعد ذلك أجلسها في المقعد المجاور
لمقعد السائق ، ثم وضع المدفأة تحت قدميها للايهاام بأن انفجارا عرضيا
حدث ، وبعد ذلك سكب البترول على جثتها واشعل فيها النار . فقد
عثر على علبة بترول خالية بجوار الجثة على المقعد الأمامي وأخرى على
المقعد الخلفي وراء الجثة مباشرة .

وقال الاتهام : ان هذه الحقائق اثبتت أن الجريمة ارتكبت مع
سبق الاصرار .

ومع أن الدفاع لم ينكر أن علاقة المتهم « بنلى هوبل » كانت
قائمة ، الا أنه أنكر أنه لم يكن هناك تفكير في الزواج من جانبهما ، كما
أنه لم يكن في نية المتهم الاضرار بزوجه مطلقا ، وانما كان موتهما
نتيجة حادث اليم لم يستطع المتهم تفسير طبيعته ، وانما راح يردد
القصة التي طالما قالها عن القنفذ الذي كان في الطريق وكيف طلبت
منه زوجته أن يحضره للأولاد .

قال مولر : قدت السيارة الى جوار الشجرة التالية على يمين
الطريق ، وأوقفتها ثم هبطت منها ، وأخذت « مفكا » من الحقيبة الموجودة
أمام مقعدي ، كما أخذت قطعة من المطاط القديم ومصباحا يدويا . وكان
ضوء القمر باهتا ، ولكنني كنت أستطيع تمييز طريقي بسهولة . وبعد
أن أمسكت بالقنفذ سمعت صوتا في الغاب شبيها بالصوت الذي يصدر
عن موقد مشتعل . وحينما سمعت هذا الصوت تلفت حولي ، فرأيت
سيارتي مشتعلة . ولكنني لا أعلم ماذا حدث ، لقد رأيت اللهب فقط ،
وليس في استطاعتي أن أقول هل حاولت اخراج زوجتي من السيارة
أو ، لا . . .

واستمرت المحاكمة عدة أسابيع . وفي اليوم الرابع والثلاثين
أعلن نيا مشير في قاعة المحكمة . . كان المتهم مريضا بدرجة أقعدته عن
المجيء للمحاكمة ، فقد حاول الانتحار في زنزانه بقطع أحد شرايينه وكاد
ينجح في محاولته . وبدأ الناس يتساءلون : هل سيبرأ المتهم ليتمكن
المضي في محاكمته لأن القانون الألماني لا يسمح بوقف اجراءات المحاكمة
أكثر من عشرة أيام ، والا فينبغي أن تبدأ المحاكمة من جديد بمحلفين
جدد ؟

ولقد أمكن علاج المتهم بحيث لم تكن هناك حاجة لاعادة محاكمته ،

وان كان قد انهار فوق الدرج وتطلب الأمر حقنه حتى يستطيع المثل
أمام المحكمة ، وسمح له بالجلوس في مقعد مريح بالمحكمة ، وكان يجلس
متهاكاً في مقعده وقد مال رأسه وكأنه فاقد الوعي لا يدري شيئاً عما
يجرى حوله .

وأعلن المحلفون أن الدكتور « ريتشارد مولر » مذنب ، وأنه قتل
زوجته ، وقضت المحكمة بسجنه ست سنوات ، وهو حكم خفيف جداً في
هذه الظروف .

والواقع أن ادانة « مولر » قامت على أدلة عرضية .. هل كان
مذنبا فعلا ؟ أو أن ظلما حدث في هذه القضية ؟

لقد أثارت هذه القضية اهتماما كبيرا في طول المانيا وعرضها ،
وتعرضت النيابة والمحكمة لحمولات صحفية عنيفة ، ولم يكن ذلك لان
النيابة استطاعت ادانة رجل برىء وانما لاستمرارها في محاكمة
« مولر » بعد أن حاول الانتحار وأصبح في حالة لا تمكنه من المجيء
للمحكمة ، اذ كان منظره يقطع نياط القلوب ..

الفصل الخامس

رودلف ايفانوفتش آبل

استاذ الجاسوسية السوفيتية

- ١ -

فى الرابع من مايو ١٩٥٧ دخل السفارة الامريكية بباريس رجل ذو ملامح سلافية واضحة ، وحينما سأل أحد موظفى السفارة عما اذا كانت هناك أية خدمة يمكنه أن يقدمها له ، اندفع الزائر من فوره يدلى باعتراف مثير ..

قال : اننى ضابط فى المخابرات السوفيتية ، فقد قضيت السنوات الخمس الأخيرة وأنا أعمل فى الولايات المتحدة ، وانى بحاجة الى مساعدتكم الآن ..

وتوسل للحصول على الملجأ السياسى .

وكان اعترافه حقيقيا تماما ، اذ تبين انه المقدم رينوهايهانن من لجنة أمن الدولة السوفيتية ، وكان هايهانن مواطنا سوفيتيا من أصل فنلندى ، وعميلا مدريا فى الجاسوسية ، انضم الى منظمة المخابرات العسكرية بالاتحاد السوفييتى منذ أيام الحرب الروسية الفنلندية فى عام ١٩٣٩ ، وكان حينذاك فى التاسعة عشرة من عمره وقال انه جاء الى الولايات المتحدة فى اكتوبر ١٩٥٢ حاملا جواز سفر امريكى باسم يوجين نيقولاى ماكى جاء به ان حامله ولد بايدهو عام ١٩٢٧ ، وقد أقام بالبلاد بهذا الاسم حتى ابريل ١٩٥٧ ، وفى الشهر الأخير تلقى فجأة وعلى غير انتظار استدعاء الى موسكو ، وعندئذ خطر بباله انه أخفق فى عمله ، وجعله علمه بالمصير ، الذى ينتظر العملاء الفاشلين عادة ، بقرار الهرب ..

وفى مقابل الحماية التى منحت له وعد المقدم هايهانن بالتعاون الكامل مع سلطات المخابرات الامريكية ، ولذلك أعيد الى نيويورك بالطائرة يوم ١٠ مايو حيث استجوبه رجال المكتب الاتحادى الامريكى للتحقيقات ، وقد قال لهم ان مهمته كانت ذات شقين ، الأول : الابلاغ عن جميع المنشآت العسكرية الجديدة ، والثانى : حشد العملاء من بين أفراد الجاليات الأجنبية الامريكية ، وأعطى اسما حركيا « فيك » وكان يستخدم هذا الاسم فى ابلاغ أية معلومات يستطيع الحصول عليها الى وكيل سوفيتى آخر كان يتلقى أوامره منه ، الا أن هايهانن لم يكن يعرف شخصية الضابط رئيسه ، اذ كان يعرفه باسم « مارك » فقط .

وطبقا لما قاله هايهانن تم أول لقاء بينه وبين « مارك » فى دورة احدى دور السينما بفلاشينج برونج ايلاند فى أحد أيام شهر يوليو أو أغسطس ١٩٥٤ ، وكان قد طلب الى هايهانن ارتداء رباط عنق مخطط باللونين الأزرق والأحمر وان يدخل غليونا . وجاء « مارك » فى الموعد المحدد وتحدث اليه . ثم تكررت المقابلات بينهما وكانت تتم عادة فى محطات تحت الأرض أو فى الشوارع المزدهمة . ووصف هايهانن « مارك » بأنه رجل متوسط البنيان يبلغ طوله حوالى خمسة أقدام وعشر بوصات ، اسود الشعر خفيفه ، يرتدى عادة عوينات سميكة . وكان هذا الوصف ينطبق على آلاف ، وربما على سبعة ملايين من سكان نيويورك .

وكانت وسيلة الاتصال التى استعملها الجاسوسان هى صناديق البريد المرتجلة ، حيث يترك الرسائل فى أماكن مختلفة مثل عامود النور فى فورت تايرون بارك ، أو فى السور المعدنى بالشارع السابع بالقرب من قنطرة ماكومبس وغيرها من الأماكن وبالأخص فى سنترال بارك وبروسبيكت بارك ببروكلين . واتفق الرجلان على رسم علامات معينة بالطباشير على سور معين فى سنترال بارك ليعلم أحدهما الآخر بأن هناك رسالة تحتاج الى التسليم .

وكان من صناديق البريد المؤقتة ثقب فى بئر سلم عند ايسر ريفر ببروسبيكت بارك ببروكلين ، ولم يتلق هايهانن أى رد على آخر رسالة تركها هناك ، ولذلك بدأ يظن انه من الجائز أن تكون ايد أخرى عثرت على الرسالة غير اليدين اللتين كانتا ينبغى أن تعثرا عليها . وبعد ذلك بقليل جاءت الدعوة للعودة الى موسكو فاقتنع بأن شيئا ما قد حدث ..

وانتقل رجال المباحث الجنائية مع هايهاتن الى بروسسبكت بارك حيث أرشدتهم الى الدرج الذى تحدث عنه ، ولشد ما كانت بهتتهم حينما لاحظوا ان الثقب قد سد حديثا ودلت التحريات التى جرت بعد ذلك على أن الرجال القائمين على صيانة الحديقة كانوا قد لاحظوا هذه الفجوة وأغلقوها ، ولو انهم كانوا قد تطلعوا بداخل الفجوة قبل أن يغلقوها لعثروا على ما عثر عليه رجال المباحث فى تلك اللحظة ، وهو مزلاج مجوف طوله بوصتان وقطره بوصة وبداخله الرد الذى كتبه « مارك » . وكانت الرسالة مصورة على فيلم مصغر ومحتوياتها كالآتى :

« لم يحضر أحد للمقابلة يوم ٨ أو ٩ كما قيل لى . . فلماذا ؟ هل يجب أن يكون بالداخل أو الخارج ؟ هل الوقت غير ملائم ؟ يبدو الا غبار على المكان . أرجو التحقيق » .

وسئل هايهاتن أيضا عن عمله فى تجنيد الجواسيس والعثور على الأشخاص الذين يعتقد انهم يعطفون على المبادئ السوفيتية ، فقال ان من بين المهام التى عهد اليه بها العثور على جاويش اسمه روى رودس كان يعمل من قبل فى السفارة الامريكية بموسكو وكان يقدم المعلومات للروس هناك . وأضاف هايهاتن بأنه ذهب الى سساليديا وهى موطن الجاويش بكلورادو ولكنه فشل فى العثور عليه ، وتأييد هذا القول برسالة مسجلة على فيلم مصغر « ميكرو فيلم » رسالة من « مارك » الى هايهاتن عثر عليها فى مزلاج آخر مجوف بمنزل هايهاتن سابقا فى بيكسكيل بنيويورك . وجاء فى هذه الرسالة أن رودس جند « فى خدمتنا » فى شهر يناير ١٩٥٦ « على أساس وثائق تدينه » وأنه « مشدود اليها بإيصالاته وبالمعلومات التى قدمها مكتوبة بخطه » .

وكانت احدى مهامه الأخرى البحث عن هيلين سوبل زوجة مارتن سوبل الذى حكم عليه عام ١٩٥١ مع جولياس وايتيل روزنبرج لأنهم سلموا أسراراً ذرية للاتحاد السوفيتى (أعدم الزوجان روزنبرج وحكم على سوبل بالسجن ثلاثين عاما) . وكان على هايهاتن أن يسلم مسز سوبل ٥٠٠٠ دولار اعطاه لها « مارك » ، ولكنه اعترف بأنه لم يفعل ذلك . . وانما دفن النقود فى حديقة بير ماونتين بعد أن وضعها فى لفافتين اخرجهما فيما بعد . وقال انه احتفظ بالنقود لنفسه وأبلغ موسكو ان مسز سوبل استلمتها بسلام . وقال هايهاتن لرجال المكتب الامريكى الاتحادى للمباحث الجنائية انه طلب اليه معرفة « ما اذا كانت هذه السيدة على استعداد للعمل كجاسوسة » ، ولكنه اعترف بأنه لم ينفذ هذه المهمة أيضا .

. وظل رجال المباحث الامريكية فترة من الوقت عاجزين عن اكتشاف شخصية « مارك » الغامضة نظرا لأنه كان يبدو انه العقل المدبر لشبكة الجاسوسية السوفيتية كلها في الولايات المتحدة . وسئل هايهانن عما اذا كانت لديه أدلة أخرى يمكن أن ترشد المكتب الى « مارك » وأخيرا استطاع هايهانن تقديم هذه الأدلة ، اذ قال انه حدث في احدى المناسبات أن كان في أشد الحاجة الى مواد للتصدير للمضى في أداء عمله وانه أبلغ « مارك » بذلك فأخذه الى غرفة في بروكلين كان يحتفظ فيها بهذه المواد وقال هايهانن ان الوقت كان ليلا ولذلك فانه لا يستطيع أن يتذكر العنوان بالدقة ولكنه يظن ان الغرفة كانت في الطابق الرابع أو الخامس من مبنى مجاور لشارع فالتون أو شارع كلارك .

وبادر رجال مكتب المباحث الجنائية بتفتيش المنطقة الى أن انحصر تفتيشهم في المبنى المشيد بالطوب الاحمر رقم ٢٥٢ بشوارع فالتون حيث كانت هناك لافتة كتب عليها « المصور اميل ر . جولدفوس » . وكان الاستديو الخاص بهذا المصور موجودا بالطابق الخامس . ولكن الاستديو كان مغلقا ، وعلم رجال المباحث الجنائية من سكان المبنى - ومعظمهم من الكتاب والفنانين ، ان مستر جولدفوس غادر الاستديو في يوم متأخر من الشهر السابق يكاد يعادل نفس اليوم الذي أبحر فيه مستر هايهانن الى فرنسا ، ووصف الجيران المصور بأنه « رجل هادئ خجول يبدو وكأنه مريض في بعض الأحيان » . ونظرا لأن الاحتمالات كانت ترجح ان المصور هو الرجل الذي يبحثون عنه ، فقد وضع رجال المباحث الجنائية المبنى تحت المراقبة . ولم تخيب الأيام أملهم .

ففي يوم ٢٨ مايو رأى رجل ينطبق عليه وصف هايهانن لـ « مارك » جالسا على (دكة) خارج المنزل بشوارع فالتون ، وكان منظره يوحي بأنه ينتظر أحد الأشخاص ، وما لبث أن انصرف بعد قليل . ولكن رجال المباحث الجنائية لم يتعقبوه لأنهم قالوا انه اذا كان هو « مارك » فليس من شك في انه سيعود .

واستمرت رقابة المنزل ، وكانت صناديق البريد المؤقتة وسور سنترال بارك تفحص يوميا ، الا انه لم يعثر بها على رسائل . وأخيرا وبعد منتصف ليل ١٣ يونيو بقليل رأى ضوء ينبعث من الاستديو ، وبعد قليل شوهد رجل يشبه الرجل الذي كان يجلس على (الدكة)

يخرج من باب المنزل • فتبعه رجال الشرطة السرية في شارع فالتون الى محطة القطار تحت الأرض ، حيث استقل قطارا نزل منه في قلب مدينة مانهاتان واستمر رجال الشرطة في تتبعه حتى فندق لاثام في الشارع الثامن والعشرين وكتب اسمه في سجلها « مارتن كولنز » •

وأثناء الرحلة نجح أحد رجال مكتب المباحث الجنائية في تصوير المشتبه فيه بآلة تصوير مخبأة ، وعندما تم تحميل الفيلم وعرض على هياهو صاح على الفور :

— لقد عثرتم عليه •• انه مارك •

وفي التو وضع « مارتن كولنز » تحت الملاحظة ، وأجريت تحريات دقيقة استنادا الى المعلومات التي كتبها في سجل الفندق ، ولكن الدليل الوحيد الذي كان يبرر القبض عليه هو دخوله الولايات المتحدة بطريقة غير مشروعة وعدم تسجيل اسمه كأجنبي • وهكذا القى القبض عليه بمعرفة سلطات الهجرة الاتحادية على أساس هذه الاتهامات وأرسل الى مركز احتجاز الأجانب في ماك الن بتكساس توطئة لابعاده •

وفي ذلك الاثناء أجرى تفتيش الاستوديو ببروكلين وغرفة « مارتن كولنز » حيث عثر على مجموعة مختلفة من أدوات التجسس ، وكان من بينها مفكرات للشفرة ، وآلات تصوير ، وأفلام لانتاج النسخ المصغرة — فيلم في حجم رأس الدبوس يستوعب معلومات تفصيلية يمكن أن تكبر بعد ذلك الى حجم يتيح قراءتها — وأدوات متنوعة ذات أجزاء مجوفة كأقلام الحبر وأقلام الرصاص وفرشاة الحلاقة وأزرار أكمام القميص والمزاج وكان هناك أيضا عدد من الصور الزيتية وألوان الماء في الاستوديو دلت على ان المستأجر فنان هاو وكان بعضها يحمل توقيع « جولدفوس » والبعض الآخر توقيع « آبل » ، كما عثر أيضا على راديو قوى ذى موجة قصيرة •

وأعيد السجن من تكساس الى بروجرين حيث سلم الى مكتب المباحث الجنائية للاستجواب • وبعد أن أجرى معه التحقيق خمسية أيام متواصلة بلا نوم ، ثم يوميا لمدة ثلاثة أسابيع رفض أن يقول شيئا أكثر من تأكيد لما سبق أن قاله لسلطات الهجرة وهو ان اسمه الحقيقي رودلف ايفانوفتش آبل وانه مواطن سوفيتي بغض النظر عن

الجواز الأمريكى الذى يحمله باسم « اميل ر . جولدفوس » ، وانه
كهايهانن ، عضو فى لجنة أمن الدولة ويحمل رتبة عقيد .

وفى يوم ٧ من أغسطس ١٩٥٧ حوكم العقيد آبل أمام محكمة
بروكلين العليا باتهامى التآمر للحصول على أسرار الدفاع القومى ، وعدم
تسجيل اسمه كأجنبى . وقدم العميد هايهانن للمحاكمة معه بوصفه
الشاهد الاساسى للاتهام ومعهم ثلاثة عملاء سوفيين هم بافلوف
وكوراسكوف وسفرين الذين قيل انهم ينتمون الى الشبكة ولكنهم
استطاعوا الهرب الى روسيا ولذلك حوكموا غيابيا . .

واتفق ان كنت فى نيويورك بعد أسابيع قليلة وذهبت لزيارة
السجن الاتحادى فى ويست ستريت حيث كان آبل محتجزا توطئة
لمحاكمته ، وقد أشار لى عليه موظف السجن الذى رافقنى فى جولتى
فلم أتمالك من الشعور ببعض الأسف عليه وهو ممدد فوق بطنه على
الفراش لأننى أيقنت انه ارتكب الخطيئة التى لا تغفر لآى رجل من
رجال المخابرات يقع فى قبضة العدالة .

- ٢ -

نظرا لان آبل اعترف بأنه سوفيينى الجنسية فقد اتصلت السلطات
الأمريكية رسميا بسفارته فى واشنطن جريا على العرف الدولى المتبع
وطلب اليها الافادة عما اذا كانت تعتزم تقديم أى عون قانونى له ، ولكن
سفارة الاتحاد السوفيينى غسلت يديها من الموضوع كله ، وكان الرد
الذى قدمه المتحدث باسم السفارة ، لا شأن لنا بهذه القضية ، ومن
ثم فقد اختار القاضى محاميا للدفاع عن المتهم بموافقة حسبما جرت
العادة فى مثل هذه الظروف .

وبدأت محاكمة رودلف ايغانوفتش آبل أمام القاضى مورتيمر و .
بايرز وهيئة محلفين مشكلة من تسعة رجال وثلاث نساء فى محكمة
بروكلين الاتحادية يوم ١٤ من أكتوبر ١٩٥٧ . وقال المتهم انه غير
مذنب فى جميع الاتهامات ، ورأس الاتهام مستر وليام ف . تومكتر
مساعد النائب العام سابقا الذى كان يولى رئاسة قسم الامن الداخلى
بوزارة العدل الأمريكية ، أما الدفاع فتولاها مستر جيمس ب . دونوفان
الذى استعان باثنين من محامى الحكومة سابقا لمساعدته . وكان من بين
زملاء آبل المتآمرين الثلاثة الذين حوكموا غيابيا بافلوف الذى كان
قد اتهم فى حلقة الجاسوسية الخطيرة التى اكتشفت فى كندا عام ١٩٤٦

وكان يعمل حينذاك سكرتيرا ثانيا وقنصلا فى السفارة السوفيتية باوتاوا ورئيسا للمخابرات السرية السوفيتية فى كندا . أما الاثنان الآخران كورساكوف وسفرين فقبل انهما تلقيا تعليمات بالقيام بعمليات تجسس فى الولايات المتحدة وكان سفرين عضوا سابقا بالوفد السوفيتى لدى الأمم المتحدة ، وقال هايهاتن انه سلمه رسالة مكتوبة بالشفرة فى أحد المسارح .

ولم يجد الاتهام صعوبة فى التدليل على أن آبل دخل البلاد بطريقة غير مشروعة قادما من كندا فى عام ١٩٤٨ ، وللحصول على جواز سفر امريكى استخدم اسم الطفل الامريكى اميل جولدفوس الذى مات عام ١٩٠٢ وهو فى سن شهرين واستطاع آبل أن يحصل على شهادة ميلاده بطريقة ما ...

وبالنسبة لاتهامه بالجاسوسية كان من الواضح أن تجرى محاكمته عن هذا الاتهام على أساس شهادة هايهاتن وقد اعترف المقدم السابق بالمخابرات السوفيتية ان لجنة أمن الدولة (ويعنى ذلك أعمال التجسس) كانت تستخدمه ، وانه جاء أول الأمر الى الولايات المتحدة منتحلا شخصية مواطن امريكى ولو انه كان فى الواقع سوفيتى الجنسية وموظفا بالحكومة السوفيتية .

سأل الاتهام تومكنز : ماذا كانت واجباتك بالانابة للحكومة الروسية فى هذه البلاد ؟

فأجاب هايهاتن : أرسلت الى هذه البلاد لآكون مساعدا مقيما فى أعمال التجسس .

— هل تعرف اسم الضابط المقيم ؟

— اعرفه باسمه المستعار « مارك » .

— هل تراه هنا فى قاعة المحكمة ؟

فأجاب الشاهد وهو يشير فى اتجاه السجين : نعم ، انه يجلس عند طرف المنضدة .

— هل تعلم ما مهنته ؟

— قال لى انه مصور وان له استديو فى مكان ما .

— هل كنت تعرف انه موظف بالحكومة الروسية ؟

- نعم لقد استخدمته لجنة أمن الدولة .
- هل يحمل أية رتبة ؟
- كان يحمل رتبة عقيد .
- متى قابلت « مارك » لأول مرة ؟
- قابلته عام ١٩٥٤ .
- وهل رأيته بعد ذلك ؟
- نعم ، وكنت أقابله فى أغلب الاحوال مرة أو مرتين أسبوعيا .
- ومضى الشاهد يقول ردا على أسئلة الاتهام انه كان يحصل على مرتب قدره أربعمائة دولار شهريا ومائة دولار مصاريف انتقال وان ٥٠٠٠ دولار وضعت تحت تصرفه للسحب منها « لأعمال التغطية » وبالإضافة الى ذلك كانت مبالغ أخرى تدفع بالنقد الروسى لأسرته المقيمة فى الاتحاد السوفيتى .
- فهمت من شهادتك ان التعليمات التى صدرت لك كانت تقضى بالحصول على معلومات سرية .. فهل هذا صحيح ؟
- نعم . انه كذلك ..
- فقال المدعى العام : ما افهمه من لفظ « معلومات سرية » انك تعنى المعلومات الخاصة بالطاقة الذرية أو الدفاع .. فهل هذا صحيح ؟
- فأجاب هايهاتن : نعم . هذا صحيح .
- وأثناء الاستجواب ، هاجم الدفاع عن آبل نزاهة الشاهد ولكنه حرص على تجنب سؤال هايهاتن حول علاقته بموكله ، وحاول ان يثبت ان هايهاتن كان متزوجا من امرأتين وانه يعذب النساء ويضربهن ويدمن الخمر ، ولكن المحامى دونوفان لم يستطع المضى فى هذا الاتجاه شوطا بعيدا وان ارغم الشاهد على الاعتراف بأنه كانت له زوجة فعلا عندما تزوج عام ١٩٥١ وكان اسم زوجته مسز حنا ماكى وان له ابنا يقيم فى روسيا . وأضاف هايهاتن ان مسز ماكى لحقت به فى امريكا ووصفها بأنها « زوجتى طبقا للطقوس الكنسية » منذ عام ١٩٥٣ ، وانهما استأجرا منزلا فى نيو آرك بنيو جرسى « لأجراء اعمال الغرض منها تغطية اعمال التجسس » . ولكنه انكر الاتهامات الأخرى بكل قوة ، الا انه يبدو انه تشاجر مع زوجته ولهذا كانت تفشأ بينهما مواقف عنيفة .

– هل تذكر المخبز المجاور للمنزل ؟ •

– نعم أذكره •

– هل صحيح انك دخلت هذا المخبز مع زوجتك في أحد الايام •
واشتريت رغيفا من الخبز ، ثم ألقيته على الارض وطلبت من المرأة ان
تلتقطه ؟ •

– لا أستطيع ان اذكر ذلك •

وكان شاهد الاتهام الثاني الهام الجاويش روى رودس الذي كان
يعمل سابقا في السفارة الامريكية بموسكو والذي حاول هائمان بدون.
جدوى ان يعرف عنوان منزله في كلورادو طبقا لتعليمات آبل ...
وسرد هذا الشاهد ردا على سؤال مساعد النائب العام توكنز قصة تنكره
لبلاده المشينة ، فقال انه أوفد الى موسكو في شهر مايو ١٩٥١ برتبة
باشجاويش في سلاح الاشارة الامريكي حيث عمل كبيرا للميكانيكيين في
السفارة الامريكية •

وبدأ تدهور رودس ذات يوم في نهاية عام ١٩٥١ عندما تلقى نبأ
هاما من الوطن •

سأله مساعد النائب العام : أخبرنا ماذا حدث في ذلك اليوم بايجاز
• • متى تلقيت النبأ ؟ •

فأجاب رودس : قبل عيد الميلاد مباشرة • واني لأذكر انني عملت
بالجراج في صباح ذلك اليوم ثم ذهبت الى السفارة لتناول طعام الغداء
وعند وصولي الى السفارة أبلغتني وزارة الخارجية أن وزارة الخارجية
السوفييتية وافقت على منح زوجتي تصريح دخول وانها ستلحق بي بعد
قليل • •

– وماذا فعلت بعد أن تناولت طعام الغداء ؟

– حسنا • تناولت بعض كئوس من الخمر أثناء الغداء • • •
وتوقف الشاهد عن متابعة الحديث ، وبدأ عليه امارات الخجل •
ثم أردف :

– هل هذا هو ما تريد مني الافضاء به ؟

– حسنا • • ماذا حدث ؟

فأردف رودس : أثناء الغداء ذهبت الى « مارنيز » وهناك احتسيت.

كئوسا قليلة بل عدة كئوس قبل أن أعود أدراجي الى الجراج . وعندما عدت اليه كان هناك رجلان روسيان ميكانيكيان يعملان معي في الجراج، وأذكر انني قررت انه يجب أن يتناولوا الشراب معي ، وهكذا تتابعتم الكئوس طوال فترة بعد الظهر .

ومضى رودس يقول : وفي الساعة الثالثة والنصف أو الرابعة فيما أظن ، جاءت صديقة أصغر الميكانيكيين الى الجراج وكانت قد استعارت سيارته في ذلك اليوم لتأخذ صديقها معها . وكانت قد بقيت كمية من الفودكا التي كنا نشربها بعد ظهر ذلك اليوم فقلت للميكانيكي « لماذا لا تحضر صديقتك لتتناول كأسا من الشراب ؟ » . وعندما جاءت كانت معها فتاة أخرى لم يسبق لي أن رأيتها .

وهكذا تناولنا عدة كئوس أخرى مما بقي لدينسا من الفودكا . ولست أذكر من الذي اقترح أن نتناول طعام العشاء معا في تلك الليلة، والأرجح انني كنت صاحب الاقتراح ولكني لا أذكر على كل حال كيف بدأت المغامرة ، ولكننا غادرنا الجراج في سيارته مع الفتاتين ، وأذكر اننا قمنا بجولة الى .. أظن أنها كانت شقيقته ، ولكني لم أدخلها ولا أعلم ماذا كان بداخل هذا المبنى .

وعلى كل حال لقد غاب الرجل ربع ساعة أو عشرين دقيقة حيث اغتسل واستبدل ثيابه ثم عاد الى السيارة ، ومضى أربعتنا الى أحد فنادق موسكو حيث استمر الحفل طول الليل . أذكر انني رقصت وشربت وطعمت مع هؤلاء الاشخاص ، ولكني لا أذكر كيف غادرت الفندق بأية طريقة أو بأي شكل ، فقد فقدت الوعي فاضطروا الى حملي .

وكان الشيء التالي الذي استطاع الجاويش تذكره هو مشهد تدهوره .

قال : أذكر انني استيقظت في صباح اليوم التالي فألفيتني مع الفتاة في الفراش في غرفة حسببتها غرفتها ..

أما المرحلة التالية من القصة المشينة فحدثت بعد حوالي ستة أسابيع .. اتصلت الفتاة تليفونيا بالجراج وتحدثت الى الجاويش واتفقت معه على اللقاء في المدينة . وبعد اللقاء تحدثت اليه رجلان روسيان وطلبا المجيء معهما ، فذهبوا الى غرفة الفتاة التي انصرفت من فورها ، وفي الثو أخذ الرجلان الروسيان يتحدثان الى الجاويش أما الفتاة فانه لم يرها ثانية .

وبعد ذلك قابل الرجلين ثانية ، كما قابل خمسة آخرين كان اثنان منهم يرتدون ثياب الجيش الروسى - وبلغت مرات اللقاء خمس عشرة مرة .

- هل قدمت لهم أية معلومات أثناء هذه المقابلات ؟

- نعم يا سيدى .

- وهل حصلت على نقود من هؤلاء الاشخاص ؟

- نعم يا سيدى .

- كم بلغ مجموع هذه النقود أثناء الفترة التى قضيتها فى موسكو؟

- مبلغ يتراوح بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ دولار .

- وهل كانت المعلومات التى قدمتها لهم صادقة أم كاذبة .

- بعضها صادق والبعض الآخر مختلق .

وقال الجاويش رودس ردا على أسئلة المدعى تومكنز انه قدم للروس ترجمة كاملة لحياته وحياة أسرته فضلا على جميع تفاصيل عادات وحياة جميع موظفى السفارة العسكريين والتابعين لوزارة الخارجية . وقد قيل له فيما بعد كيف يستطيع الاتصال بالسفارة السوفيتية فى واشنطن عند عودته الى الولايات المتحدة ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وأكد ذلك عندما استجوب .

وبدأ الدفاع استجوابه بأن طلب الى موكله الوقوف ، فوقف

السجين .

- أخبرنى أيها الجاويش رودس . هل رأيت هذا الرجل من قبل؟

- كلا يا سيدى

- هل ترى فيه أى شخص سبقت لك رؤيته أو معرفته تحت أى

اسم ؟

- كلا يا سيدى

- هل اتصل بك أى ممثل للاتحاد السوفيتى شخصيا فى الولايات

المتحدة ؟

- كلا يا سيدى . . لست أذكر شيئاً من ذلك
- هل تلقيت مثل هذه الأنباء من أى شخص روسى أثناء وجودك فى الولايات المتحدة ؟
- كلا يا سيدى
- لو ان الجاويش التعس كان يظن ان الدفاع سيتهاون معه ، فقد أخذ على حين غرة حينما انتقل محامى المتهم بغتة الى الحديث عن نشاطه فى موسكو بلهجة تشف عن الغضب الجائح .
- أليس صحيحا انك كنت تفرط فى الشراب يوميا طوال الشهرين الأخيرين من اقامتك فى موسكو ؟
- أعتقد أن هذا صحيح يا سيدى
- هل سبق لك أن سمعت عن رجل اسمه بندقى ارنولد ؟
- نعم يا سيدى
- ما رأيك فيه كشخصية فى التاريخ الأمريكى ؟
- ليس ممتازا
- فقال الدفاع باصرار : سألتك عن رأيك فيه ؟
- فقال الجاويش : لقد أجبت على ذلك . قلت انه ليس رجلا ممتازا
- لماذا ؟
- اننى
- أليس سبب ذلك انه خان بلاده ؟
- أظن ذلك
- هل تعرف من تاريخه ما يكفى لان تعلم أن بندقى ارنولد لم يفعل ذلك من أجل المال ؟
- أعرف ذلك
- فقال الدفاع عن المتهم موجهها حديثه الى الرجل التعس الواقف موقف الشاهد بلهجة طافحة بالغضب الشديد :

- أيها الجاويش .. لعل بندقك ارنولد كان أكبر خائن في التاريخ
الامريكي ولكنه كان كذلك حتى اليوم فقط .

وهنا تدخل القاضي قائلا : هل هذا سؤال ؟

فقال المحامي دونوفان : سيدي .. انها حقيقة تقرر

- ٣ -

ولو أن آبل قال انه مذنب في ادعاء التجسس ، الا أنه رفض أن
يقف في موقف الشهود ويدلي بشهادته لمصلحته الخاصة ، ومن ثم لم
يكن في استطاعته الدفاع عن استجوابه ولذلك فانه لم يعترف بأنه
جاسوس للمخابرات السوفيتية . الا أن الادلة ضده كانت قوية ولذلك
حكم بادانته .

وبعد ثلاثة أسابيع ، وفي يوم ١٦ من نوفمبر ١٩٥٧ حكم عليه
القاضي بايرز بالسجن ثلاثين عاما وغرامة ٣٠٠٠ دولار وعرض الحكم
على محكمة استئناف الولايات المتحدة يوم ١٧ من يوليو ١٩٥٨ فأقرته ،
وعلى أثر ذلك قدم آبل التماسا الى المحكمة العليا التي وافقت على إعادة
النظر في الاتهام ولكنها قصرت الالتماس على موضوعين دسـتوريين.
يتصلان بالوسيلة التي يستخدمها رجال الاتحاد في الحصول على الأدلة
من استوديو آبل وغرفته في الفندق ، وما قاله الدفاع من أن القبض على
آبل كان غير قانوني لان رجال الشرطة لم يحصلوا على ترخيص بذلك
من المحكمة بتفتيش المكانين ومصادرة محتوياتهما ، فضلا على احتجازهم
بلا مبرر لمدة أربعة أسابيع قبل تقديمه للمحاكمة ، تعرض أثناءها لضغط
عنيف لارغامه على الكلام والاعتراف . وأخيرا رفضت المحكمة العليا
الالتماس يوم ٢٨ من مارس ١٩٦٠ وأيدت حكم المحكمة الأدنى بأغلبية
تأهية ، خمسة أصوات ضد أربعة .

وأيدت المحكمة الامريكية العليا تنفيذ الحكم على آبل على أساس
انه أجنبي قبضت عليه سلطات الهجرة والجنسية توطئة لاتخاذ إجراءات
ترحيله . واجراءات الإبعاد في الولايات المتحدة لا تخضع للضمانات
الدستورية المتعلقة بمحاكمة المجرمين العاديين . وقالت أغلبية أعضاء
المحكمة : انه لما كان آبل عرضة للإبعاد كأجنبي دخل البلاد بطريقة غير
مشروعة ، فان مجرد انتهاز رجال المباحث الجنائية للفرصة وحصولهم

على أدلة بدون أمر من المحكمة واستجوابه لفترة طويلة قبل تقديمه للمحاكمة لا يصلح أساسا لنفى ادانته ، كما كان يحدث لو أنه تعرض للاعتقال الإداري الصحيح .

ومع هذا فقد تبين ان المصور صاحب استوديو بروكلين أهم جاسوس سوفيتي قبض عليه في الولايات المتحدة ، ومن المحتمل أن شبكة الجاسوسية التي كان يديرها كانت أخطر شبكة عملت في تلك البلاد .

وطبقا للعرف السائد لزم أستاذ الجاسوسية الصمت . والى عهد قريب لم تبد الحكومة السوفييتية أية إشارة تدل على علمها بوجود المقدم رودلف ايغانوفتش آبل . وعندما سأل مندوبو الصحف الامريكية وزير الخارجية السوفييتية أندريه جروميكو ، أثناء قضية الطائرة ي - ٢ التي حدثت بعد ذلك بسنوات عما اذا كان غير صحيح أن الجواسيس السوفييت يعملون في مختلف الدول ، أجاب جروميكو قائلا « ان حكومتى لا تتورط في هذا النشاط » .

وفي يوم ١٠ من فبراير ١٩٦٢ استرد الروس أستاذ جاسوسيتهم مبادلة مع قائد الطائرة ي - ٢ جاري باورز الذي كان نزيل السجن السوفييتية بعد أن اتهمته محكمة موسكو العسكرية بالتجسس في أغسطس ١٩٦٠ . وقد تم حفل التبادل الرسمي بعد الفجر بقليل فوق قنطرة جلينبك التي تعتبر الحد الفاصل بين ألمانيا الشرقية وبرلين الغربية . وكان محامى آبل الامريكي جيمس دونوفان هو الذى تولى مفاوضات هذه العملية بعد أن كتبت اليه زوجة آبل من ألمانيا الشرقية تطلب اليه الاضطلاع بهذه العملية . وأرسلت رسالتها الى السلطات بواشنطن التي اقتصت من فورها بأن هذه الرسالة كتبت بايعاز من الحكومة السوفييتية . وأخيرا ، وبعد مراسلات مطولة بين دونوفان ووزارة العدل وبين عدد كبير من الموظفين في واشنطن أوفد المحامى الى برلين الشرقية لابلاغ السلطات الروسية هناك عن طريق الالمان أن حكم آبل « لا يمكن تخفيفه في الظروف الصحية » .

وفي رأى موظف امريكي واحد على الأقل - هو مساعد النائب العام تومكنز الذى تولى الاتهام ضد آبل - انه ليس هناك أدنى شك في الجانب الذى أفاد من هذا الاتفاق . . . فقد قال تومكنز أن باورز كان مجرد « طيار » أما آبل فكان « رجلا محترفا وعبقريا في حقل المخابرات »

الفصل السادس

محاكمة فرانسيس جارى باورز قائد الطائرة ي - ٢ فى موسكو

- ١ -

فى يوم ٥ من مايو ١٩٦٠ ألقى نكيتا خروشوف ، سكرتير الحزب الشيوعى بالاتحاد السوفيتى ورئيس وزراء اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، خطابا مطولا فى الكرملين ، أمام المجلس السوفيتى الاعلى ، وفى نهاية هذا الخطاب أعلن أن طائرة أمريكية كانت تحلق فوق الأراضى السوفيتية أسقطت يوم أول مايو ٠٠٠ وقرر أنه سيعرض الامر على مجلس الامن بالامم المتحدة « لوضع حد للاعمال العدوانية التى ترتكبها الولايات المتحدة » . وراح يهاجم هجوما مستفيضا هذا النوع من الطيران ، وقال « ان الأمريكين اختاروا اليوم الذى يعتبر عند شعبنا وعند الجماهير العاملة فى جميع أنحاء العالم أهم عطلة ، عيد أول مايو ، اليوم الدولى لأخوة الطبقة العاملة وتضامنها » . ولكنه لم يقدم تفاصيل أخرى عن رحلة الطيران ولم يذكر شيئا عن مصير قائد الطائرة .

وفى اليوم نفسه ، أبلغ متحدث بلسان وزارة الداخلية فى واشنطنون الصحافة العالمية - وهو يشير الى تصريح خروشوف - أن الوزارة علمت من ادارة أبحاث الجو والفضاء القومية أن طائرة غير مسلحة من طراز « ي - ٢ » تجرى أبحاثا عن جو الفضاء من قاعدة « أطنه » بتركيا ويقودها طيار مدنى فقدت منذ يوم أول مايو . وقال المتحدث « انه من الجائز جدا أن يكون خلل قد حدث بجهاز الاكسجين فأدى الى جهل الطيار بمكان وجوده ، وبذلك استمرت الطائرة فى انطلاقها الاوتوماتيكى لمسافة كبيرة واخترقت المجال الجوى السوفيتى مصادفة » . وأضاف المتحدث باسم الوزارة الأمريكية أن السلطات الأمريكية ستبحث الموضوع مع الحكومة السوفيتية « مع الاهتمام التام بمصير الطيار » .

وفى الوقت ذاته أصدرت إدارة أبحاث الجو والفضاء القومية تصريحاً قالت فيه - بعد الإشارة الى المصاعب التى واجهها الطيار بسبب الخلل الذى طرأ على جهاز الاكسجين فى منطقة بحيرة قان - ان هذه الرحلة جزء من برنامج هذه الادارة للابحاث فى طبقات الجو العليا ، وأن مهمة الطيار لم تكن لتأخذه فيما وراء الاراضى التركية .. وطبقاً لهذا التصريح فان « آلات » الطائرة صممت للحصول « على معلومات أدق » عن حالة الطقس واتجاهات الرياح فى طبقات الجو العليا .. وفى اليوم التالى عادت الوزارة الامريكية تنكر أن طائرة أمريكية تعمدت الاعتداء على المجال الجوى السوفييتى ، وقالت : انه من « المفزع » الادعاء بأن الولايات المتحدة كانت تحاول خداع العالم حول الغرض الحقيقى من الرحلة .

وفى يوم ٧ مايو تحدث خروشوف ثانية الى مجلس السوفييت الاعلى فقال :

- أيها الرفاق ، يجب أن أطلعكم على سر . حينما قدمت لكم تقريرى تعمدت ألا أقول أن الطيار على قيد الحياة وبخير ، وأنا حصلنا على أجزاء من الطائرة . ولقد فعلنا هذا عمداً ، لأننا لو ذكرنا القصة كاملة لفكر الامريكيون فى رواية أخرى .

ومضى الزعيم السوفييتى يقول : ان الطيار الذى قبض عليه اسمه « فرانسيس ج . باورز » وهو ضابط برتبة ملازم أول فى سلاح الطيران الامريكى وقد خدم بهذا السلاح حتى سنة ١٩٥٦ ثم انضم الى المخابرات السرية الرئيسية وأنه يحصل على ٢٥٠٠ دولار مقابل عمله فى التجسس . فى حين كان يحصل على مرتب شهرى قدره ٧٠٠ دولار كضابط فى سلاح الطيران الامريكى . وأضاف خروشوف ، بلهجة ساخرة طرب لها سامعوه : « تلك هى الطريقة التى يشتري بها رأس المال الحياة والناس .. ثم قال أن الطيار لم يصب بأى دوار ، كما أن جهاز الاكسجين الموجود بالطائرة لم يصب بأقل خلل . وأضاف « لقد اتبع طريقاً مرسوماً ونفذ بعناية الاوامر التى أصدرها له رؤساؤه ، وأدار آلاته فوق أهداف محددة ليجمع معلومات تجسس عن الاهداف العسكرية والصناعية السوفييتية » واستمر فى طيرانه حتى لحظة العقاب حينما انتهت مهمة القرصنة التى كان يقوم بها فى قلب البلاد .

وكانت الطائرة التى وصفها خروشوف بأنها « طائرة لوكهيد ي-٢ » للطيران العالى بالسرعة المنخفضة « قد أسقطت بضاروخ سوفييتى فوق سفرو لوفسك وهى تطير على ارتفاع ٦٨٠٠٠ قدم ، ولم يصب الطيار بسوء .

وقال خروشوف لمستمعيه انهم لم يحصلوا على معدات الطائرة فحسب ، وانما حصلوا أيضا على صور فوتوغرافية التقطت لمناطق عديدة من الاتحاد السوفييتى . وأضاف ، وهو يحمل عدة صور : « هاكم عددا منها فهذه صورة أحد المطارات . أن الخطين اللذين لونهما أبيض هما صفوف من الطائرات السوفييتية المقاتلة . وهاكم صورة لمطار آخر ظهرت فيها الطائرات أيضا لقد حمضنا جميع هذه الافلام بأنفسنا » . . .

وتوقف قليلا ، ريشما يعطى الصور لرئيس الجلسة ، ثم أردف : « ان آلة التصوير ليست رديئة ، والصور واضحة جدا ، ولكنى أرى لزاما على أن أقول أن صورنا أحسن ، ومن ثم فالواقع أنهم لم يكسبوا كثيرا ،

وقال خروشوف ان الطيار قال ، حين استجوابه ، أن الرحلة المشنومة ، التى قام بها يوم عيد أول مايو ، لم تبدأ من مطار تركى ، ولكنها بدأت من « بشاور » بالباكستان ، وأن التعليمات التى تلقاها كانت تقضى بالطيران فوق نقط محددة فى الاتحاد السوفييتى ، من بينها بحر ارال ، وسفرولوفسك ، واركانجلسك ، ومرمانسك ، وأن عليه أن يتم مهمته بالهبوط فى بودو ، بالنرويج وقيل أن الطيار ذكر حين استجوابه ما يلى : « فى أثناء طيرانى فوق الاراضى السوفييتية كان على أن أدير وأوقف الاجهزة فوق نقط معينة حددت على الخريطة ، وأعتقد أن الغاية من رحلتى فوق الاراضى السوفييتية كانت جمع معلومات عن الصواريخ السوفييتية الموجهة ومحطات الرادار ، ولتأييد القول بأن الطائرة كانت تقوم برحلة للتجسس قال الزعيم السوفيتى أنه عثر بالطائرة على جهاز لتسجيل الاشارات التى يرسلها عدد من محطات الرادار السوفييتية الى الارض ، وأضاف خروشوف قائلا : ان الطيار اعترف بأن وحدته تعرف بـ « ١٠ - ١٠ » ، وأنها وضعت تحت اشراف ادارة أبحاث الجو والفضاء القومية « للتعمية » ، والواقع أن مهمة هذه الوحدة هى الاستكشاف العسكرى من طبقات الجو العليا .

واستطرد رئيس الوزراء السوفيتى ، فقدم لمستمعيه عرضا ضاحكا للمعدات التى وجدت مع الطيار الأسير . وكان من بينها أبرة سامة « وخزة واحدة منها يعقبها الموت مباشرة » . وقال رئيس الوزراء السوفييتى ان الاوامر التى لدى الطيار كانت تقضى بأنه لايجوز بأى حال من الاحوال أن تقبض السلطات السوفييتية عليه حيا . وصاح خروشوف وهو يعرض صورة الابرة : « اليكم الأداة . انها آخر انجاز فى الفن الأمريكى لقتل الشعب الأمريكى » ، وهناك بعد ذلك المسدس الصامت الذى أعطى له ليستخدمه فى حالات الطوارئ ولكن ليس « لأخذ نماذج

من الهواء « وانما « للقتل » فاذا كان الغرض من المسدس هو حماية الطيار من الحيوانات الضارية فى حالات الهبوط الاضطرابى ، كما ادعى الطيار ، فلماذا يكون صامتا ! » ان هذا يدل أيضا على نوع المهمة العلمية التى أوفد الطيار فيها .

وقد وجدت مع الطيار أيضا كمية كبيرة من النقد السوفييتى ، بالإضافة الى كمية من الفرنكات الفرنسية الذهبية ، وماركات ألمانيا الغربية ، والليرات الإيطالية ، وغيرها من النقود . وقال خروشوف « قيل لنا أنه أرسل لاستكشاف الجو ، ومع ذلك فقد أعطوه ٧٥٠٠ روبل سوفييتى . والسؤال هو : متى وأين ولأى غرض يستطيع استخدام النقود ؟ . من المحقق أنه لم يقم بالرحلة ليستبدل بالروبلات القديمة روبلات أخرى جديدة » . وكان من الطبيعى أن يحدث هذا التلميح ، عما تم من إعادة تقدير الروبل داخل الاتحاد السوفييتى ، أثرا حميدا بين المستمعين فى الكرملين .

وأردف خروشوف : وبالإضافة الى ساعته ، أعطى ساعتين ذهبيتين . وسبعة خواتم نسائية ذهبية ، فكيف كان الطيار سيستخدم هذه الأشياء فى طبقات الجو العليا ؟ لعله كان عليه أن يطير إلى طبقات أكثر علوا ليصل الى (مارس) حيث يقوم بمغازلة نسائه ؟ وهكذا ترون كيف يزود الطيارون الأمريكيون بما يلزمهم للحصول على نماذج من هواء طبقات الجو العليا ..

وهنا انفجر أعضاء مجلس السوفييت الاعلى ضاحكين ، ولكن زعيمهم ما لبث أن أتى بحركة مفاجئة جعلتهم يدركون ما فى الموقف من حقائق قاسية .

وقال خروشوف : « ليست هناك أية أقوال وهمية يمكن أن تنقذ سمعة الأشخاص المسئولين عن هذا العمل الغادر . لقد ضبطوا متلبسين وافتضح أمرهم ، كمنظمة لغزو الفضاء الجوى السوفييتى غداة عقد مؤتمر القمة فى باريس ، وقبل زيارة الرئيس الأمريكى أيزنهاور للاتحاد السوفييتى بفترة قصيرة .. وفى رأى أن تلك طريقة سيئة للاستعداد لاجراء مشاورات جدية حول تخفيف حدة التوتر الدولى » وأضاف الزعيم السوفييتى أنه يجب عليهم التفكير فى تقديم الطيار للمحاكمة « حتى يرى الرأى العام كيف تحاول الولايات المتحدة استفزاز الاتحاد السوفييتى » .

أثارت هذه التصريحات رد فعل قويا فى واشنطنجتون ، حيث أتاح اختلاف الزمن بين العاصمتين بست ساعات الفرصة للوزارة الأمريكية

لتصدر ردا ، كما حدث من قبل فى اليوم نفسه . فأعلنت الوزارة من غير
مواربة أنه « وان كان قد ثبت من التحقيق الذى أمر الرئيس بإجرائه ،
أن السلطات فى واشنطنجتون لم تصرح بإجراء رحلات كالتى وصفها
المستر خروشوف ، الا أنه يبدو أن طائرة مدنية غير مسلحة من طراز
« ي - ٢ » حاولت الحصول على المعلومات الموجودة وراء الستار
الحديدى ، ولذلك يحتمل أنها طارت فوق الاراضى السوفيتية » .
وأضاف هذا التصريح : أن من بين الأشياء التى تخلق التوتر فى عالم
اليوم من وقوع هجوم مباغت بأسلحة الدمار الشامل ، وبالنسبة لخطر
وقوع هجوم مفاجئ قامت طائرات من طراز الطائرة المدنية غير المسلحة
« ي - ٢ » برحلات على طول حدود العالم الحر فى خلال السنوات الأربع
الماضية .

ان من الصعب أن نتصور أن هناك عملا دبلوماسيا أكثر اذلالا
وتهورا من ذلك ، ومن وجهة النظر الأمريكية لم يطرا أى تحسين على
الموقف نتيجة للتصريح الذى أفضى به الوزير « كريستيان هيرتر » بعد
ذلك بيومين بغية « تكملة التصريح السابق وإيضاحه » . فقد بدأ المستر
« هيرتر » تصريحه بالإشارة الى « شبكات الجاسوسية الواسعة » التى
يكمل الزعماء السوفيت بها « تقديرهم الكامل لمجتمعات العالم الحر
المفتوحة » فى حين أنهم يحتفظون بمجتمعهم « مغلقا بإحكام وخاضعا
للسيطرة الصارمة » مع استنباط أسلحة حديثة تحمل رؤسا حربية
فتاكة ، كما أن احتمال وقوع هجوم مفاجئ وعدوان يشكل خطرا
مستمرا . ولقد زاد هذا الخطر بما يلجأ اليه الزعماء السوفييت من تهديد
بالدمار الشامل .

واستطرد المستر هيرتر : وأقولها بصراحة انه من غير المعقول أن
تتاح للنظام السياسى السوفيتى الفرصة لوضع ترتيبات سرية لمواجهة
العالم الحر بأحد أمرين ، اما الاستسلام المهين واما الدمار الذرى ،
ومن ثم فإن الحكومة الأمريكية تقصر فى مسئوليتها ، ليس فقط حيال
الشعب الأمريكى ولكن أيضا نحو الشعوب الحرة فى كل مكان ، اذا
لم تتخذ الاجراءات اللازمة للاقلال من ، خطر الهجوم المفاجئ والتغلب
عليه . والواقع أن الولايات المتحدة لم ولن تتخلى عن هذه المسئولية .

وأضاف المستر هيرتر أنه منذ بدأت هذه المظاهرة ، أصدر الرئيس
ايزنهاور توجيهات لجمع المعلومات (بكل وسيلة ممكنة) عن الهجوم
المفاجئ وتمكينهم من وضع ترتيبات محددة للدفاع . « وبموجب هذه

التوجيهات وضعت برامج اشتملت على قيام الطائرات المدنية غير المسلحة
برقابة جوية شديدة » .

وأيد الرئيس أيزنهاور ما صرح به وزيره في مؤتمر صحفي عقد
يوم ١١ مايو ، وكرر القول بأن جمع المعلومات (وهو ضرورة حيوية
بغضضة) كان احتياطا ضد الهجوم المفاجيء الشامل ، وأوضح أن هذه
العمليات منفصلة عن الاعمال التي تقوم بها « مصالح الحكومة العادية
المنظورة » التي يتولى الاشراف عليها موظفون مسئولون في منطقة الاعمال
السرية . . وقال « ان لهذه الأعمال قواعد ووسائل اخفائها لان غايتها
التضليل والايهام » .

وفي تلك الاثناء بعثت الحكومة السوفيتية بمذكرات احتجاج
رسمية للولايات المتحدة ولتركيا والباكستان والنرويج ، لأنها سمحت
باستخدام أراضيها في هذه العمليات ، وقالت الحكومة السوفيتية : « ان
الاعمال المعادية التي قامت بها الطائرات الامريكية ، المرة بعد الاخرى ،
فوق الاتحاد السوفيتي لم تكن نتيجة عمل قواد الولايات المتحدة
العسكريين في منطقة أو أخرى ولكنها تعبير عن (سياسة مدروسة)
من جانب الولايات المتحدة » . وردت واشنطنجتون على ذلك قائلة « ان
حكومة الولايات المتحدة لا تنكر أنها اتبعت مثل هذه السياسة لأغراض
دفاعية بحتة ، ولكن ما تنفيه بقوة هو أن لهذه السياسة أية نوايا
عدوانية ، أو أن رحلة الطائرة غير المسلحة « دى - ٢ » يوم أول مايو
كانت تهدف للقضاء على الجهود المبذولة لتجاح مؤتمر رؤساء الحكومات
المقبل في باريس . .

وفي الاجتماع التمهيدى ، الذى حضره المستر خروشوف والرئيس
« ديجول » ورئيس الوزراء « ماكملان » والرئيس « أيزنهاور » ، وهو
الاجتماع الذى عقد فى باريس ، أوضح رئيس الوزراء السوفيتي أنه اذا
أعطت حكومة الولايات المتحدة تعهدا بأنها ستوقف اختراقها لحدود
الدولة السوفيتية ، وأصدرت تصريحاً تستنكر فيه « الاعمال الاستفزازية
التي ارتكبت فى الماضى » وأكدت انها ستعاقب المسئولين مباشرة عن
هذه الأعمال ، فانه - أى المستر خروشوف - مستعد للاشتراك فى المؤتمر
« وبذل كل جهد للاسهام فى نجاحه » .

ورفض الرئيس أيزنهاور الاعتذار والوعد بعدم العودة الى هذه
الاعمال ، وعلى أساس عدم قدرته على ربط خلفه فى البيت الابيض بآية
عهود ، كان أبعد ما أمكنه أن يذهب إليه هو التصريح بأن هذه الرحلات

الجوية « قد أوقفت » ولن تستأنف في أثناء الفترة الباقية من حكمه .
ولكن هذا لم يرض خروشوف ولهذا أنهى اجتماع القمة .

وعلى أثر ذلك طلبت الحكومة السوفييتية عقد جلسة غير عادية لمجلس الأمن ، للنظر في اتهام أن رحلة الطائرة « دى - ٢ » كانت « عملا عدوانيا » من جانب الولايات المتحدة . وبعد محاولات طويلة استمرت خمسة أيام ، رفض الاتهام السوفييتي بسبعة أصوات مقابل صوتين ، على أساس أن إرسال طائرة واحدة غير مسلحة للتجسس فوق الاراضى السوفييتية لا يستدعى تقديم شكوى ، طبقا لميثاق الامم المتحدة .

كان أهم ما يسعى اليه المستر خروشوف الحصول على اعتذار علني ، وهو ما كان يحتمه مركزه . ولقد حصل عليه فعلا من حكومات تركيا والباكستان والنرويج ، التي اعترفت بأن رحلات طيران الطائرات « دى - ٢ » تجرى من القواعد الامريكية الموجودة في اراضيها ، ووعدت باتخاذ الخطوات المستطاعة لمنع استخدام اراضيها في مثل هذه الاغراض . ولكن فشل المستر خروشوف في الحصول على الاعتذار من الرئيس أيزنهاور لم يمنعه من الحصول عليه . كما سنرى من قائد الطائرة « دى - ٢ » في قاعة المحكمة بموسكو .

- ٢ -

صممت الطائرة « دى - ٢ » التي وصفت رسميا بأنها « طائرة استكشاف جوى في المناطق الجوية العليا » في سنة ١٩٥٤ لتستخدمها القيادة الجوية الاستراتيجية بالولايات المتحدة . وكان مصممها « كلارنس جونسون » من اتحاد لوكهيد الجوى ، وهو مهندس جوى لامع تولى توجيه بناء الطائرات الامريكية النفثة في أثناء الحرب الاخيرة . وكانت غاية « جونسون » انتاج محرك يستطيع الوصول الى ارتفاع ٧٠.٠٠٠ قدم أو أكثر من ذلك والبقاء على هذا الارتفاع دون خوف من تمكن الطائرات « الميج » السوفييتية المقاتلة ، أو الصواريخ من اسقاط طائرات « دى - ٢ » في أثناء قيامها بأعمال الاستكشاف . وقد نجح « جونسون » في تحقيق هدفه . فقد كان طول جسم الطائرة ٥٠ قدما ، وكان جناحها كبيرين لا يقل طولهما عن ٨٠ قدما ، وكانت مصنوعة من المعادن الخفيفة . ومن بينها (تيتانيوم) ووزنها وهى فارغة خمسة أطنان فقط . وكانت تحمل نحو ١٠٠٠ « جالون » من الوقود المختبر المكرر تكريرا تاما والذي

لا يتبخر فى الارتفاعات الشاسعة ، وتستطيع أن تقطع فى الرحلة الواحدة أكثر من ٣٠٠٠ ميل ، كما تستطيع الانزلاق الى مسافات طويلة . والواقع انها كانت زحافة مزودة بمحرك نفث .

وبدأ انتاج طائرة « دى - ٢ » عام ١٩٥٥ وفى أواخر هذا العام تقريرا وضعت السلطات المختصة برنامجا لاستخدام هذه الطائرات ، وأعلن أن طائرات « دى - ٢ » ستستخدم للحصول على نماذج من الهواء من الارتفاعات العالية للبت فى موضوع الاشعاع الذرى ، واجراء أبحاث جوية . وكانت هذه القصة للتعمية ، وفى أوائل عام ١٩٥٦ شكل سلاح الطيران الأمريكى أول وحدة من طائرات « دى - ٢ » وكانت هذه الوحدة تعمل فى منطقة محظورة فى « نيفادا » .

وكان لا بد من عدم استخدام الطيارين العسكريين حين الطيران فوق أراضى العدو مرتقب للقيام برحلات استكشاف فى وقت السلام ، ولذلك أعلنت اللجنة الاستشارية القومية انها ستستخدم طيارين مدنيين معينين يعقود مبرمة مع مؤسسة « لوكهيد » التى قررت تنفيذ « برنامج لاستكشاف طبقات الجو العليا بطائرات « دى - ٢ » استعارتها من سلاح الطيران ، وكان هؤلاء الطيارون من المتطوعين الذين يتصفون بالمعرفة والمهارة فى قيادة الطائرات النفاثة .

وكان من بين الطيارين الذى وقع عليهم الاختيار حين بدء تنفيذ البرنامج شاب فى السابعة والعشرين من عمره اسمه « فرانسيس جارى باورز » وكانت أسرته من ولاية كنتوكى الجنوبية وكان أبوه عاملا فى منجم للفحم أصيب فى حادث فاضطر للعمل اسكافيا (جزمجيا) ، واعتادت أمه مساعدة أبيه فى الحانوت ، وكانت تشتغل (غسالة) أيضا ليمكن تهيئة العيش المتواضع للأسرة . وكان جارى الابن الوحيد فى الأسرة ، ولكن كانت له خمس أخوات تزوجن جميعا أشخاصا ينتمون لطبقة البروليتاريا ، اذ كان أحدهم صحفيا ، والثانى ساعى بريد ، والثالث كهربائيا ، والرابع اسكافيا كان يتولى أيضا قيادة سيارة نقل تلاميذ المدرسة المحلية . وكان والده « جارى » يرغبان فى أن يصبح ابنهما طبيبا ، ولكن ارتفاع نفقات تعليم الطب وطول فترة التعليم عاقا جارى عن ذلك . وحينما غادر كلية ميليجان بالقرب من مدينة جونسون كان فى السن التى تقرب من سن الاستدعاء للخدمة العسكرية ، وقد قال فى ذلك ان من الصعب الحصول على عمل فى هذه السن ، ولذلك قرر الانتظار ريثما يستدعى ويلتحق بسلاح الطيران وأضاف جارى قائلا انه فعل ذلك لان الطيران كان يستأثر باهتمامه دائما .

وحيثما انتهت فترة خدمته العسكرية ، كان يرجو أن يوفق في الحصول على وظيفة طيار تجارى ، الا أنه كان قد جاوز سن الصلاحية لهذا العمل ولذلك سره الحصول على وظيفة طيران فى ادارة الابحاث الجوية بأجر يزيد كثيرا على الاجر الذى كان سيتمنحه فى وظيفة طيار تجارى .

وجاز « باورز » الاختبار البدنى ، وأعطى ثوب طيران خاصا للطيران على ارتفاع شاهق ، وتم اختبار هذا الثوب عليه فى غرفة يماثل جوها جو طبقة عليا ، وقيل له بعدئذ : ان مرتبه سيدون ٢٥٠٠ دولار فى الشهر ، سيحجز منه ألف دولار ، كل شهر ، الى أن ينهى عقده بنجاح ، وقيل له أيضا انه سيغيب عن الوطن نحو ثمانية عشر شهرا ، وان واجباته الاساسية هي « الطيران على طول الحدود السوفيتية وجمع أية معلومات رادار أو لاسلكية » وانه من « الجائز أن تكون هناك واجبات أخرى »

وفى أواخر شهر مايو ١٩٥٦ وقع « باورز » عقده مع ادارة الابحاث الجوية ، وكان اتفاقية خدمة نص فيها على تعرضه لأقصى العقوبات اذا أفضى - بلا ترخيص - بأية معلومات عن عمله الجديد . وكانت العقوبات غرامه ١٠٠٠٠ دولار أو السجن عشر سنوات أو الاثنتين معا . وبعد فترة من التدريب تحت اسم مستعار (قيل لنا انه فى حالة وقوع حادث ، فلا يجوز بأية حال من الاحوال لأى أشخاص ليسوا أعضاء فى الوحدة أن يربطوا بين الحادث وبين اسم باورز) ، قيل لبورز انه ألحق بوحدة خاصة اسمها (فصيلة ١٠ - ١٠) وان مكان عمله سيكون فى قاعدة « انكرلك » الجوية بالقرب من « أطنه » بتركييا ، ولم يسمح له باصطحاب زوجته معه ، لعدم وجود مساكن للمتزوجين فى القاعدة .

كانا « جارى وبربارا باورز » قد تقابلا وتزوجا فى العام السابق ، وكانت « بربارا » حينذاك فى أوائل العقد الثالث من عمرها ، وتعمل موظفة فى البحرية الامريكية بمرتب اسبوعى قدره ٥٥ دولارا ، بالبانيه بجورجيا ، فى حين كان زوجها ضابطا بسلاح الطيران برتبة ملازم بمطار « تيرنر » القريب . وكان من الطبيعى أن تشعر « بربارا » بخيبة الامل لانها لن تستطيع مرافقة زوجها الى الخارج ، ولذلك قررت أن تتبعه من بعيد . وكان أقرب مكان استطاعت الوصول اليه هو اليسونان ، حيث استطاعت الحصول على وظيفة سكرتيرة بسلاح الطيران واعتاد « جارى » أن يطير من « أطنه » لمقابلتها مرة أو مرتين كل شهر ، وأخيرا استطاعت شركة « لوكهيد » أن تدبر لها الانتقال الى « أطنه » وقد عاش الزوجان فى منزل

بالمدينة أول الامر ، ولكن فصيلة (١٠ - ١٠) نظمت فيما بعد على شكل مقطورات فى القاعدة وفيما بعد قالت بربارا « كان من حسن حظنا أن نستطعنا الحصول على المقطورة الاخيرة وكانت تشرف على منظر جبلى رائع».

وبالنسبة « لبربارا باورز » فان زوجها وغيره من رجال الفصيلة كانوا يقودون طائرات تدريب نفائة للخدمة والنقل فى ألمانيا . « انهم لم يتكلموا كثيرا عما كان الرجال يفعلونه - فقد كان هناك سبعة طيارين مثل « باورز » فى انركرك - ولكنى كنت أشعر دائما بأن مايفعله خطر».

صحيح أن طائرات التدريب وطائرات « دى - ٢ » كانت تنقل من مكان لآخر بمعرفة طيارين تابعين لفصيلة « ١٠ - ١٠ » ، وقد اعترف باورز بأنه نقل طائرات من « اطنه » الى أماكن مثل بودو ، وبشاور ، وويستبادن ، ولكنه قاد أيضا طائرات « دى - ٢ » فى رحلات على طول حدود ايران ، وأفغانستان ، والاتحاد السوفييتى ، ولقد قال لمستجوبيه فى موسكو : « فى عام ١٩٥٦ كنا أكثر اهتماما بمنطقة البحر الاسود . وفيما بعد ، تركز الاهتمام فى الشرق . وقد قيل لى حين قيامى بأحدى الرحلات اننى قد أشاهد اطلاق صاروخ ، وأعتقد انهم كانوا مهتمين باطلاق الصواريخ » .

ولقد قال أحد الخبراء السوفييت ، الذين استدعاهم الاتهام ان طائرة « دى - ٢ » مزودة بآلة تصوير ذات زاوية منفرجة خاصة تلتقط الصور من سبع فتحات ، ولها بعد بؤرى طويل وعدسات دوارة . وقال هذا الشاهد انه كان بآلة التصوير أفلام تكفى لالتقاط ٤٠٠٠ صورة تغطى مساحة عرضها ١٢٥ ميلا وطولها ٢١٧٠ ميلا ، والواقع أن آلة التصوير كانت قوية بحيث تستطيع تمييز رأس المسمار على ارتفاع ستة أميال وتصوير عنوانات الصحف من ارتفاع تسعة أميال ، وتميز آثار الاقدام فى الثلج من مسافة اثني عشر ميلا ، الا انه من المشكوك فيه جدا أن باورز كان يعلم بهذه القدرات المذهلة فى مهمات التصوير الفوتوغرافى التى زودت بها طائرة « دى - ٢ » . وكل ما استطاع أن يقوله بلهجة قاطعة هو أنه يدير الجهاز ويوقفه فى نقط محددة على خريطة الطيران . كما أنه لم ير أى فيلم من الافلام التى تم تحميمها ، الا بعد أسره ، نظرا لان (النجاتيف) كان يرسل الى واشنطن لمعاملته وتقديره . وعلى كل حال لقد قدر - فى أثناء السنوات الأربع التى استخدمت فيها طائرات « دى - ٢ » - أن هذه الطائرات عبرت وعادت لعبور حدود الاتحاد السوفييتى نحو ١٥٠ مرة، وليس من شك فى أن التفسيرات الناتجة من تحليل الأخصائين المهرة

للمعلومات التى جمعت فى أثناء هذه الرحلات أعطت كبار المخططين العسكريين بواشنطن فكرة حسنة جدا عن قوة الاتحاد السوفيتى الدفاعية والهجومية . والواقع أنه من المحتمل أن الجزء الأكبر من الصور الجوية للجزء الأكبر من الاتحاد السوفيتى التقط قبل اسقاط طائرة « باورز » ي - ٢ فى أواسط روسيا يوم أول مايو ١٩٦٠ .

فقبل ذلك بأيام قليلة ، وعلى وجه التدقيق يوم ٢٧ أبريل ، وفى نحو الساعة السادسة مساء ، ذهب « جارى باورز » الى المقطورة وطلب الى زوجته أن تعد له وجبة كبيرة ، وكانت « بربارا » تعرف معنى ذلك . . . كان معناه أن زوجها ذاهب فى احدى مهامه ، وكانت الشمس تغرب حينذاك فوق الجبال ، فقالت « بربارا باورز » لنفسها « سيكون الطقس موافيا لرحلته » ومضت تعد له الطعام فى حين أخذ « جارى » يحزم مهماته . وأعدت له « بربارا » وجبة كبيرة - ترموس مملوء بحساء البطاطس وآخر بالقهوة وسكر وقشدة (بكمية كبيرة) وبعض الحسلوى والزيتون . . . الخ . . . وفيما بعد قالت بربارا لقد كانت هذه آخر وجبة أعدتها له ، .

وقضت الزوجة الأيام التالية القليلة فى « لعب البريدج مع الفتيات والاستمتاع بأشعة الشمس » ، ثم جاءت الصدمة الاليمة ، وفى الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم ٢ من مايو استيقظت « بربارا » على طرق فوق باب المقطورة . وسمعت أصوات بعض أصدقاء زوجها يقولون لها :

— ان لدينا أنباء سيئة لك يا بربارا . . . لقد فقد « جارى » واطلقنا طائرات بحث ولكنها لم تعثر عليه .

« وصعقت « بربارا باورز » لانها كانت امرأة متقدمة العاطفة ، فلا عجب اذن فى أنها فقدت وعيها بمجرد سماعها هذه الانباء المفزعة . وكان الشئ الذى تذكرته بعد ذلك أن طبيب القاعدة كان منحنيا فوقها وهو يحقنها ولكنها لم تعرف كم عدد الحقن التى أعطيت بها .

وطوال اليوم والليلة التاليتين ظلت مستمرة بجانب جهاز الراديو فى انتظار الأنباء . ولكن لم تكن هناك أنباء . . . ثم جاء رئيس « جارى » وقال « لربارا » انه يحسن بها العودة للولايات المتحدة والانتظار هناك . فأسرعت تحزم مقتنيات قليلة وبدأت رحلتها عائدة الى ميلد جفيل وهى مدينة صغيرة فى ولاية جورجيا حيث تقيم امها .

ووصلت الى مطار اتلانتا يوم الاحد ٨ من مايو ، وكان فى انتظارها مندوب عن اتحاد لوكهيد وعرض عليها أن يأخذها بسيارته الى منزلها فقبلت

بسرور ، وفى الطريق تذكرت فجأة أن اليوم «عيد ميلاد أمها» فطلبت من السائق التوقف أمام أحد المتاجر ريثما تشتري هدية صغيرة لامها . ووقع بصرها مصادفة على صحيفة فى المتجر ، وكان العنوان الذى قرأته فى هذه الصحيفة مباغتاً ، كما رأت صورة زوجها بجوار صورتها منشورتين فى الصفحة الأولى .

قالت بربارا فيما بعد : « كانت هذه أول مرة أسمع فيها ان طائرة جارى اسقطت وأنه أسير فى الاتحاد السوفييتى ، ولست أدري كيف عدت الى السيارة » .

- ٣ -

طار فرانسيس جارى باورز من أطنه الى بشاور فى طائرة نقل تابعة لسلاح الطيران الأمريكى ، وكان بهذه الطائرة حوالى عشرين شخصا من موظفى الفصيلة ١٠ - ١٠. ومن بينهم القائد الكولونيل شلتون ، وقضى اليومين التاليين فى قاعدة بشاور يستعد برحلته بالطائرة ٢ - التى أحضرها طيار آخر الى بشاور فى مساء يوم ٣٠ من ابريل . وقد اطلعه الكولونيل شلتون على تفاصيل مهمته ، وقال باورز فيما بعد أن الكولونيل أبلغه انه « من المأمون جدا » أن يطير فوق الاراضى السوفييتية على ارتفاع ٦٨٠٠٠ قدم وأن وسائل الدفاع الجوى المحلية لا تستطيع اصابته . ثم حددت له أهدافا معينة لتصويرها ، وكان أحدها موقع الصواريخ فى تيورا تان شرق بحر ارال التى انطلق منها المايجور يورى جاجارين فى رحلته الأولى فى الفضاء قبل ذلك بأقل من عام . وكان هناك عدد آخر من الأهداف من بينها قواعد اطلاق الصواريخ الغامضة المصنوعة على هيئة قبة شمال غرب شليابنسك وشمال وجنوب كيروف ، وأخيرا كان عليه أن يلتقط صورة لقواعد السوفييت الجوية وقواعد الغواصات فى منطقة مورمانسك والاركانجل.

وقيل لبورز انه عند حدوث طارئ ، كوقوع خلل فى اجهزة الوقود . أو الأكسجين فان عليه أن يعود الى بشاور اذا حدث الخلل أثناء الجزء الأول من الرحلة . والا فعليه أن يذهب الى بودو بأقصر طريق مستطاع . أما اذا كان «الطارئ خطيرا» فان هبوطه فى أى مطار خارج الاتحاد السوفييتى أحسن من هبوطه بداخله ، « أما اذا أرغم على الهبوط بداخل الاراضى السوفييتية فان عليه أن يدمر الطائرة » مستخدما الازرار الخاصة بذلك . وعليه فى هذه الحالة أن يستخدم مظلة الهبوط فى النزول والانطلاق الى

أقرب حدود . وبعد أن تم اطلاع باورز على تفاصيل رحلته ، زود ببعض الأدوات الخاصة ، فكانت هناك أولا الأبرة السامة التي قدمها له الكولونيل شلتون شخصيا وقال له ان « عليه استخدامها اذا قبض عليه وعذب ولم يستطع احتمال التعذيب وفضل الموت » . وزود أيضا بمسدس صامت ورصاص ، ووسائل اشعال النار واشارات الاستغاثة ، ومصباح كهربى يدوى ، وخنجر ، وقارب من المطاط الهوائى ، ومجموعة من الخرائط الطبوغرافية للجزء الاوربي من الاتحاد السوفييتى ، وبوصلات ، ومنشار وسنارة ، وكمية من النقود ونفائس مختلفة كالساعات والخواتم . وأخيرا وبالإضافة الى معدات التصوير المعقدة التى سبق وصفها، وجهاز التسجيل لتسجيل الاشارات المتبادلة بين محطات الرادار السوفييتية على الارض ، كانت الطائرة مزودة بجهاز لعرقلة عمل أجهزة الرادار وذلك بإيجاد « مجال خامل صناعى » . وقبل موعد بدء الرحلة بحوالى ساعتين ، ارتدى باورز ملابس الطيران الخاصة وعود نفسه على التنفس فى الارتفاعات الشاهقة وهى عملية بدنية شاقة .

وحوالى الساعة السادسة والنصف صباحا بالتوقيت المحلى يوم أول مايو انطلق باورز من مطار بشاور ، وبعد دقائق قليلة عبر حدود باكستان، وبعد ذلك بحوالى نصف ساعة ، عبر نهر أوكسس وطار فوق الاراضى السوفييتية ، ومع أنه سار على طول الحدود السوفييتية مرات عدة قبل ذلك ، الا أن تلك كانت أول مرة تغفل فيها فى الفضاء السوفييتى ، وكما اعترف فيما بعد فان فكرة وجوده فوق الاتحاد السوفييتى جعلته يشعر « بالقلق والخوف » (انه شئ لا أحب أن أفعله كل يوم) .

ومضى كل شئ على مايرام فى بادىء الأمر ، وكانت أجهزة الملاحه والتصوير تؤدي عملها كأحسن ما يكون ، وتم تصوير موقع الصواريخ شرقى بحر أرال والأهداف العسكرية والصناعية الأخرى المخددة على خريطة الطيران . واستمرت الرحلة لأكثر من ١٣٠٠ ميل طبقا للتخطيط الموضوع لها . ثم لعب الحظ السئ دوره ضد الطيار فبغير أن يدري شيئا التقطت محطات الرادار الارضية خط سير الطائرة وتتبعها منذ لحظة عبورها الحدود الباكستانية السوفييتية . وكانت طائرة ي - ٢ تقترب حينذاك من مدينة سفرولوفسك فى قلب الاتحاد السوفييتى تقريبا .

وقبل الساعة التاسعة صباحا بقليل بتوقيت موسكو - أى بعد رحلة الطائرة ي - ٢ من بشاور بحوالى ثلاث ساعات أو ثلاث ونصف ، صدر الامر لبطارية المدافع المضادة للطائرات المحلية فى سفرولوفسك بإسقاط

الطائرة . ولقد قال قائد البطارية في التقرير الرسمي الذي قدمه « عندما دخلت الطائرة في نطاق النار على ارتفاع أكثر من ٢٠٠٠٠ متر أطلق صاروخ واحد وأدى الى تدمير هدفه » .

أما رواية الطيار فكانت أكثر تفصيلا بالطبع . . قال : على حين غرة ، سمعت نوعا من الانفجار الأجوف ورأيت لهبا يرتقالي اللون . وفجأة أخذت الطائرة تهوى وأظن أن جناحيها وذيلها بدأت في السقوط ، ولعل الطائرة لم تصب إصابة مباشرة ولكن الانفجار حدث قريبا منها ولذلك لم تصب الا بشظايا الصاروخ . . وعندما بدأت الطائرة في السقوط كنت ملصقا باللوح الأوسط وعجزت عن استخدام المنجنيق . ففتحت المظلة وفككت السيور وخرجت من الطائرة ففتحت مظلة النجاة في الحال . . .

وعند محاكمته قال باورز انه عجز عن استخدام مقعده الطارد نظرا للتأثير قوة الجاذبية بداخل الطائرة الهاوية ، ولو استطاع ان يفعل ذلك لامكنه تشغيل الجهاز الخاص بتدمير الطائرة في مثل هذه الحالات الطارئة ولحال بذلك دون وقوع اجزائها الهامة ومعداتنا في ايدي السوفييت . ويبدو انه قام بصراع عنيف للخروج من الطائرة نظرا لانه نسي في لحظة الهياج أن يقطع مواسير توريد الاكسجين ، وعندما نجح اخيرا في الخروج كانت الطائرة على ارتفاع ١٤٠٠٠ قدم . ومع ان مظلة النجاة فتحت على الفور (كيف ؟ لست ادري) لأنني لم اجذب شيئا) كانت اللحظة مربعة بالنسبة لبورز . . وفيما بعد قال لزوجته « كانت تلك اول تجربة لي مع مظلة النجاة وارجو الا تتكرر مرة ثانية »

وهبط باورز بسلام الى الأرض بعد ان تجنب الاصطدام بسلك كهربائي عالي الفولت . ولكن هبوطه لم يخف على سكان المنطقة ، واسرع اربعة عمال كانوا قد سمعوا الانفجار وراوا المظلة الهابطة ، الى نقطة هبوط باورز . وكان اول القادمين يتر اسابين وهو جندي سابق وضحية حرب ، وبأدب بافراغ الهواء من المظلة لمنعها من سحب باورز مسافات طويلة . وبعد دقائق قليلة اقبل ثلاثة آخرون هم الرفيق سورين ، وشريمينسبيثي وشووزهاكين الذين انعمت الحكومة السوفييتية عليهم بأوسمة فيما بعد « لهنسبالتهم » . في هذه المناسبة . وبينما كان اسابين يساعده على التخلص من المظلة ، رفع الآخرون بخوذته ، وسماعتيه . وقفازه . ثم تحدثوا الى باورز بلفتهم فسألوه « من أنت ؟ ومن اين

انت ؟ وماذا حدث لك ؟ فاجابهم باورز باللغة الانجليزية التى كانوا جميعا يجهلونها . فهزوا رءوسهم نفيا . ومالبثوا ان ادركوا انه غريب واجنبى مما جعلهم يلزمون جانب الحذر . وبادر احدهم فجرده من مسدس طويل الماسورة ، ثم قادوه الى سيارة كانت تقف على مقربة . وبينما كانوا يستقلون السيارة اذ رأى احد الرفاق الخنجر الذى كان « باورز » يحمله ، فجرده منه . وعلى اثر ذلك انطلقت الجماعة الى اقرب قرية سوفيتية . وفى الطريق أتى « باورز » بإشارات تدل على انه يرغب فى الحصول على شراب ، فتوقفوا وقدموا له كوبا من الماء . وعندما طلب لفافة تبغ قدموها له . وكانت السيارة ممتلئة من الداخله فكتب شرميين احرف فوق التراب قاوما « باورز » براسه مؤمنا . وسئل أيضا بالإشارة عن عدد الطيارين فأشار اليهم : انه واحد . وعندما وصلوا الى القرية وجدوا فى انتظارهم اثنين من رجال أمن الدولة .

وفيما بعد ، وفى اليوم نفسه نقل « باورز » جوا الى موسكو ، وفى المساء أودع فى زنزانة بسجن لوبيانكا الرهيب بشارع وزرنسكى . وفى اليوم التالى ، ولدهشته الشديدة ، اخذوه فى جولة بموسكو ، قال لزوجته فيما بعد انه استمتع بها كثيرا (ان هؤلاء القوم فخورون كل بالفخر بعاصمة بلادهم وهى مدينة جميلة) . وبعد ذلك بأسبوعين اخذوه لرؤية بقايا طائرته التى وضعت فى الحديقة الرئيسية بالمدينة ليراها الشعب ، وهى حديقة جوركى التى لا تبعد كثيرا عن الكرملين .

وفى تلك الأثناء تولى موظفو لجنة أمن الدولة السوفيتية ومكتب النائب العام استجواب الأسير ساعات طويلة كل يوم ، وكانوا يعملون طبقا لتعليمات مستر خروشوف ومجلس الوزراء . ولقد اشتهر سجن لوبيانكا فى الماضى بأنه مكان « تعذيب » المسجونين السياسيين ، ومع أن « باورز » لم يعامل مثلما كان نزلاء زنزانات هذا السجن التعساء يعاملون فى عهد ستالين . الا انه احتجز فيما يشبه « الحبس الانفرادى » لمائة يوم ويوم ، قيل أن يقدم للمحاكمة . ولم يسمح له بأن يقابل أحدا فى اثناء هذه الفترة سوى الموظفين السوفيت والمحامى . وكان يستجوب بإسهاب عن أهداف رحلته وغيرها من التفاصيل ، الا أنه ليست هناك أدلة على أن هذا الاستجواب اتخذ أى طابع غير انسانى ، أو أن السجن نفسه عومل معاملة غير انسانية فى اثناء الفترة السابقة على المحاكمة .

وفى الوقت المناسب قدم « باورز » للمحاكمة طبقا للمادة الثانية

من قانون العقوبات السوفيتي ، وتشمل هذه المادة المحاكمة عن « المسؤولية الجنائية عن التجسس » وغيرها من « الجرائم الخطرة ضد الدولة » . وحينما سئل السجين اعترف بأنه مذنب في العبارة التالية :

« اعترف بأنني مذنب من حيث أنني قمت بالطيران فوق الأراضي السوفيتية وفوق المناطق التي حددت على الخريطة ، وأدرت وأوقفت الأدوات اللازمة للأجهزة الخاصة المركبة في طائرتي . . وذلك بغية جمع المعلومات عن محطات الاذاعة والرادار في الأراضي السوفيتية وعن أماكن الصواريخ فيما اعتقد »

وكان هناك تصريحان آخران أدلى السجين بهما في أثناء استجوابه وأثارا اهتمام المحققين ، هما : « أعلم أنني سأحاكم في محكماتكم ، لكن إذا اتفق وعدت الى وطني فسأحاكم هناك أيضا ، ولكن ذلك لا يقلقني كثيرا لأن الأرجح أنني لن أعود الى الوطن » . وصرح مرة أخرى بما يلي : « لقد خدعني رؤسائي ، فاني لم أتوقع مطلقا أن ألقى معاملة طيبة كهذه هنا » .

وفي يوم ٢٦ من مايو ، وبعد أن قضى في سجن لوبيانكا زهاء أربعة أسابيع سمح له بكتابة رسالة لزوجته . فقال لها انه يحصل على طعام أكثر من كفايته وينام فترات طويلة (صحيح أنني كنت فاقد الشهية في الأسبوع الأول أما الآن فأنني في أحسن حال) على الرغم من استمرار التحقيق والاستجواب . وكان الغرض من هذا بث الطمأنينة في نفس « بربارا باورز » وغيرها من أعضاء أسرته خشية أن يكون قد قر في أذهانهم أن السجين يستجوب من غير هوادة أو رحمة بالليل والنهار ، وأنه يحرم من النوم ، وهو ما كان ماثورا أيام ستالين وكان السجين يحصل أيضا على قدر من الرياضة ، بل لقد سمح له (بأخذ حمام شمس) ذات يوم ، كما سمح له بالقراءة والتدخين حسبما شاء ، وبالجمله كانت معاملتهم له أحسن مما كان يتوقع ، وإن كان من الطبيعي أن ينتابه القلق بسبب المحاكمة الوشيكة ، وبالأخص بعد أن قيل له أن المادة الثانية من قانون العقوبات السوفيتي تنص على تطبيق عقوبات بالسجن تتراوح بين سبع سنين وخمس عشرة سنة ، والاعدام في بعض الأحيان . .

قال « باورز » في رسالته لزوجته : « أنني لا أعلم أي عقوبة منها ستطبق علي ، وكل ما أعلمه أنني لا أحب الموقف الذي وضعتك فيه »

واختتم « باورز » رسالته لزوجته بلهجة أكثر مرحا إذ قال : انك حرة الآن ، ولكنى لا أعلم الى متى ستدوم هذه الحرية ... لكن الزمى الحذر ، فقد نتمكن من شراء منزل فى أحد الايام ، فان امتلاك منزل فكرة سارة ، وبالأخص اذا رحت أفكر فى ذلك ، وأنا قابع فى زنزانى هنا .

وبعد شهر سمح له بكتابة رسالة ثانية لزوجته ، ولكنه لم يجد انباء جديدة تذكر ييلفها لها : « لم يتغير شيء منذ كتبت لك فى المرة الأخيرة ، فانى مازلت أجهل ماذا سيحدث لى ، أو متى تتم محاكمتى ، وما زلت أقوم بجولاتى اليومية وأحصل على نصيب كبير من أشعة الشمس ، ولو اننى كنت أتمنى لو حدث هذا وأنا أسير معك على أحد الشواطئ ... انها الشمس نفسها ولكنها كانت تبدو أحسن كثيرا قبل ان يحدث هذا كله » ..

ومرت ثلاثة أسابيع أخرى قبل ان يتمكن « باورز » من ان يقول لزوجته ان التحقيق قد انتهى ، وانه تقرر البدء فى محاكمته يوم ١٧ من أغسطس وهو يوم عيد ميلاده الواحد والثلاثين ، وان فى استطاعتها وأبويه ان يمشوا فى خطتهم للحضور الى موسكو بهذه المناسبة ، وأضاف « باورز » بأن الحكومة نذبت محاميا للدفاع عنه : « وقد تحدثت اليه عدة مرات ، واتى أشعر بأنه سيبدل قصارى جهده من أجلى » .

- ٢ -

— أيتها المتهم باورز ، هل تفهم الادعاء الموجه ضدك ؟

— نعم ..

— هل تعترف بأنك مذنب ؟

— نعم . اعترف بأننى مذنب .

— بهذا الحديث الذى دار بين رئيس المحكمة والمتهم الواقف فى قفص الاتهام بدأت المحاكمة التى أثارت أعظم اهتمام دولى منذ انتهاء محاكمة مجرمى الحرب فى نورمبرج ، قبل ذلك بثلاث عشرة سنة .

بدأت المحاكمة يوم ١٧ من أغسطس ١٩٦٠ فى بهو الأعمدة بدار النقابات المهنية التى كانت من قبل ناديا للنبلاء الروس بموسكو ، وهى

مبنى فاخر من مباني القرن الثامن عشر في قلب المدينة غير بعيد عن الكرملين والميدان الأحمر .

وكان رئيس المحكمة اللواء القاضي « فيكتور . ف . بوريسوجلبسكى » وهو محام كفء مهذب في أوائل العقد السادس من عمره قضى معظم حياته العلمية في مكتب المحامي العام بالجيش السوفييتي . وكان عليه أن يعامل المتهم بمنتهى الأدب والاعتبار طوال محاكمته .

وكان مساعداه اثنين من ممثلي الشعب بالملابس العسكرية أيضا ، أحدهما « ديمتري ز . ثوروليف » وهو من سلاح المدفعية ، والآخر « الكسندرا . زخاروف » من سلاح الطيران السوفييتي .

وتولى الاتهام في القضية « الكولونيل رومان أ . رودنكو » المدعى العام بالاتحاد السوفييتي ، وهو رجل عرف خارج الاتحاد السوفييتي بأنه أقدر محام جنائي سوفييتي تولى قيادة فريق الاتهام السوفييتي في أثناء محاكمات مجرمي الحرب في نورمبرج .

وأخيرا ، وبالإضافة الى موظفي المحكمة من مترجمين وكتبة ، كان هناك محامي المتهم « ميكائيل أ . جرنيف » الذي ندب خصيصا للدفاع عن المتهم ، وكان يجلس بالقرب من قفص الاتهام أمام مكتب صغير يشابه المكتب الذي جلس اليه النائب العام ، وكان معروفا بكفايته التامة في عمله وبالأخص لأنه اسهم بدوره في محاكمات نورمبرج .

وشهد المحاكمة نحو ٢٥٠٠ شخص من بينهم أعضاء في الهيئة الدبلوماسية ، ومراسلون عن الصحف الأجنبية ، وكبار زوار الدولة ، ومجموعة كبيرة منتقاة من المواطنين السوفييت . وفي الناحية المضادة من القاعة ، ووراء حاجز قصير جلس والدا المتهم المستر والمسزاوليفر باورز ، وزوجة المتهم « بربارا » وطبيب الأسرة ، واثنان من المحامين الأمريكيين ، كمستشارين لأسرة « باورز » وان لم يستطعا الاسهام الا في اجراءات المحاكمة الاولى طبقا للقانون السوفييتي .

وبعد افتتاح الجلسة بلحظات قليلة ، أمر رئيس المحكمة باحضار المتهم . وبعد لحظة شخصت أبصار جميع الموجودين في قاعة المحكمة الى الشاب الذي دخل الى قفص الاتهام . كان « فرانسيس جاري باورز » يبدو أحسن حالا مما كان بغض الموجودين يظنون . صحيح انه كان نحيفا قليلا ، وكانت البذلة الزرقاء التي زودته السلطات السوفييتية

بها فضفاضة قليلا نتيجة للتوتر العاطفى الكبير الذى عاش فيه الا انه كان يبدو ممتلئا حيوية .

وكان اول مافعله السجين حين دخوله الى قفص الاتهام هوالتطلع حوله باحثا عن زوجته ، ولكنه لم يكن يعرف اين جلست ، ونظرا للوهج الشديد الذى كان ينبعث من المصاييح المتألقة ، فانه لم يستطع رؤيتها ، الا أنه ماكادت تمضى لحظات قليلة ، حتى لوحت « بربارا » له بيدها ، ولكنه لم يستطع رؤيتها وكان يبدو حزينا يائسا فى تلك اللحظة .

وبعد اتمام الاجراءات الاولى ، وبعد ان قرأ الكاتب قائمة الاتهام المطولة ، وهى عملية استغرقت اكثر من ساعة ، بدأ النائب العام بماقال عنه أنه سؤال المتهم ، والواقع انه كان استجوابا يسبق سؤال الدفاع للمتهم واذا قارنا ماحدث فى تلك المحاكمة بما كان يحدث فى المحاكمات، فقد كان تدخل رئيس المحكمة قليلا ، وقد ترك لجانبى الاتهام والدفاع مهمة تولى القاء الأسئلة على المتهم .

وراح الكولونيل «رودنكو» ينتقل بالمتهم بين تفاصيل رحلته المشؤمة خطوة خطوة .

سأله : كانت طائرتك مزودة بأجهزة تصوير الاستكشاف الجوى . فما هى التعليمات التى أعطيت لك ؟

— لم تصدر لى أية تعليمات معينة لإدارة الاجهزة . كان على أن أدير وأوقف هذه الاجهزة على حسب ما هو مبين على الرسم .

— الأرجح انك كنت تعرف الغرض من ادارة ووقف هذه الاجهزة ؟

— كان فى استطاعتى أن اتكهن بذلك .

— أكبر ظنى انك لم تشك فى ان الطائرة كانت طائرة استكشاف منذ لحظة بداية رحلتك ؟

— نعم .. لم أشك فى ذلك .

— لقد وجدت فى طائرتك معدات جمع المعلومات اللاسلكية واجهزة لتسجيل مختلف محطات الرادار السوفييتية . أليس الامر كذلك ؟

— قيل لى ان بالطائرة اجهزة تسجيل ، ولكنى لا أعرف ماذا كان شكل معظم الأجهزة باستثناء مارايته هنا .

- فقال النائب العام وهو يطرق المكتب بقلمه لتأكيد مايقوله :
- ولكنك تلقيت تدريباً يكفى لأن تعرف أن هذه المعدات صممت خصيصاً لرحلات التجسس ؟
- واضطر المتهم للاعتراف بذلك ..
- وكانت المصائب الوهاجة المثبتة فوق آلات تصوير التليفزيون قد بدأت تؤلم عيني « باورز » فتحول الى هيئة المحكمة وطلب إبعادها إقائلاً : انها تسبب لى صداعا .
- وفي التو أصدر رئيس المحكمة الأمر اللازم فقال « باورز » : هذا أحسن .
- ومضى الكولونيل « رودنكو » يسأل : هل تنكر أنك انتهكت حرمة المجال الجوي السوفييتى مخالفاً بذلك القانون ؟
- لا أنكر ذلك
- لقد كان هذا التدخل خاصاً بجمع معلومات للتجسس .
- أظن ذلك .
- قلت هنا وفى أثناء التحقيق الأولى أنك أدت الأجهزة وأوقفتها عند نقاط محددة ؟
- فعلت ما أشار الرسم به .
- من غير أن تعلم ماهية الجهاز ؟
- لم أر الجهاز مطلقاً .
- فقال الاتهام ، وهو يلقي نظرة مخيفة فى اتجاه هيئة المحكمة :
- إذن كان يمكنك أن تضغط بالسهولة نفسها على زرّار فتطلق قنبلة ذرية ؟
- وهنا بدا على « باورز » كأنه سقط فى الفخ . وقال : يجوز ولكن هذه الطائرة ليست من الطراز الذى يحمل مثل هذه القنابل ويلقيها .
- وسادت هممة بين الحاضرين دلت على أن « باورز » ضرب ضربته الأولى فى هذا اليوم .

وانتقل الكولونيل « رودنكو » بعد ذلك الى نقطة هامة جدا ، وعنى الارتفاع الذى كان عليه « باورز » حينما أسقطت طائرته . فقال « باورز » : كانت الطائرة على أقصى ارتفاع ٠٠ نحو ٦٨٠٠٠ قدم .

— وكيف وقع الحادث ؟

— كنت قد أتممت دورة وبدأت أنطلق فى خط مستقيم ، وبعد نحو دقيقة سمعت ، وأظن أننى شعرت أيضا ، بصوت انفجار أجوف صادر من الخلف ورأيت وهجا يرتعالى اللون .

وأضاف « باورز » ان ذلك حدث جنوب سفرولوفسك بأميل قليلة . ومضى يقول انه لم يستطع استخدام المقعد الطارد . وحينما أصبحت الطائرة على مسافة نحو ٣٣٠٠٠ قدم من الارض حاول استخدام المقعد بلا جدوى ، فلما أصبح على ارتفاع ١٤٠٠٠ قدم تقريبا استخدم المظلة الهابطة .

وأردف « باورز » انه حينما أصيبت الطائرة «ى-٢» كانت تؤدي عملها على نحو طبيعى تقريبا .

سأله « رودنكو » : ماذا كانت التعليمات التى تلقيتها بشأن الهبوط الاضطرارى فى اراضى الاتحاد السوفييتى ؟

— كنت قد تلقيت تعليمات بأنه اذا تبين لى أنه من الضرورى جدا الهبوط فى اراضى الاتحاد السوفييتى ، فان على أن أدمر الطائرة باستخدام أزرار وأجهزة معينة ، وان أفلت من الأسر ، وبمساعدة (حقيبة الحياة) أمضى الى أقرب حدود .

— هل زودت الطائرة بوسائل خاصة لتدميرها ؟

— نعم . هذا ما قيل لى .

— تدميرا تاما لا يخلف أية آثار ؟

— لست أدري ماذا كان سيحدث لو أننى ضغطت على الأزرار ؟ كل ما قيل لى هو أن اضغط عليها .

وانتقل الكولونيل « رودنكو » بعد ذلك الى الأجهزة الخاصة التى وجدت مع « باورز » وبالأخص المسدس والابرة السامة .

— ما الغرض من تزويدك بمسدس صامت بعشر رصاصات ؟

- للصيد .
- ألهذا الغرض اعطوك أيضا طلقات عيار ٢٨٥ ؟ .
- نعم . .
- ان ما نعلمه أن الصيد يتم عادة بالبندقية .
- من الصعب حمل بندق صيد فى هذه الطائرة .
- فقال الكولونيل «رودنكو» بسخرية لاذعة : نعم ، بالأخص فى هذه الطائرة التى أعدت لأغراض التجسس .
- فقال المتهم : أظن أن المسدس الذى أعطى لى لم تكن له علاقة بأغراض الرحلة .
- من الذى أعطاك الابرة السامة ؟ .
- الكولونيل «شيلتون» حينما أطلعنى على تفاصيل الرحلة فى بشاور .
- ولأى غرض ؟
- اذا أسرت وعذبت ولم أستطع احتمال التعذيب وفضلت الموت ، كنت سأستخدمها .
- معنى ذلك أن رؤساءك وجهوك فى هذه الرحلة بألا تنقذ حياتك ؟ .
- كنت أنا الذى سأقرر استخدام الابرة أو عدم استخدامها .
- ولكنهم اعطوك الابرة السامة ؟
- نعم .
- أرادوا منك نسف الطائرة وقتل نفسك ومحو جميع الآثار ؟
- لا . لم يقولوا لى أن أقتل نفسى .
- ولكنهم اعطوك الابرة لتقتل نفسك ؟
- اذا عذبت .
- وبدت الدهشة على وجه المدعى العام ازاء هذه الاجابة . وسأله :
- هل قيل لك انهم سيعذبونك فى الاتحاد السوفييتى ؟ .
- لست اذكر أنهم قالوا لى ذلك ، ولكنى توقعته .

- وهل عذبت ؟ •

- لا •

- وكيف عاملك المحققون ؟ •

- عاملوني أرق معاملة •

وحينما انتهى الكولونيل «رودنكو» من أسئلته ، نهض المحامي «جرنييف» لسؤال موكله ، وقد صاغ أسئلته ليبين أن «باورز» ينتمى الى اسرة امريكية عاملة فقيرة ، وأن غايته من الالتحاق بهذه الوظيفة مع ادارة المخابرات المركزية هو الحصول على المال للوفاء بديونه ، وأنه تصرف طبقا لما قضت به الأوامر الصادرة اليه من غير أن يعلم شيئا عن الاجهزة الخاصة التي كان يستخدمها في طائرته •

وفي مرحلة مبكرة طلب الدفاع من المحكمة ترخيصا بعرض الصور الفوتوغرافية ، التي حصل عليها ، من والدي «باورز» والتي تبين المنزل الذي عاش فيه وجوانب من حياته المنزلية ، فرخصت المحكمة له بذلك •
سأله : ما الذي عاد عليك به عمك مع المخابرات المركزية من الناحية المادية ؟ •

- أتاح لي فرصة الوفاء بديوني ، والعيش في سعة نسبية وادخار بعض المال للمستقبل على أمل أن أبتاع منزلا وأنشئ لنفسى عملا مستقلا عن والدي •

- هل كنت ملما بالاجهزة الخاصة الموجودة في الطائرة ؟ •

- لا • لم أر أى جهاز من هذه الاجهزة وهو يوضع في الطائرة أو يرفع منها • وكل ما أعلمه عنها هو أن أتبع التعليمات الخاصة بها والمبينة على الرسم •

- هل كنت تعلم أيا من النتائج المترتبة على رحلتك الاستكشافية ؟

- لم تبلغ الى أية نتائج عن رحلاتي ، ولم أكن أعلم هل الاجهزة تؤدي عملها كما ينبغي أو لا • الا حسبما تشير به اضاء الاشارات الموجودة في المقعد •

وهنا ذكر المحامي «جرنييف» موكله بأنه قال في التحقيق السابق على المحاكمة انه تردد في تجديد عقده لفترة أخرى مع المخابرات المركزية وسأله : لماذا ترددت ؟ •

فأجاب باورز : للشكوك التي ساورتني . ان من الصعب الايضاح ولكن من الأسباب التي دعتني لهذا التردد أن الوظيفة تحطم الاعصاب كما أن الطيران على ارتفاعات شاهقة وبملابس خاصة يجهد الجسم . وبالإضافة الى ذلك فقد ساورني احساس - لست ادري كنهه - وعلى أية حال لم ارتح للعمل الذي كنت أؤديه - ولو اتيح لي وقت للبحث عن عمل آخر لفعلت ولكني لم أجد هذا الوقت .

- هل أسفت لأنك جددت عقدك ؟

- حسنا . . من الصعب شرح الاسباب .

- ولماذا أنت آسف الآن ؟

- ان موقفى الآن لايسر . اننى لم أسمع كثيرا عن انباء العالم ، ولكنى فهمت أنه كان من النتائج المباشرة لرحلتى هذه عدم عقد مؤتمر القمة والغاء زيارة الرئيس ايزنهاور ، وأعتقد أن توترا شديدا ساد العالم، وانى لشديد الاسف لانه كان لي ضلع فى ذلك .

وكان هذا هو ما ترقبته المحكمة . . الاعتذار الذى فشل خروشوف منذ شهرين ، فى الحصول عليه من الرئيس الأمريكى ، أو وزير خارجيته .

-٥-

وفى اليوم التالى من المحاكمة كان المتهم يبدو أكثر استرخاء واطمئنانا فحينما رفعت الجلسة فى اليوم السابق استطاع «باورز» ان يرى زوجته وأن يتبادل الابتسامات معها قبل أن يقوده الحرس الى زنزانه وكان يبدو عليه أنه أصبح أكثر ثقة بعد أن انتهى محاميه من القاء أسئلته عليه .

- حينما وقعت عقدك مع المخابرات المركزية ، هل كنت تعلم أنك ستقوم برحلات طيران فوق أراضى الاتحاد السوفييتى ؟

- لم أكن أعلم ذلك حين وقعت العقد .

- ومتى سمعت بذلك لأول مرة ؟

- بعد توقيع العقد بستة أسابيع أو سبعة . . ثم قيل أن هذا سيكون

جزءاً من واجباتي ، الا انه ثبت أن نظام الرادار السوفييتي أحسن مما كان يعتقد من قبل ، وقيل لي انه من المحتمل أن نقصر رحلاتنا على طول الحدود السوفييتية فقط .

— ماذا قال الكولونيل «شيلتون» لك بالضبط عن سلامة الطيران فوق الأراضي السوفييتية ؟ .

— قال لي ان هذه الرحلات مأمونة تماما ، وان الشيء الوحيد الذي محتمل حدوثه هو خلل فني في الطائرة .

هل أعطيت من قبل ابرة سامة ، كتلك التي حملتها في اثناء رحلتك يوم أول مايو ، اعني في الرحلات السابقة ؟ .

— لا . كانت هذه أول مرة .

— هل اطلعك الكولونيل « شيلتون » على كيفية استخدامها ؟ .

— نعم .

وحيثما جلس المحامي جرنيف ، استأذن المدعي العام «رودنكو» المحكمة في اعادة سؤال المتهم لأنه ، يريد استيضاح نقاط كثيرة . فأذنت المحكمة له .

سأله : حينما انطلقت بطائرتك من بشاور يوم أول مايو ، ماهي الدول التي طرت فوقها ؟ .

فأجاب باورز : جزء صغير من الباكستان ، وجزء صغير من افغانستان ، والاتحاد السوفييتي .

— وبعبارة أخرى ، فانك انتهكت حرمة المجال الجوي لافغانستان ؟

— اذا لم يكن هناك ترخيص سابق بذلك ، أكون قد انتهكت هذا المجال .

— ألم تعط السلطات الافغانية مثل هذا الترخيص ؟ .

— لم تعطه لي شخصيا .

— ألم يقل لك ضابطك الاعلى شيئا عن ذلك ؟ .

— لا .

– الا تكون قد اعتديت بذلك على سيادة دولة افغانستان
المحايدة ؟ •

– اذا لم تعط السلطات فصيلتي ترخيصا بذلك ، فالجواب • نعم •
– وهل حصلت فصيلتك على أى ترخيص بالطيران على حدود الاتحاد
السوفييتى ؟ •

– ليست لدى فكرة عن ذلك •
– وهل حصلت فصيلتك على أى ترخيص بالتغلغل فوق الأراضى
السوفييتية ؟ •
– لا أظن ذلك •

فقال الكولونيل «زودنكو» وهو يرمى المتهم بنظرة صارمة : لا تظن!
الا يحسن أن تعطينا اجابة قاطعة ؟

– لو أخذ هذا الترخيص لكان ذلك على مستوى سلطة أعلى منى ،
وبالتالى لما عرفت شيئا عنه !

وهنا صرف المدعى العام النظر عن هذه النقطة بالتلويح بيده •
وقال :

– لو كان هناك ترخيص كهذا لما كنت تقف اليوم فى هذا القفص •
فقال «باورز» وهو يتأمل المدعى العام ويشترك فى الضحك الذى
أثارته اجابته التالية :

– هذا هو سبب افتراضى انه لم يكن هناك ترخيص •

أما النقطة التالية التى استدعت ايضاحا – ولعلها كانت أهم نقطة
فى المحاكمة كلها – هى الارتفاع الذى كان «باورز» يطير عليه حينما
اسقطت الطائرة ٠٠٠ واستأنف المدعى العام اسئلته حول هذه النقطة
فقال «باورز» انه عبر حدود الاتحاد السوفييتى على ارتفاع يبلغ نحو
٦٦٠٠٠ قدم ، وانه استمر فى الارتفاع كلما خف وزن الوقود وأصبحت
الطائرة أخف وزنا •

– ما اقصى ارتفاع بلغته ؟ •

– نحو ٦٨٠٠٠ قدم ، وربما أكثر أو أقل قليلا •

– هل كنت على ارتفاع ٦٨٠٠٠ قدم وأنت تحلق فوق منطقة
سفرولوفسك ؟ •

– نعم •

– وهل أصابك الصاروخ السوفييتى وأنت على هذا الارتفاع ؟ •

– أصابنى شيء وأنا على هذا الارتفاع •

– أتقول انك أصبت بشيء ؟

فأجاب باورز : لم تكن لدى أية فكرة عما أصابنى ، لأننى لم أره •

– ولكن ذلك حدث على هذا الارتفاع ؟ •

– نعم •

وأخيرا قدم المدعى العام للمتهم نداء مطبوعا بأربع عشرة لغة مختلفة
عشر عليه بين مقتنيات الطيار ، مع النقد السوفييتى والنقود الذهبية
وغيرها من النفائس • وكان النص الروسى الذى قرأه القاضى كما يلى :

« اننى امرىكى لا أتكلم الروسية • انى بحاجة الى الطعام والمأوى
والمساعدة ، لن أرتكب أى أذى • وليست لدى نوايا شريرة ضد شعبكم •
فاذا ساعدتمونى فسأكافئكم على هذه المساعدة » •

وجوابا على أسئلة أخرى من الكولونيل «رودنكو» قال «باورز» انه
لا يعلم من الذى أعطاه هذه الوثيقة ولكنه يظن أن الاشخاص الذين عاونوه
على ارتداء ثياب الطيران هم الذين وضعوها كما وضعوا أشياء أخرى فى
جيبه •

– أكانت هذه الاشياء كلها لرشوة الشعب السوفييتى ؟ •

– بل لمساعدتى بأية طريقة للخروج من الاتحاد السوفييتى •

– أقول مرة أخرى •• أكانت للرشوة ؟

– لو استطعت للجات للرشوة ، ولو استطعت لابتعت طعاما بالنقود.
لأننى كنت سأضطر الى المشى ١٤٠٠ ميل ، وبعبارة أخرى كنت سأستخدم
النقود والنفائس بأية طريقة تساعدنى •

فقال الكولونيل «رودنكو» بلهجة تدل على الارتياح : ولكنك وجدت
بالطبع أنك عاجز عن استخدام النقود لرشوة المواطنين السوفييت ، فقد

جردك أول الأشخاص السوفييت الذين قابلتهم ، من اسلحتك ، وسلموك
للسلطات .

فقال السجين : لم أحاول رشوتهم .

فقال الكولونيل «رودنكو» وسط عاصفة من التصفيق : أشعر
بأن محاولتك لم تكن تنجح .

فأجاب «باورز» وهو يشترك في الضحك : أظن ذلك أيضا .

وحينئذ القى رئيس المحكمة ، وعضواها الاسئلة التالية على المتهم:

قال الرئيس : هل كنت تدرك أنك ، بالتغلغل في المجال الجوى
للاتحاد السوفييتي ، تعتدى على سيادة اتحاد الجمهوريات السوفييتية
الاشتراكية ؟ .

فأجاب السجين : نعم ، كنت أدرك ذلك .

— ولماذا وافقت ؟

— لقد أمرت بأن أفعل ذلك .

— هل تظن أنك قدمت لبلادك خدمة طيبة أو سيئة ؟

— أعتقد أنها سيئة جدا .

— هل خطر ببالك أنك باقتحامك الحدود السوفييتية قد تنسف
مؤتمر القمة ؟ .

— حينما تلقيت أوامري عن هذه الرحلة لم أكن اعرف التاريخ
وكان مؤتمر القمة بعيدا جدا عن تفكيرى ، ولهذا لم أفكر فيه .

— ألم يخطر ببالك أن مثل هذه الرحلة قد تثير نزاعا مسلحا ؟

— من واجب الأشخاص الذين أرسلونى التفكير فى هذه الأمور ،
أما مهمتى فهي تنفيذ الأوامر .

— هل أنت آسف لأنك قمت بهذه الرحلة ؟ .

— نعم ، كل الأسف .

ولم يلق عضوا المحكمة أسئلة كثيرة على المتهم ، اذ سأل الجنرال

«زخاروف» من سلاح الطيران عن تجاربه في الطيران ، فأجاب السجين بأنه ركب الطائرة «ي-٢» نحو ٥٠٠ ساعة ، وأقل من ذلك في الطائرات المقاتلة .

— ماذا كانت خططتك العملية في أثناء طيرانك في المجال الجوي السوفييتي اذا اتفق أن قابلت طائرات مقاتلة سوفييتية ؟

— قيل لي انه ليس هناك خطر من ذلك ، وقيل لي أيضا . اننى قد أقابل مقاتلة سوفييتية ، وقد رأيت فعلا أكثر من طائرة ، ولكن على ارتفاع منخفض . لم استطع تحديد نوعها لأننى رأيت أثرها فقط .

واعترف «باورز» ايضا بأنه استخدم بوصلة لاسلكية . وحينما سئل : هل استعنت بخدمات أية محطة اذاعة أرضية في الاغراض الملاحية ؟ أجاب بأنه «تدخل» في اثنتين أو ثلاث منها . وقال « اذا لم تخنى ذاكرتى فان احدهما بالقرب من شلباينسك ، والاخرين بالقرب من ستاليناباد .

وسأل الجنرال فورديايف ، من المدفعية ، المتهم عن الأجهزة الخاصة الموجودة بالطائرة «ي-٢» ومدى المام الطيار بقدراتها ، فأجاب باورز : لقد تعلمنا كيف نقود الطائرات فقط ، وكيف ندير الاجهزة ، وبعبارة أخرى ، لقد تعلمنا كيف نستخدم المهمات الموجودة في غرفة القيادة ولكننا لم نصارح بشيء عن طبيعة المهمات ، ولقد علمت مصادفة بأن بالطائرة آلات تصوير ، ولكنى لا أعلم شيئا عن حجمها .

— متى عرفت بنوع معدات الاستكشاف التى ركبت فى طائرتك ؟

— لم أكن أعلم شيئا عن المهمات الموجودة فى طائرتى ، فقد ركبت سرا ، وأظن أن ذلك كان حين اعداد الطائرة للرحلة .

— هل كنت تعلم ، ايها المدعى عليه باورز ، نوع معلومات التجسس التى تستطيع الحصول عليها فى الاتحاد السوفييتى بوساطة الآلات والأجهزة المركبة فى طائرتك ؟ .

— بالتكهن فقط . لم يحدثنى أحد عن ذلك ، ولم أكن أعلم شيئا عن قدرات الاجهزة . كنت أعلم أنها تستخدم لجمع المعلومات ، ولكن أية معلومات وما مقدارها ما لم تكن لدى أية فكرة عنها .

وبعد ذلك ادلى الرجال الأربعة ، الذين شاهدوا هبوط مظلة النجاة

خارج سفرو لوفسك وجردوا «باورز» من سلاحه وسلموه لسلطات الأمن ،
يشهاداتهم وكانوا جميعا يرتدون ثيابا متماثلة - بذلات زرقاء اللون حسنة
الكي مفتوحة عند العنق ، وقمصان بيضاء ، وأحذية سوداء وكانوا جميعا
متحدثين بارعين ، وقد سردوا القصة كأنهم قد كرروها مرات كثيرة من
قبل . وقد اجمعوا على أن «باورز» لم يقاومهم مطلقا وأنه رافقهم في
هدوء تام .

وحين انتهى الشهود من الادلاء بشهاداتهم ، سأل القاضي السجين :
هل لديك أية ملاحظات ؟

- أحب أن أعبر عن تقديري لهؤلاء الرجال جميعا ، للمعونة التي
قدموها لي في ذلك اليوم . فهذه أول فرصة تعرض لي لأشكرهم وأعرب
لهم عن تقديري العظيم .

وانقضى باقى اليوم فى الاستماع الى أقوال الخبراء الشهود الذين
وصفوا بالتفصيل جميع الأجهزة التي وجدت اما مع الطيار أو فى الطائرة
كما اجمعت لجنة من ثلاثة مهندسين عسكريين ، كانت قد فحصت بقايا
الطائرة ، على عدم وجود أية علامات مميزة على الطائرة . ولكن السجين
لم يوافقهم على ذلك .

- هل يمكن وضع العلامات المميزة فوق السطوح المطلية ثم ازالتها
فلا يتأثر الطلاء من ذلك ؟ .

فاجاب الخبير : هذا ممكن نظريا بالطبع .

فقال باورز : اننى ألقى هذا السؤال لأن الطائرة بقيت فى «انكرلك»
عدة شهور ، ولقد كان بكل طائرة رأيها هناك علامات مميزة ، ولذلك
فاننى لا أوافق اطلاقا على أنه لم تكن بهذه الطائرة علامات مميزة .

فقاطعته رئيس المحكمة : من حقا ان توافق أو لاتوافق ، ولكن
الخبراء استنتجوا - على أساس فحص طبقات الطلاء - انه لم تكن بهيا
علامات مميزة ولم تكن هناك مثل هذه العلامات حينما شاهدت الطائرة
بنفسك فى المعرض .

فقال باورز : ان ما أقوله هو أننى واثق من أنه كانت على الطائرة
بعض العلامات المميزة قبل الرحلة . وعلى كل حال فاننى لست خبيرا .

فعاد الخبير يقول : هناك احتمال من ناحية المبدأ .

وقال الخبير الثاني ، وهو الاستاذ جليب ايسستومين ، الخبير في التصوير الفوتوغرافي ، والذي عهد للجنة المكونة من عشرة رجال بفحص آلات التصوير والأفلام التي وجدت بالطائرة «ي-٢» ، انه بفحص الأفلام السلبية أمكن تقدير التقاطها من ارتفاع يتراوح بين ٦٥٠٠٠ و ٦٨٠٠٠ قدم وأنها غطت مساحة من شمال الحدود السوفيتية مع افغانستان الى قرب سفرو لوفسك . وقال هذا الخبير ان الطائرة كانت مزودة بفيلم شديد الحساسية مصمم خصيصا للدراسات الهوائية من ارتفاعات شاعفة وأن هذا الفيلم يتفوق من نواح كثيرة على ذلك الذي يستخدم من مناطيد «التجسس» الامريكية (طراز ١٩٥٦) وقد بينت الصور مراكز السكان والمنشآت الصناعية والعسكرية والمصانع ومحطات الكهرباء والمخازن والمناجم و « مختلف وسائل المواصلات » والبطاريات المضادة للطائرات .

وقال خبير الاسلحة ان من رأيه أن مسدس السجين لم يكن سلاحا رياضيا ولكنه صمم «لإطلاق النار بلا صوت على الاشخاص في حالتى الهجوم والدفاع » وهنا قاطعه «باورز» ليقول ان المسدس أعطى له «للصيد فقط» وأنه أخذه معه لهذا الغرض . وأردف : «من سوء الحظ أن أحدا غيرى لايعلم أننى لا أستطيع أن أقتل شخصا حتى لأنقذ حياتى . . اننى ماكنت لأستطيع ذلك » .

وللمرة الثانية قاطع رئيس الجلسة السجين قائلا : انك تدرك من غير شك أنه من الصعب الصيد على ارتفاع ٦٨٠٠٠ قدم .

فأجاب السجين : نعم ، أعرف ذلك . ولكننى كنت سأستخدم المسدس فى حالة الطوارئ عند الهبوط .

وقال خبير كيميائى انه استخدم الابرة المسمومة فى حقن كلب ، وبعد تسعين ثانية توقف نبضه ، وما لبث أن مات فى غضون ثلاث دقائق وقد أجريت التجربة نفسها على جرد أبيض ، فظهر عليه أثر السم بعد عشرين ثانية ، « وهكذا تبين أن السم فتاك سريع التأثير جدا » .

وكان آخر شهود ذلك اليوم الكولونيل «ايفان زادانوف» المتحدث باسم لجنة من ستة خبراء عسكريين شكلت فى أثناء الفترة السابقة على المحاكمة لدراسة الحرائط والصور التي وجدت فى حطام الطائرة . فقال ان هذه الحرائط والصور لم تدع مجالا للشك فى عقول أعضاء اللجنة فى أن رحلة الطائرة «ي-٢» كانت لاغراض الاستكشاف البحثية . وختم الشاهد شهادته بقوله : لقد التقطت صور الجزء الاكبر من الطريق من

غرب طشقند حتى سفرو لوفسك ، وبالأخص المطارات وأهداف أخرى
معينة التي تعتبر المعلومات الخاصة بها أسراراً عسكرية للاتحاد السوفيتي .
وقال القاضي ، موجهاً الحديث للسجين : أتريد أن تلقى سؤالاً على
هذا الشاهد ، أو : هل لديك أية ملاحظات على اكتشافات اللجنة ؟ .
فأجاب السجين بصوت منخفض وهو خافض الرأس : لا .

-٦-

خصص صباح اليوم الثالث والآخر للمحاكمة للمرافعات .
وقد استغل المدعى العام البدين المناسبة استغلالاً تاماً . فتكلم بصوت
عميق مجرد من العاطفة ، وكان يؤكد أقواله أحياناً بالطرق بقلبه
فوق المكتب وكان يتوقف أحياناً ليخفف جبهته بمنديل أبيض كبير . .
وقال النائب العام ان ايزنهاور ، رئيس الولايات المتحدة ، ونيكسون ،
وكيله ، ووزير الخارجية «هيرتر» أكثر اجراماً من السجن لانهم أدلوا
بتصريحات رسمية ، لم يسبق لها مثيل في تاريخ العلاقات الدولية قالوا
فيها « ان رحلات الطيران العدائية التي قامت بها طائرات التجسس
الأمريكية فوق الأراضي السوفيتية انما نفذت بناء على أوامر الحكومة
والرئيس ايزنهاور شخصياً المباشرة ، وأنها من سياسة الولايات المتحدة
الرسمية المدروسة » . ووراء هذا كله شبح وزير الخارجية السابق المرحوم
جون فوستر دالاس و «دعاة الحرب بالبنتاجون» .

وقال الكولونيل « رودنكو » ان محاكمة الجاسوس الأمريكي الحالية:
الطيار «باورز» تكشف القناع عن جرائم لم ترتكب بمعرفة المدعى عليه
«باورز» فقط ، ولكنها تكشف القناع أيضاً عن الأعمال العدوانية الاجرامية
للدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة ، فهم الملهمون الفعليون والمنظمون
للجرائم البشعة الموجهة ضد سلام الشعوب وأمنها .

واستطرد المدعى العام : لقد تبين مرة أخرى في أثناء هذه المحاكمة
أن قوات الرجعية في الولايات المتحدة لا تبالي بالوسائل التي تستخدمها
في الصراع ضد قوات السلام ، وأنها تظاً بأقدامها القواعد الأولية للقانون
الدولي ، وتعتدى على السيادة القومية للدول الأخرى باتباع سياسة
« حافة الحرب » التي أفلست .

ان هذه الدوائر الرجعية العدوانية تتخذ من كثير من دول حلف شمال الاطلنطي قواعد عسكرية لها ، وتحتفظ دائما بطائرات محملة بالقنابل الذرية والهيدروجينية في الجو ، وتصرح بعزمها على استئناف تجارب الأسلحة الذرية تحت الأرض ، وقد تأمرت مع حكومة «اديناور» الباحثة عن الثأر لأخذ الأسلحة النووية ، وتعارض بإصرار اجراءات نزع السلاح العالمى وتدمير الصواريخ والاسلحة النووية .

ان الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة - اذ تحاول نشر سياسة «حافة الحرب» تسير فى طريق الاستفزاز الخطر ، ولهذا كانت الاغارة العدوانية التى قام بها المدعى عليه «باورز» يوم اول مايو ١٩٦٠ نموذجا خطرا من هذه السياسة .

وبعد ان أسهب النائب العام السوفييتى فى مهاجمة حكومة الولايات المتحدة لأنها لم تعتذر لحروشوف عن حادث الطائرة «ى-٢» وبذلك نسفت مؤتمر القمة ، انتقل للحديث عن الاتهامات الموجهة للسجين التى اعتبرها ثابتة وغير قابلة للنقض من وجهة نظر قانون العقوبات السوفييتى، ومع ذلك فقد استعرض النائب العام الأدلة بالتطويل على حسب ما يقتضيه القانون السوفييتى من ضرورة اثبات الاتهام ضد المتهم حتى ولو اعترف بأنه مذنب . وقال الاتهام ان «باورز» ليس جاسوسا عاديا ولكنه مجرد مدرب تدريبا خاصا ، وهو ليس أداة مسلووبة الارادة فى أيدي «البنجاجون» الامريكى وادارة أبحاث الفضاء الامريكية ، وانما هو مجرم خطر أقدم على فعلته لدوافع وضيعة مرتزقة . تلك هى حقيقة المدعى عليه «باورز» ولو كان سادته قد شنوا حربا عالمية جديدة لكان الرجال من امثال «باورز» هذا ، هم الاكثر استعدادا لان يكونوا اول من يلقي القنابل الذرية والايديروجينية على أرض السلام ، كما فعل رجال مثل «باورز» القوا اول قنابل ذرية على المواطنين المسالمين فى مدينتى «هيروشيما» و «ناجازاكي» العاجزتين .

اقتربت ساعة استماع المجرم لحكم المحكمة ، وأبدى النائب العام «رودنكو» أمله فى أن يكون هذا الحكم « تحذيرا صارما» لجميع من يتبعون سياسة الحرب الباردة والتجسس العدوانية ، ولجميع من يحاولون - مثل باورز - نسف مبادئ السلام والاعتداء على شرف الاتحاد السوفييتى وكرامته .

وختم النائب العام مرافعته قائلا : ايها الرفاق القضاة : ان جميع

الملايسات تدعوني لمطالبة المحكمة بفرض أقصى عقوبة على المدعى عليه
« باورز » .

ثم توقف بحركة مسرحية حينما رأى المتهم يتوقف بدوره عن العبث
بقلمه وينثنى الى المترجم ويفضى اليه ببضع كلمات ، وفى الطرف الآخر
من قاعة المحكمة قبضت «بربارا باورز» بعنف على السور الحديدى الموجود
امامها .

واستطرد الكولونيل «رودنكو» : ولكنى - حياى الندم الذى أبداه
المتهم أمام المحكمة السوفيتية - بسبب الجريمة التى ارتكبها - لا اطلب
بإعدامه ، وانما اطلب من المحكمة أن تحكم عليه بحرمانه من الحرية خمسة
عشر عاما .

وبعد استراحة قصيرة استأنفت المحكمة جلستها لسماع مرافعة
الدفاع .

وبدأ « جرنيف » مرافعته بلهجة هادئة ، فأشار « الى الموقف
الصعب المعقد» الذى وجد نفسه فيه بوصفه محاميا عن المتهم ، وأكد أن
واجبه المدنى المهنى يحتم عليه تولى هذه المهمة نظرا لان القانون السوفيتى
يمنح كل متهم حق الحصول على المساعدة القانونية ، وقال ان هذه المهمة
تنطوى على قيام الدفاع بتقديم كل ما قد يكون فى مصلحة المتهم للمحكمة
لتنظر فيه . ولما كان « باورز » قد اعترف بأنه مذنب « فان الدفاع لن
يهاجم الحقائق ، ولا الاتهامات الموجهة اليه ، ولا وجهة نظر الاتهام فى
القضية .. وقال « ليس هناك أدنى شك فى أن هيئة قضائية ممتازة
كهيتكم قد توافرت لها التجارب والحكمة التى تمكنها من التفرقة بين
الحقيقة والزيف ، وهذا هو ما يجعلنى أتوقع بكل ثقة قبولكم للدلة
التي قدمها باورز لكم بوصفها أدلة صحيحة » .

وبدأ الدفاع يتدفق فى مرافعته مؤكدا الاهمية الدولية للقضية ..
قال ايها الرفاق القضاة : لقد ارتكب « باورز » جريمة رهيبة ضد
الاتحاد السوفيتى وكان من الواجب أن ينضم اليه سادته ، غير المنظورين
فى قفص الاتهام وعلى رأسهم « آلان دالاس » والعسكريون
الامريكيون وجميع قوات العدوان المفزعة التى تحاول اشعال نار حرب
عالمية أخرى ... ومع ان « باورز » هو المرتكب للجريمة ، الا أنه ليس
المجرم الاساسى بغض النظر عن ان القضية سميت باسمه اليوم .

ومع أن « جرنيف » اعترف بأن موكله ارتكب الجريمة مسوقا الى ذلك بأوامر رؤسائه ، الا انه لم يكن على اتصال بأحد من هؤلاء الرؤساء غير الكولونيل « شيلتون » .

واستطرد الدفاع قائلا : ان هؤلاء الرؤساء لم يصارحوا « باورز » بالخطط التي رسموها حتى حينما أرسلوه لارتكاب الجريمة ، بل انهم خدعوه عامدين حينما أكدوا له أن رحلته فوق الاراضي السوفيتية مأمونة أمانا تاما ولا تنطوى على أية مجازفة . وطلب الدفاع من المحكمة أن تضع في اعتبارها - حين تقدير العقوبة - مخالفة المتهم لأمر الكولونيل « شيلتون » بتدمير الطائرة حين اضطراره للهبوط ، والافتحار بالابرة المسمومة التي قدمها له الكولونيل نفسه ، وطلب الدفاع من المحكمة أيضا أن تقدر الشهادة الامينة الصريحة التي أدلى بها « باورز » في أثناء التحقيقات السابقة على المحاكمة . وختم مرافعته قائلا : لست أعلم ان كان « باورز » قد أفضى بالحقيقة كلها أو انه لم يفض بها الا أنه لا شك في ان ما قاله صحيح .

لقد كانت الصورة التي حاول هذا المحامي البارع أن يرسمها في اذهان سامعيه ، صورة طيار شاب ساذج أقحم في « مفامرة سياسية خطيرة واسعة النطاق » بسبب أحوال الحياة في أمريكا الشمالية « بما فيها من البطالة الواسعة النطاق والأخلاق البرجوازية السائدة هناك ، والتي تتميز بالفردية القوية والجشع » . لقد وقال الدفاع ان عبارة « الدولار القوي » هي التي أفسدت موكله .

واختتم الدفاع مرافعته قائلا : أيها الرفاق القضاة : « ان بلادنا قوية على نحو لم يسبق له مثيل في تاريخها ، ولن نستطيع دعاء الحرب سواء أكانوا أمريكيين أم غير أمريكيين أو الاثنان معا أن يذلوا أعناقنا أو يجعلونا نحني رؤوسنا أمامهم وهذا هو السبب في مطالبتي لكم باصدار حكم رحيم عن ذلك الذي طالب به النائب العام . ولسوف يضيف حكمكم مثلاً جديداً . الى الامثلة التي لا حصر لها على انسانية العدالة السوفيتية ، ويوضح التباين الكبير بين الموقف الذي وقفه سادة « باورز » : المخابرات المركزية والقوى الرجعية الحاكمة في الولايات المتحدة ، التي ألقت به الى موتة معينة ورغبت في موته »

واستغرقت مرافعة المحامي جرنيف ثلاثة أرباع الساعة ، وقد أحدثت مرافعته أثرا عميقا في المستمعين جميعا . وعلى أثر ذلك قال

القاضى للمتهم ان الكلمة الاخيرة أصبحت له ، وحينئذ نهض « باورز »
وقرأ التصريح الموجز التالى الذى كان قد اعدده من قبل :

« استمعتم الى جميع أدلة القضية ، ولا ريب فى انكم قررتم
العقوبة التى ستوقع على . ولقد أدركت اننى ارتكبت جريمة خطيرة .
وأدرك أنه لا بد من أن أعاقب عليها . »

اننى أرجو المحكمة أن تزن جميع الأدلة ، وألا تنظر بعين الاعتبار
الى ارتكابى جريمة فحسب . وانما أيضا الى الظروف التى دفعتنى
لذلك .

وأرجو المحكمة أيضا أن تدخل فى حسابها أن أية معلومات سرية
لم تصل الى غايتها . فقد وقعت كلها فى أيدي السلطات السوفيتية .

انى أعلم أن الشعب السوفيتى يعتبرنى عدوا ، وفى استطاعتى
أن أفهم ذلك ، ولكننى أحب أن أوكد أننى لا أشعر ، ولم أشعر ، يوما
بأية عداوة للشعب السوفيتى .

اننى اناشد المحكمة الا تحكم على كعدو ، ولكن كمخلوق آدمى
ليس عدوا للشعب الروسى ، ولم يقدم لأية محاكمة ، ويشعر بندم
شديد وأسف عميق لما فعله . . وشكرا .

ورفعت الجلسة للمداولة . . .

وعادت هيئة المحكمة للاجتماع بعد أربع ساعات وأربعين دقيقة .
ونطق الجنرال بويسوجلبسكى بالحكم . وطبقا للاجراءات السوفيتية
نهض جميع من فى المحكمة فى حين كان رئيس المحكمة يقرأ الحكم من ورقة
أمامه :

بعد استعراض الادلة بايجاز ، والطعن فى الولايات المتحدة بلغة
أكثر اعتدالا من اللغة التى استخدمها الكولونيل رودنكو ، أعلن القاضى
أن باورز ارتكب جريمة خطيرة « وفى رأى المحكمة انه ثبت أن الطائرة
« ى - ٢ » ملك لسلاح الطيران الأمريكى ، وأن « باورز » عميل لادارة
ابحاث القضاء الامريكية وقد اعترف « باورز » نفسه بأنه أدرك ، حينما
أخترق المجال الجوى السوفيتى ، أنه اعتدى على السيادة القومية
لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، وأنه طار فوق أراضيها
فى مهمة تجسس غايتها الانسانية معرفة وتحديد أماكن انطلاق الصواريخ

.. وقد اعتبرت المحكمة غزو القضاء « عدوانا إجراميا على مبدأ القانون الدولي المقبول من الجميع » على حين أن الاعتداء على هذا المبدأ المقدس يخلق تهديدا مباشرا بوقوع نزاع عسكري « وأن الرحلة دبرت عمدا لنسف مؤتمر القمة بباريس ، وزيادة حدة التوتر الدولي ، وزيادة تآرجح الحرب الباردة ، وفي هذا كانت أمريكا ، المجرمة الرئيسية ، بعاونها في اجرامها كل من تركيا وايران والباكستان والنرويج نظرا لانه لم يكن من المستطاع القيام بهذه الرحلة من غير أن تقدم هذه الدول قواعد لها لهذا الغرض » .

واختتم القاضي قراءته قائلا : وفي الوقت ذاته وزنت المحكمة ظروف القضية ، ونظرت بعين الاعتبار لاعتراف « باورز » بذنبه باخلاص وما أبداه من ندم مخلص ، وما اتصفت به المبادئ الاشتراكية من انسانية ، ولذلك حكمت المحكمت على « فرانسيس جارى باورز » بالحرمان من الحرية عشر سنوات على أن يقضى السنوات الثلاث الاولى منها في السجن «

وقوبل قرار المحكمة بتصفيق استمر دقيقتين . وعلى اثر ذلك اقتيد السجين الى غرفة مجاورة حيث سمح لأبويه وزوجته بمقابلته لأول مرة منذ وقع في الاسر .

وفيما بعد ، وفي اليوم نفسه أصدر السكرتير الصحفي للبيت الابيض بواشنطن تصريحاً جاء فيه أن الرئيس أيزنهاور ، الذي قيل انه تتبع المحاكمة باهتمام ، يستنكر الدعاية السوفيتية التي أحاطت بموضوع الطائرة « ي - ٢ » وقسوة الحكم الذي صدر ضد باورز .

الدومينيكيون وأسرة داروموند

- ١ -

يقع طريق نابليون ، وطريق وادى نهر « يورانس » أسفل قرية البايين باللور في جنوب فرنسا ، وتوجد بين الطريقين والنهر مزرعة يطلق عليها « لاجرانديير » ولكنها أبعد ما تكون عن الضيعة الكبيرة التي يوحى بها اسمها . فبيت المزرعة نفسه بناء أصفر مقبض ، والارض التابعة له شريط صغير مجاور للنهر به أشجار زيتون وبرسيم ، والآخر يستخدم كعلف لحيوانات المزرعة . ويوجد وراء هذا الشريط الضيق في الارض ، خط السكة الحديد ، والنهر الذى توجد فوقه قنطرة تبعد ميلا عن المزرعة . وهناك ممر بين القنطرة وطريق نابليون ، في حين انه على مسافة ياردات قليلة من اتصال الارض بالطريق الرئيسى توجد شجرة توت . وعند هذه النقطة بالذات كانت اسرة انجليزية من ثلاثة اشخاص تقوم برحلة سياحية في فرنسا بسيارتها من طراز « هيلمان » في صيف سنة ١٩٥٢ ، وقررت الاسرة أن تضرب مخيمها هناك في ليلة ٤ من أغسطس ، ولقد أراد القدر أن تصبح هذه الليلة قاتلة بالنسبة للسائحين الانجليز ولسكان المزرعة القريبة جميعا .

وكان الزائرون : السير جاك ، والليدى درموند ووحيدتهما اليزابيث وكانت فى العاشرة من عمرها .

وكان السير « جاك » حينذاك فى الواحدة والستين من العمر ، وكان عالما ممتازا فى علم الأغذية وأستاذا سابقا للكيمياء العضوية بجامعة لندن ، ولقد أصبح فى أثناء الحرب كبير خبراء التغذية فى الحكومة ، وأدى اعمالا لا تقدر بثمن فى تكوين اعظم الاطعمة تغذية فى وقت الحرب

من دائرة الاطعمة الضيقة التي كانت موجودة وقتذاك ، كما منح « نيشان » الفروسية لخدماته الجليلة ، وكانت زوجته من المهتمات أيضا بشئون التغذية ، وقبل نشوب الحرب بقليل وضعت مع زوجها كتابا في الموضوع بعنوان « طعام الرجل الانجليزى » الذى أثبت انهما يقدران أهمية الطعام المعد اعدادا علميا حسنا . ولقد صرح السير « جاك » ذات مرة بأن بريطانيا تنتج أحسن الخضراوات فى العالم ولكنها تطهوه اسوأ طهو .

وبعد الحرب عين مديرا للابحاث العلمية بمعامل «بوتس» الكيمائية فرحل مع أسرته للإقامة بالقرب من توتنجهام ، وفى اوائل عام ١٩٥٢ اصيب بمرض خطير ، فلما شفى منه قرر قضاء فترة النقاهة فى فرنسا، وتقدم صديق قديم لاسير «جاك» هو الاستاذ «جاي ماريان» الذى ابتاع لنفسه فيلا ، يقضى الصيف فيها بفيلفرانش ، بدعوة لأسرة درموند للإقامة عنده ، فعبرت الاسرة القنال يوم ٢٧ من يوليو وانطلقت جنوبا عبر ريمس ، واكس لوبان ، وتوقفت فى «دان» لتناول الطعام ، وحينئذ رأت ملصقة فى الفندق تعلن أن مبارزة للثيران ستحدث يوم الاثنين التالى (٤ من اغسطس) كجزء من المهرجان السنوى ، وابتدت « اليزابيث » الصغيرة لهفة كبيرة على رؤية المبارزة ووافق ابواها ، وبعد ان قضوا عطلة آخر الاسبوع مع اصدقائهم فى فيلفرانش عادوا الى «دان» وبعد المبارزة بدءوا رحلتهم عائدين الى فيلفرانش . وكان الوقت قد تأخر لوصولهم الى غايتهم قبل هبوط الظلام ، ولذلك قرروا التوقف وضرب خيمتهم بعد مغادرتهم «دان» بوقت قصير . وكان المكان الذى وقع عليه اختيارهم رقعة صغيرة من الارض التى توجد بها شجرة التوت المؤدية الى القنطرة القريبة من مزوعة لاجراند تير .

وأخرجوا حقائب نومهم من السيارة ، كما أخرجوا طعاما لعشائهم ، وبينما كانت الاسرة تعد طعامها ، اذ مر بها كهل معه كلب وقطيع من الأغنام ، وكان هذا الكهل رأس الاسرة التى تقيم بيت المزرعة القريب واسمه «جاستون دومينيكي» وفى اثناء مروره تقدمت الصغيرة (اليزابيث) وربتت ظهر عنزة ، ولكنها لم تخاطب الكهل . وبعد أن انتهت أسرة درموند من تناول عشائها وتهيأت للنوم هبط الظلام ، وكانت ليلة بلا قمر فى بدايتها . ولكن القمر مالبث أن طلع فملأ الكون ضوءا وبهاء .

من المحتمل ألا يتمكن أحد من تبويب الاحداث التى وقعت فى الثلاث او الأربع الساعات التالية تبويبا دقيقا . والمحقق انه فى نحو الساعة

الواحدة صباحا ، دوت في الفضاء أصوات عدة طلقات نارية تردد في الوادي صداها .

وبعد الساعة السادسة صباحا بقليل ، كان عامل بأحد المصانع القريبة من سان اوبان ، اسمه «جان - ماري اوليفيه» عائدا الى منزله بدراجته البخارية بعد ان ادى نوبته الليلية ، فاستوقفه رجل كان يلوح بيديه في خبل ، وكان هذا الرجل يقف قريبا من المكان الذي نامت فيه أسرة درموند ، وصاح الرجل « لقد عثرت على جثة » وسمعت بعض الطلقات » .

وبعد سكتة قصيرة أردف : من الجائز أن أشخاصا آخرين قتلوا ، اذهب وأبلغ الشرطة ..

وتبين أن الشخص الذي تطوع بهذه المعلومات هو جوستاف دومينيكي ابن جاستون العجوز ، ولقيت اثتغاثته استجابة سريعة ، اذ يادر راكب الدراجة بالاسراع بالذهاب الى اقرب مركز للشرطة وكان في أورسون على مسافة أميال قليلة على الجانب الآخر من الوادي ، وبعد قرابة ساعة وصل شرطيان الى لاجرانديير ، حيث قابلهما جوستاف الذي مضى بهما أولا الى جثة ملقاة بجوار النهر . وكانت جثة اليزابيث درموند ... كانت الفتاة الصغيرة ممددة على ظهرها وبدا كأنها نائمة لولا الجرحان العميقان الموجودان في جبهتها والدم الذي نزف من أنفها وأذنيها وكانت ميتة كأبويها . فقد عثر على جثة الليدي درموند تحت فطاء بجوار سرير المعسكر بالقرب من السيارة ، في حين اكتشفت جثة السير جاك على الجانب الآخر من الطريق الرئيسي عند قاعدة عمود كهرباء . وكانت جثته مخبوءة جزئيا تحت فراش آخر خيل كأنه ألقى فوق الجثة ... كان الاب والام قتيلين بالرصاص ، في حين هشم رأس اليزابيث درموند بأداة ثقيلة .

كان يبدو أنه ليس هناك دافع لهذه الجريمة البشعة التي راح ضحيتها ثلاثة من السائحين البريطانيين الأبرياء ، ومع ان محتويات السيارة وملابس الضحايا كانت مبعثرة ، الا أن نقود الأسرة وثفائسها لم تمس . وعثر الشرطيان على بطاقة السير «جاك» في إحدى الحقائب فعرفا منها شخصيته وعنوانه ، وفي التو اتصلا تليفونيا بشرطة النجدة في مرسيليا وبالقنصلية البريطانية في نيس .. وفي ساعة متأخرة من النهار وصل المفتش « ادمون سايبيل » ومساعدوه ، الى لور .

وفي تلك الاثناء كان عمدة القرية قد طلب من الطبيب المحلي في أوريسون فحص الجثث ، فقال انه يعتقد أن القاتل أطلق الرصاص أولا على السير جاك درموند . الذي قتل بطلقين ناريتين اخترق احدهما كبده في اثناء ترنحه عبر الطريق من موقع المخيم . أما الليدى درموند فيحتمل انها قتلت في اثناء نومها ، بثلاث رصاصات اطلقت في منطقة القلب ، ومن ناحية أخرى لم يعثر في جثة اليزابيث درموند على آثار طلقات نارية ، باستثناء خدش في احدى الاذنين ، وعلى عكس جثتى أبويها : لم تكن جثتها متصلة مما يدل على أن موتها حدث بعد موت أبويها بفترة من الوقت .

ونقلت الجثث الى المشرحة بعد الظهر ، ولذلك لم يرها مفتش الشرطة في مواقعها الاصلية حين وصوله من مرسيليا . صحيح أن الشرطيين بحثا عن آثار أقدام ، إلا أنه يبدو أنهما لم يبذلا جهدا لابعاد المتطفلين عن المنطقة ولذلك اختلطت آثار أقدامهم بآثار أقدام المجرم . بيد انه على الرغم من هذه العراقيل الاولى كان المفتش « سايبيل » واثقا من أن القاتل سوف يكتشف سريعا ، وسرعان ما حصل المحققون على أدلة في شكل طلقين ناريتين فارغين وآخرين غير مستعملين عثر عليهما فوق الأرض بالقرب من مسرح الجريمة ، ورأى أحد مساعدي المفتش قطعة من الخشب طافية على سطح النهر تبين أنها جزء من سلاح ناري ، وأعقب ذلك اكتشاف السلاح الذي تنتمي اليه قطعة الخشب . وكانت قرابينة من سلاح الجيش الامريكى أمكن استخراجها من قاع النهر . فأدخل فيها الطلقان اللذان لم يستخدموا وتبين أنهما من طلقاتها . وأدى فحص السلاح الى أن «دبشك» القرابينة قد تهشم وأنه أصلح بدون اتقان بسلك حديدى وبلوحة رقم دراجة من الالومنيوم .

واخذ رجال الشرطة في استجواب أفراد أسرة دومينيكي المقيمين في المزرعة فأعاد جوستاف عليهم القصة التي سبق أن رواها للشرطيين عن كيفية اكتشافه الجريمة . قال انه سبق أن رأى أسرة درموند في نحو الساعة الثامنة من مساء اليوم السابق حينما دعى لمشاهدة انهيار حدث في الارض عند خط السكة الحديد ، ولاحظ أن الاسرة تستعد لقضاء الليل . وأضاف انه دهش لان هؤلاء السائحين لم يهتموا باستبدال ثيابهم في مكان قريب جدا من الطريق العام . وبعد أن أبلغ نبأ انهيار الارض للسلطات عاد الى المزرعة وآوى الى فراشه وفي نحو الساعة الحادية عشرة سمع صوت دراجة بخارية توقفت عند المزرعة وصوت شخص يتحدث الى أبيه من خلال الباب . فانصرف للنوم ، ولكنه استيقظ

في نحو الساعة الواحدة حينما سمع بضع طلقات نارية . وكان قد لاحظ الوقت لأن طفله وزوجته استيقظا بدورهما . واضاءت زوجته «ايفيت» النور لتعطى الطفل زجاجة . ومضى الشاهد يقول ان الطلقات أفزعته ولكنه لم يجرؤ على النظر من النافذة ، كما انه لم يستطع النوم ثانية . وفي نحو الساعة الخامسة والنصف صباحا استيقظ من نومه كعادته ومضى في الطريق ليرى ان كان انهيار الارض قد زاد في اثناء الليل او انه لم يزد . وبعد أن قطع جزءا من المسافة تولاه الفزع حينما رأى جثة الفتاة الصغيرة ملقاة بالقرب من حافة جسر السكة الحديد . فركض عائدا الى الطريق للاستغاثة . وكانت أول وسيلة نقل مرت به سيارة تحمل أرقاما هولندية فتركها تمضي ، وبعد ذلك بدقائق وصل المسيو اوليفيه فاستوقفه وطلب اليه البحث عن رجال الشرطة ثم عاد الى المزرعة وانتظر وصول الشرطة .

وكانت قصة جاستون العجوز ، والد جوستاف ، مشابهة الى حد كبير لقصة ابنه . قال أيضا . انه رأى أسرة درموند تستعد لقضاء الليل حين عودته بأغنامه الى المزرعة ، وقد ذهب بدوره مبكرا الى فراشه ، ولكنه استيقظ على صوت دراجة بخارية وراكبها الذي قال له شيئا باللغة الايطالية ، ولكنه لم يفهم ما قال وحينئذ انصرف الزائر . وقال جاستون انه عاد الى فراشه بعد ذلك ولكنه استيقظ ثانية على صوت طلقات نارية ظن أن اللصوص أطلقوها . وفي نحو الساعة الرابعة استيقظ وقاد قطيعه الى مرعاه على الجانب الآخر من المزرعة بعيدا عن مكان مخيم أسرة درموند ، وأضاف الشاهد أنه لم يعرف شيئا عن جرائم القتل الا بعد ان عاد الى المزرعة في الصباح وسمع الانباء من جوستاف .

ولقد صدق المحققون قصة جاستون ، التي رواها حين سيره مع «مفتش الشرطة في اتجاه موضع الجرائم ، لان جاستون كان معروفا بحسن سمعته في المنطقة وبخاصة انه سبق ان عاون السلطات في القبض على مجرم خطر من غير معونة . وفي تلك الاثناء وصل جاستون والمفتش الى شجرة التوت - وهنا نطق جاستون بكلمة ، في لحظة عدم احتراس ، ادهشت المفتش أعظم دهشة . قال «هنا سقطت السيدة » . ثم صاح فجأة « انها لم تتألم » وبادر يصحح نفسه فقال : « اعتقد أنها لم تتألم بالنسبة لما حل بها » .

لقد كان تأخر المفتش « سايبيل » في الوصول الى « لور » فرصة مواتية لأسرة دومينيكي وأصدقائها للتحديث عن الموقف فيما بينهم .

وسرعان ما اقتنع المفتش بأنهم يعرفون عن جريمة قتل «لاجراند تير» أكثر مما يصرحون به . . وقال المفتش للصحفيين الذين كانوا يطالبونه بتصريح : ان القاتل بيننا ، وهو يراقبنا الآن . . اتنا نعرف وجهه ولكننا لانعرف اسمه .

- ٢ -

كان جاستون دومينيكي ، عميد الاسرة ، مزارعا كهلا صلب العود اقتصد نقودا جعلته يشتري مزرعة «لاجراند تير» قبل ذلك بعشرين عاما ولكنه لم يعرف له ابا نظرا لانه كان ابن سفاح ، اما امه التي حمل اسمها فكانت من اصل بيدمونتى واشتغلت خادمة فى قصر العدالة فى «دان» حيث ولد ، وحيث شاء القدر أن يحاكم ، وهو متهم بالقتل ، بعد مولده بسبعة وسبعين عاما . وكانت هيئة الكهل تدل على الكبرياء بسبب الشيب الذى اشتعل به رأسه وشاربه ، ولكن خطوط فمه كانت رقيقة وصلبة ، فى حين تجسمت فى عينيه نظرات الشك والارتياب . وكان جاستون رجلا سريع الغضب ، ولهذا كان يعامل أسرته بتهور وطفيان . أما زوجته «مارى» التى كان يطلق عليها «السرونيه العجوز» والتى أنجبت له تسعة أطفال فكانت كهلة محطمة تعودت طاعة زوجها من غير سؤال .

وكان جوستاف هو الوحيد من ابنائهما الذى عاش معهما ومعه زوجته فى المزرعة . وكان على العكس من ابيه الذى نشأ مكافحا صلب المراس فقد كان كسولا مهملا ضعيف الخلق والشخصية ، خاضعا خضوعا تاما لسيطرة زوجته القوية الشخصية ، كما كان عاجزا دائما عن قول الصدق . أما الابن الاكبر كلوفيس ، فكان يشتغل (عامل فلنكات) فى السكك الحديدية ، وكانت لهما ابنة أخرى متزوجة من عامل فى السكك الحديدية ايضا اسمه كيلوه وابنة أخرى «مدام برين» متزوجة من مزارع ولها ابن اسمه روجر يعمل صبي قصاب .

وفى الايام والاسابيع التى اعتقت هذه الجريمة المروعة ، استجوب المفتش «سايبيل» ورجاله جميع أفراد أسرة دومينيكي ومعارفهم ، علاوة على عدد الذين تقدموا من تلقاء أنفسهم محاولين القاء بعض الضوء على المسألة ، ومن بين هؤلاء رجل أعمال يونانى من مرسيليا اسمه «بانايتو» ادعى أنه كان شاهدا رؤية لجريمة القتل الثلاثية . وقد قال هذا الشاهد انه كان يمر بسيارته من أمام «لور» فى نحو الساعة الواحدة

والدقيقة العاشرة صباحا حينما حدث خلل بمصباحى سيارته الاماميين فاقف السيارة لاصلاح الخلل على مسافة تبلغ نحو مائتى ياردة من مزروعة اسرة دومينيكي ، وفجأة سمع صياحا وسلسلة من الطلقات النارية ثم رأى رجلا يركض عبر الطريق وهو يضم احدى يديه الى صدره ، فى حين تعقبه رجل آخر يحمل شيئا فى يده اليسرى . وكان الرجل الثانى يرتدى قميصا قصير الأكمام وسراويل قاتمة اللون ، ولكن «بانايوتو» لم يستطع رؤيته بوضوح كاف للتعرف عليه ، ولكن مارآه افزعه الى درجة انه لم ينفق أى وقت فى المنطقة وانما ركب سيارته ومضى بها فى الطريق بأسرع ما أمكنه ومن غير أنوار .

وكان الشاهد الثانى ، الذى اثبتت شهادته أهميتها الكبرى للشرطة ، رجلا مرتفع الصوت اسمه « بول ميليه » كان يشتغل (عامل فلنكات) مثل كلوفيس دومينيكي ، وكان شخصا قوى النفوذ فى المنطقة لانه كان شيوعيا بارزا وكان واحدا من قادة (الماكويزز) فى اثناء فترة المقاومة ومازال يحتفظ بمدفعين (استتن) فى مطبخ منزله . ولقد قال للشرطة انه بعد حدوث الجريمة بوقت غير طويل ، افضى جوستاف دومينيكي باعتراف هام جدا امامه وامام أفراد من اسرة دومينيكي ، فقد قال ان جوستاف قال : « ان ذراع الفتاة الصغيرة الأيسر تحرك وانا انظر اليها . . كانت لا تزال تتأوه وكان صوت الحشرة لا يزال ينبعث من عنقها » .

وكان هذا التصريح قاطعا بالنسبة لما ارتاب المفتش «ساييل» فيه منذ البداية ، وذلك ان اليزابيث درموند الصغيرة لم تمت فى الوقت الذى مات فيه ابواها ، ولكنها ماتت بعدهما بوقت طويل ، أى بعدة ساعات ، كما دل على ان جوستاف دومينيكي لم يفض فى اثناء أقواله الاولى بكل ما كان يعرفه عن هذه المأساة المؤلمة .

ومن جهة اخرى كانت هذه الاقوال تتعارض مع ما قاله جاستون لكهل الذى اوقع نفسه فى تناقض جديد حينما قال : « لقد رايت بنفسى جثة الطفلة فى نحو الساعة السادسة صباحا . وكانت جد متصلبة ولا بد انها كانت قد ماتت قبل ذلك بساعات كثيرة » . . فهذا القول لا يتلاءم مع قصة جاستون السابقة التى ادعى فيها انه استيقظ صباح يوم الجريمة وذهب بقطيع اغنامه فى الاتجاه المضاد لموقع مخيم اسرة درموند . الا انه - حينما نفتت الشرطة نظره لهذا التباين - تدخلت زوجة ابنة «ايفيت» فى الأمر قائلة « ينبغى الا تعيروا أهمية كبرى لما

يقوله هذا الكهل - لان ذاكرته مضطربة . ففي الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم كان يعنى بأغنامه ، ولم ير جثة الفتاة الصغيرة الا بعد ذلك بوقت طويل . »

وكلما كان رجال الشرطة يزدون من استجواب افراد اسرة دومينيكي كان يزيد التناقض والتضارب في اقوالهم . فطبقا لما قاله « أوليفيه » راكب الدراجة البخارية الذي استوقفه جوستاف دومينيكي عند مسرح الجريمة - فقد برز جوستاف من خلف سيارة اسرة درموند مباشرة ، ولهذا كان من المستحيل الا يرى جثتي الأبوين من هذا المكان ومع ذلك فقد قال جوستاف اول الأمر انه رأى جثة اليزابيث فقط ، وحينما ووجه بهذا التناقض صحح جوستاف اقواله الاصلية قائلا : « لقد تذكرت الآن أننى - بعد ان رأيت جثة الفتاة الصغيرة - أدركت ان الشخصين الانجليزيين قد قتلوا أيضا ، وهذا هو سبب فزعى وسبب عودتى الى المزرعة بعد مقابلة أوليفيه ، وانتظاري بها حتى وصل رجال الشرطة . . لقد جعلنى الفزع ، الذى ركبنى بسبب ما رأيت ، أشك فى سلامة عقلى ، اذ اضطرب كل شئ فى ذهنى وانتابنى الارتباك حتى مرضت فعلا » .

وكان الاخطر من ذلك قول ميليه ان اليزابيث درموند كانت على قيد الحياة حينما عثر جوستاف عليها ، واذا اشتد ضغط الشرطة عليه اعترف جوستاف بصحة هذا القول فى حضور « ميليه » بعد أن أنكره مرات قبل ذلك وكان هذا الاعتراف مبررا لاعتقال السلطات لجوستاف واتهامه « بأن تقاعس عن مديد المعونة لشخص معرض لخطر الموت » .

وقدم جوستاف دومينيكي للمحاكمة عن هذا الاتهام فى « دان » ولم يستدع الاتهام والدفاع شهودا . أما القاضى فقال « يكفينى اضطراب جوستاف نفسه » .

وبدا جوستاف كلامه قائلا : انه ذهب لرؤية انهيار خط السكة الحديد فى الساعة الخامسة من صباح يوم ٥ من أغسطس « وحينذاك رأيت جثة الفتاة الصغيرة . . وحركت ذراعها » .

فسأله القاضى : اى ذراع ؟

- اليسرى . . وخيل الى أنها تأوهت أيضا .

- وماذا فعلت حينئذ ؟

– ناديت راكب الدراجة البخارية « أوليفيه » وطلبت منه أن يذهب للبحث عن رجال الشرطة .

– ماذا قلت له بالضبط ؟

– قلت له انه توجد جثة على ضفة النهر .

– ولكنك قلت ان الطفلة كانت تتحرك .. والجثة لا تتحرك كما تعلم ؟

فبدأ الاضطراب على وجه جوستاف ، وغمغم : لم أكن اعلم ...
وتوقف عن الكلام . فسأله القاضي :

– كان عليك حينذاك أن تبعث في طلب طبيب .

– لم أدر ذلك .

فحدج القاضي جوستاف بنظرة تنطوي على الصرامة والفضيحة وقال له :

– ألسنت رجلا ؟ انك في الثالثة والثلاثين من عمرك ولا تبدر عليك أية علامة على العته ، ومع ذلك فانك لم تفعل شيئا مطلقا من أجل الطفلة المتعسة . بل انك لم تستدع لها طبيبا ؟

فقال جوستاف وعلى شفتيه ظل ابتسامة : كلا ، ولكني أرسلت في استدعاء الشرطة .

وأردف القاضي : ولم تفكر أمك وزوجتك في استدعاء الطبيب مع أن لكل منهما أطفالا ؟

فأجاب جوستاف بصفاقة : لا يا سيدي الرئيس !

وهنا تدخل وكيل النيابة لتأييد اسئلة القاضي .

قال للمتهم : لقد اعترفت بأنك في ليلة ٤ – ٥ من أغسطس – سمعت بضغ طلقات نارية ، من الواضح انها صدرت من بندقية صيد ، وأنك لم تحاول معرفة ماذا كان يحدث .

فأجاب جوستاف بصوت منخفض : نعم .

– واعترفت أيضا بأنك قلت لزوجتك ان شيئا مالا بد قد حدث

للأنجليز ، الذين رأيتهم يسكرون حين مجيئك في الليلة السابقة ، ثم استسلمت للنوم بعد ذلك ؟

فعاد جوستاف يقول : نعم .

وهنا قال محامى المتهم : ان القانون الذى يحاكم موكله طبقا لتصوره أصدرته حكومة فيشى لارغام المواطنين الفرنسيين على مساعدة الالمان الذين كانوا يتعرضون لهجوم رجال المقاومة ، ولم يقصد به اطلاقا ان يطبق على حالات من أى نوع آخر . وعلى أية حال : لماذا لم يوجه الاتهام نفسه الى رجل الاعمال اليونانى « بانايوتو » الذى ادعى انه كان يمر بمسرح الجريمة فى الوقت الذى كانت هذه الجريمة ترتكب فيه ؟

وحكمت المحكمة على جوستاف بالسجن شهرين ودفع مبلغ صغير من مصاريف المحاكمة . وقد فسر اعتدال الحكم النسبى رسميا بأنه كان نتيجة نظافة سجل المتهم . والظروف الأخرى التى أحاطت باتهامه . وايدت محكمة الاستئناف الحكم وكان معنى ذلك الافراج فورا عن جوستاف ، لأنه كان قد قضى شهرين فى السجن .

- ٣ -

ومر نحو عام قبل ان تحدث تطورات جديدة فى القضية . ففي يوم ١٤ من نوفمبر ١٩٥٣ أفضى بتصريح مثير جدا . وكان هذا التصريح ذروة سلسلة من الأحداث بدأت بتتبع شهاد جديد هام . وكان هذا الشاهد تاجرا متجولا اسمه « جاك ريشار » صرح بأنه مر بمسرح الجريمة فى نحو الساعة السابعة صباح يوم ٥ من أغسطس ورأى سيدة ملقاة على الأرض ومفطاة (ببطانية) بجوار السيارة ، فظن ان أحد الرحالة البريطانيين كان نائما هناك ، فمضى فى طريقه . ومع ذلك ، فحينما اقبل الشرطيان من أوريسون ، كانت جثة الليدى درموند ممددة بزاوية بالنسبة للسيارة ، ولذلك فمن الواضح أن شخصا كان هناك فى تلك الاثناء وحرك الجثة .

ودفع هذا التطور المفتش « سايل » لتجديد جهوده والبدء بسلسلة جديدة من الاستجابات « والمواجهات » ولقد قال « روجر بيرين » صبرى القصاب وابن أخت جوستاف للشرطة انه رأى فى ليلة

الجريمة وقبل حدوثها ، الليدى درموند واليزابيث تحضران الى بيت المزرعة ومعهما دلو وطلبتا ماء . وفي ذلك الوقت كان افراد اسرة دومينيكي قد انكروا انكارا تاما انه لم يحدث بينهم وبين الاسرة المقتولة اى اتصال .

ثم ادلى جوستاف بعد ذلك بأقوال جديدة ، قال انه سمع صيحات استفائة وقت ارتكاب الجرائم ، وانه لم يبق فى غرفته ، كما أكد من قبل ، ولكنه نهض مرتين وزار مسرح الجريمة . وفي احدى هاتين الزيارتين حرك جثة الليدى « درموند » (ليرى ان كانت لاتزال على قيد الحياة) .

وأخيرا انهار جوستاف على كتف المفتش ، وبدأ يبكى . فبدل المفتش قصارى جهده للتهوين عليه ، وأخيرا اعترف جوستاف .

قال باكيا : لقد قتلهم ابنى . . قال لى ذلك فى الساعة الرابعة صباح ذلك اليوم .

وبعد قليل تأيد هذا الاتهام بما قاله اخوه كلوفيس : ما دام جوستاف صارحك فلم يعد هناك سبب يحملنى على اخفاء الحقيقة عليك بعد الآن .

وجاء اعتراف جاستون نفسه متوجا لهذه الاقوال . قال انه ذهب لرؤية انهيار الارض وتوقف بجوار شجرة التوت حينما كانت الليدى درموند تهم بخلع ثيابها ثم بدأ يغازلها ، وهنا جاء زوجها فقتلها معا فى لحظة ثورة عاطفية . قال « كانت جريمة حب » وبعد ان قتل الزوجين مضى يبحث عن اليزابيث التى كانت قد هربت فى اتجاه ضفة النهر ولم يكن يملك رصا صا ولذلك قتلها « بدبشك » البندقية . وحينما عاد الى المنزل قابل جوستاف الذى سمع الطلقات والصيحات ، فقال له : لقد قتلت الانجليز . فالزم الصمت ولن يعرف احد الحقيقة .

وعلى اثر ذلك غادر جوستاف المنزل وذهب الى مسرح الجريمة لرؤية الجثث ، وكانت اليزابيث لا تزال على قيد الحياة .

وفى ساعة مبكرة من الصباح جاء كلوفيس دومينيكي الى المزرعة وهو فى طريقه الى عمله وبناء على نصيحة « ايفيت » وافق الاخوان على ترديد قصة واحدة عن اكتشاف الجريمة .

وبعد القبض على جاستون دومينيكي رسميا واتهامه بقتل أسرة

درموند ، أخذ الى مسرح الجريمة « لاعادة تمثيل كيفية ارتكاب الجريمة » جريا على العادة المتبعة ، وهنا أدهش المحققين بمفاجأتين ، أولاهما السرعة التي ركض بها في أثناء تمثيله كيف طارد اليزابيث . كانت سرعة غير عادية بالنسبة لكهل في سنه . وثانيتهما أنه حينما وصل الى القنطرة حاول أن يشب من فوقها الى الماء ، ولكن شرطيا والقاضي المحقق استطاعا الحيلولة دون اتمام محاولة الانتحار المتعمدة هذه ، اذ امكنهما أن يجذباها من طرف سترته في آخر لحظة ..

وغمغم جاستون وهو يلهث : على اية حال ينبغي أن أموت في المنزل .

- ٤ -

بدأت محاكمة جاستون دومينيكي متهما بقتل السير جاك والليدي درموند وابنتهما اليزابيث ، بمحكمة الجنايات بمدينة « دان » يوم ١٧ من نوفمبر ١٩٥٤ . وكان رئيس المحكمة القاضي الصارم « مارسيل بوكويه » يعاونه عضوان ومخلفون يتألفون من سبعة رجال . وتولى الاتهام وكيل النيابة « كاليكست روزان » في حين تولى الدفاع عن المتهم المحامي « اميل » أما المحامي « كلود ديلورم » فحضر المحاكمة بالنيابة عن ام الليدي درموند المسز ويلبراهيم .

وطبقا للاجراءات الجنائية الفرنسية ، اشتملت قائمة الاتهام المكتوبة ، التي بدأ كاتب الجلسة في قراءتها ، على موجز للحقائق التي اعتمد الاتهام عليها في اثبات القضية . وعند نقطة « اعادة تشكييل » الجريمة ، جاء في قائمة الاتهام ما يلي :

« في أثناء تمثيل الصراع الذي حدث بينه وبين السير جاك درموند ، قال المتهم ان خصمه أمسك (بدبشك) البندقية بيده اليمنى لينتزعها منه . وقال ان الطلق الأول انطلق نتيجة لذلك فأصاب السير جاك في يده واضطره الى ترك البندقية ، وهذا التفسير يطابق مطابقة تامة ما وجدته الطبيب الشرعي الذي عثر على ثلاثة جروح في يد السائح الانجليزى اليمنى ، وأتضح أنها حدثت من طلق نارى » .

ولو أن جاستون دومينيكي باعترافه ، جاء الى المحكمة معترفا بأنه

مدنب لسهلت مهمة الاتهام نسبيا ، ولكن جاستون كان قد عدل عن اعترافه وقال انه غير مدنب وصاح :

— ليس هناك مايشغل ضميري • اننى لا أَلوم نفسى على شىء •

وزاد جوستاف من تعقيد القضية أما الاتهام حينما سحب اقواله عن ابيه وادعى انه لم يدل بهذه الاقوال ، الا لان رجال الشرطة ضربوه وعذبوه •

وحينئذ بدأ رئيس المحكمة يستجوب المتهم الواقف فى قفص الاتهام ، وكان استجوابه عبارة عن سلسلة طويلة من الأسئلة حول الاقوال الكثيرة المتناقضة التى ادلى بها للسلطات فى اثناء التحقيق السابق على المحاكمة . فحينما سئل عن « القرابينة » مثلا ادلى جاستون بانه هو الذى عثر على قطعة الخشب المحطمة تحت رأس اليزابيث •

فقال القاضى : انك كاذب يا جاستون دومينيكى لان الشرطة هى التى عثرت على قطعة الخشب وليس أنت •

فقال جاستون باضطراب : لعلى أخطأت فى ذلك • الواقع اننى لا أستطيع تذكر الحقيقة الآن •

فأردف القاضى : ان القساء البندقية فى جزء عميق من النهر كان يتطلب معرفة المكان الصحيح بالضبط ، ولهذا كان من الضرورى السير نحو عشرين ياردة على طول ضفة النهر .. اليس كذلك ؟

فأجاب جاستون : لا • لقد كان الجزء العميق من النهر مواجهها مواجهة تامة للمكان الذى وجدت فيه جثة الفتاة الصغيرة •

فقال القاضى معقبا : انه لامر غريب • هذه اول مرة تقول هذا فيها !!

فقال جاستون وفكه يرتعش : على كل حال لم اكن انا الذى القيت البندقية فى النهر •

— اذا كنت تعرف ذلك من قبل ، فعليك ان تتكلم الآن •

ولكن السجين ظل صامتا وهو يحدق فى وجه القاضى •

فسأله القاضى : الم تر البندقية من قبل حقا ؟

فأجاب جاستون بشىء من التاكيد : لا • لم ارها لا فى منزلنا

ولا فى منزل كلوفيس بل اكثر من ذلك ، اننى لم أر أمريكيين يتوقفون بمزرعتنا عند التحرير !

فقال القاضى بجفاء : اذن لا ريب فى أن مزرعتك هى الوحيدة فى المديرية الشمالية التى لم يتوقف الجنود عندها ؟

وحينما عرض عليه القاضى اقوال ابنه جوستاف عن اعترافه الاول له ، اكرها جاستون بترفع ، وصاح وهو يقبض على سور القفص : هذا غير صحيح .. لقد كذب جوستاف .

وفيما بعد قال جاستون انه كرر اعترافه بسبب الطريقة التى استبقاه رجال الشرطة بها مستيقظا طول الليل وهم يمطرونه بوابل من الأسئلة . واضاف : كان ينبغى الا يفعلوا ذلك برجل فى مثل سنى . ولقد افقدونى صوابى .

ومضى قائلا فى اصرار انه كان نائما فى فراشه بالمنزل طول الوقت .

فقال القاضى : ولكنك اعترفت بأنك مذنب تسع مرات !

— كلا ياسيدى الرئيس .. انك ترتكب غلطة كبيرة .

وهنا تدخل المحامى بوتوك قائلا : لكن تذكر انه سحب اعترافه سبع مرات على الأقل !

وأخيرا وجه القاضى الى جاستون سؤالا عن الاقوال التى ادعى انها صدرت بحضور ابنه الآخر كلوفيس بعد أن تشاجر مع زوجته : لقد قتلت ثلاثة اشخاص فاذا دعت الضرورة فسأقتلك .

فصاح جاستون بغضب : هذا كذب صراح : فاننى لم اقل شيئا كهذا .

وهكذا استطاع المتهم ان يتشبت بموقفه حتى تلك اللحظة، موهما المستمعين بأنه مزارع عجوز محترم بلبت فكره المأساة المروعة التى حدثت بالقرب من مزرعته وما لقيه من تعذيب على أيدي الشرطة .. وفى اليوم الثانى من المحاكمة ، انحسر القناع عن جانب أكثر فظاعة من أخلاقه حينما قال انه يتهم حفيده « روجر بيرين » بأنه القاتل : « انه هو ، ولا ريب أن كلوفيس هو الذى أعطاه البندقية » .

كان هذا هو ما قاله جاستون للشرطة فى أثناء احدى مرات استجوابه ، وقد اعترف فى المحكمة بأنه قال ذلك ، واضاف انه ليس

واثقا من ذلك . اذ قال للقاضي : هناك شك في ذلك . . على كل حال
اننى برىء .

فقال القاضي : ولكنى لم اقل انك ملذب . ولكننى ابلغك فقط
ما قاله كلوفيس .

فقال جاستون : لا يا سيدى الرئيس . انك توحى باستمرار
باننى كنت القاتل ولكنى اقول لك ثانياً اننى برىء .

— اذن لماذا اتهمك كلوفيس ؟

— لست ادرى . لقد كنا صديقين دائما .

— ثم اندفع يشى بمختلف افراد أسرته ، وختم اتهامه قائلا :

— حينما جاءت الشرطة للقبض على ادركت انه وقع على الاختيار
لاحل محل شخص آخر ، وهذا هو السبب فى وجودى هنا الآن .

واعقب استجواب المحكمة للمتهم استدعاء مختلف انواع الأطباء
الشهود الذين اكدوا اكتشافاتهم السابقة ومن بينها اكتشافهم ان
اليزابيث ماتت بعد موت ابويها بساعتين او ثلاث ساعات . ثم اعقبهم
الاستاذ « جاي مريان » وزوجته اللذان نزلت اسرة درموند فى ضيافتهما
غداة المأساة .

وكانت قد سرت شائعات قوية بأن للجريمة صلة ما بحركة
المقاومة ، فسأل القاضي ، الاستاذ «مريان» هل كان السير جاك درموند
قد جاء يوما الى فرنسا فى اثناء الحرب ؟

واجاب الاستاذ : اننى واثق من انه لم يأت ، ذلك لأنه كان من
المستحيل أن تتخلى الحكومة البريطانية عنه ، فضلا على أنه كان متقدما
فى السن بحيث يستحيل أن يهبط بمظلة النجاة ، فضلا على أن معرفته
باللغة الفرنسية كانت اولية . . لقد كنت أعرفه حق المعرفة ، ولذلك
فاننى واثق من أنه لو كان قد جاء الى فرنسا فى ذلك الوقت لحدثنى
بذلك بعد الحرب .

وجوابا على أسئلة أخرى القاها القاضي ، سرد الاستاذ «مريان»
كيف انه وزوجته زارا مسرح الجريمة، فيما بعد ، مع القنصل البريطانى،
وكيف ان جاستون ظهر فجأة وعرض عليهم أن يطلعهم على كل شيء
واتى من الحركات ما يدل على انه يتوقع الحصول على اجر مقابل خدماته

كدليل . وحينئذ أمر القاضي جاستون بالوقوف وسأله : هل رأيت الشاهد من قبل ؟

فأجاب المتهم : نعم ، انى أعرف هذا السيد ، فقد طلب منى ان اطلعه على الاماكن التى وجدت الجثث فيها ، ولكن ما يقوله لكم الآن كذب ، لأن مزارعى هذه المنطقة لا يطلبون أى تعويض حينما يقدمون معلومات لاي شخص عن أى شيء .

فقال الاستاذ مريان : بالعكس ، لقد حاولت التخلص من هذا الرجل لكى اختلى بالقنصل .

وأكدت المسز مريان ما قاله زوجها : فقالت للمحكمة : لقد دنا منا متظاهرا بأنه شخص هام . ولقد صعقت لان دليلا يطلب اجرا . وللمرة الثانية أمره القاضي بالوقوف ، واعترف جاستون بأنه عرف فى المسز مريان السيدة التى زارت المزرعة يوم تشييع الجنازة .

فقال القاضي : أرايت انك ذاكرة قوية فقد عرفت هذين الزوجين جيدا على الرغم من أنك لم ترهما الا لحظات قلائل منذ عامين ؟

فصاح جاستون ، وهو يشير الى الشاهدة باصبعه : اننى لم اطلب نقودا من احد .

فقالت المسز مريان : صحيح انه لم يطلب فعلا أية نقود، ولكنه أوضح بتصرفاته انه يتوقع الحصول على نقود .

وهنا لوح المتهم بقبضة يده نحو السيدة الواقفة فوق منصة الشهود وصاح : انك كاذبة .

ووثب المحامون واقفين معترضين ملوحين بأيديهم ، فقال القاضي بصوت عال مطالبا بمراعاة النظام :

— اجلس يا دومينيكى انها لفضيحة حقا .

وبعد هذا الحادث المؤسف ، تعاقب كثيرون للدلاء بالشهادة : « بانايوتو » رجل الأعمال اليونانى ، وأوليفيه ، ومختلف رجال الشرطة، وسائقا سيارتى نقل مرا بمسرح الجريمة بعد نحو ساعة من ارتكاب الجرائم ، وايدت شهادتهما أن شخصا حرك الجثث فى تلك الاثناء . وما كاد جاستون يرى حفيده « روجر بيرين » حتى ثارت ثائرتة وصرخ :

- اننى اعرف انه لص . انه يصطاد فى غير الموسم أيضا .. ان
لدى من الأسباب القوية ما يحملنى على الريبة فى أمره .

وأعقب ذلك جدل قانونى حول ما اذا كان من الضرورى مطالبة
الشهود من أفراد أسرة دومينيكي بأداء القسم القانونى . وأخيرا قرر
القاضى انه لاضرورة لذلك لانهم لم يكونوا شهودا اجباريين ، بحكم
القانون الفرنسى .

وكان اول شاهد من أسرة دومينيكي يدلى بشهادته بالإلا قسم ،
زوجة المتهم . ماري «السردينة العجوز» التى بلغت الخامسة والسبعين
من عمرها .. وكانت ترتدى السواد وقد لفت شعرها الاشيب (بشال)
اسود من ذلك الطراز الذى ترتديه الفلاحات وبدت محطمة متداعية .
وقد تمسكت بالرواية التى سردتها على مسامع رجال الشرطة من انها
لم تسمع شيئا طول الليل غير نباح الكلب حينما مر راكب الدراجة
البخارية بالمنزل ، ومضت تقول انها كانت فى ساحة منزل المزرعة تجمع
الخشب حينما جاء جوستاف وابلفها باكتشاف الجثث .

فسألها القاضى : ألم تفكرى فى الذهاب لرؤية الفتاة الصغيرة، فان
لك لاحفادا تحبينهم بلا شك ؟

فخفضت «ماري» من راسها واجابت : لا .. لم افكر فى ذلك
مطلقا .

ومضت تقول لهيئة المحكمة : ان زوجها لم يعاملها يوما معاملة
سيئة ، وانها لم تكن غير سعيدة معه مع ان زوجها سبق أن صرح بأنه
لم يحبها . وقالت انه لم يكن ينقصها شيء ، بل لقد افتقدته حينما
ذهب عنها .

وحينئذ سأل القاضى جاستون : هل لديك أسئلة تريد أن توجهها
لزوجتك ؟ فسألها سؤالا واحدا :

- حينما أبصرتنى اعود للمنزل فى ذلك الصباح ، هل كانت على
سراويلى بقع من الدم ؟

فاجابت ماري باخلاص : لا ، كانت سراويلك نظيفة جدا .

وجاء دور « ايفيت » زوجة جوستاف ، التى قالت انها كانت مع
(حماتها) حينما جاء جوستاف الى ساحة المنزل وتحدث عن اليزابيث
درموند التعسة .

سألها القاضي : هل جال بخاطر أى منكما الذهاب لمعرفة ما اذا كان فى استطاعتكما أن تفعلأ شيئا لمساعدة الفتاة الصغيرة التعسة ؟
فأجابت ايفيت بثبات : لا .

وهنا حان دور ولدى المتهم : كلوفيس وجوستاف .
سرد كلوفيس كيف انه لزم الصمت فى بادىء الامر ، الا انه حينما قال رجال الشرطة له ان جوستاف اعترف لهم بأن جاستون صارحه بارتكاب جرائم القتل ، ايد فى النهاية حقيقة اعتراف ابيه ..
فسأله القاضي : وما زلت متمسكا بتأييدائك الآن ؟
فأجاب كلوفيس : نعم .

— يجب ان تدرك ما لتصريحك هذا من اثر . اننى اعلم انك فى موقف مؤلم فحينما يتهم ابن ابيه بمثل هذه الجريمة المروعة ، ينبغى ان يكون دائما تام الثقة بما يقول . ومن ثم فانى أسألك مرة أخرى . هل انت متمسك بتأكيداتك ؟

وتحول كلوفيس الى المحلفين بهدوء ، واجاب بلهجة رزينة : نعم — اننى متمسك بها .

وكانت الرواية ، التى سردها جوستاف فى موقف الشاهد ، مختلفة الآن اختلافا تاما عما قال كلوفيس .. قال :

— ان أبى برىء . انه لم يقتل الانجليز .
فقاطعه كلوفيس : أبى مذنب ، واقسم على ذلك . انه القاتل .. لقد قال لى ذلك .

فصاح جاستون : ايها الوغد الكاذب .
وصاح كلوفيس بدوره : انها الحقيقة !
فمضى جاستون يقول : ايها اللص التعس .

فصاح كلوفيس : لقد كنت لصا ، قبلما اكون انا لصا !
فصرخ جاستون من قفص الاتهام : كاذب !! كاذب !! كاذب !!
وفى تلك اللحظة وثب كيلات ، احد ازواج بنات جاستون ، واقفا

وامسك بجاستون من باقة سترته وهزه بعنف وصاح : انظر الى ..
انك تعرف كل شيء عن البندقية .

وقاطعه المتهم : ان كلوفيس كاذب . لقد اصلح البندقية ، ووضع
شريطا معدنيا حولها .

ثم تحول الى ابنه الاكبر ، الذى ظل واقفا فى قفص الشهود .
وهتف :

— انك تعلم من اين جاءت البندقية .. فقل الصديق مرة فى حياتك .

ولم يستطع جوستاف التعس ان يقول اكثر مما يلى : انى لا اعلم
شيئا ، ان أبى برىء . وهذا كل ما أعلمه .

وحينما غادر جوستاف قفص الشهود ، تصاعدت فى قاعة المحكمة
صيحات المستمعين :

— ايها الوغد .

واختلط الحابل بالنابل ، وصاح المتهم بأعلى صوته : البندقية !
البندقية ! سأخبركم اين كانت البندقية فعلا ، ولكن هذا السؤال عن
مكان البندقية لم يحل ، لان القاضى قرر فى تلك اللحظة الحاسمة انه
من مصلحة النظام العام ان يرفع الجلسة .

— ٥ —

لم يبق شيء بعد ذلك فى هذه المحاكمة غير العادية غير الاستماع
لمختلف المرافعات : ولكن قبل الفاء هذه المرافعات النهائية ، حدثت
مصادمات بين المتهم وابنه ، كما استدعى بعض افراد اسرة دومينيكي
للادلاء بشهاداتهم ، ولكن ذلك لم يؤد الى ظهور أية حقائق جديدة .
وكان آخر من ادلى بشهادته ابن اخى المتهم ، واسمه ليون دومينيكي
الذى رباه جاستون العجوز .

قال هذا الشاهد : من رأى أن عمى لا يستطيع ارتكاب مثل هذه
الجريمة .

وقال المحامى « ديلدم » للمحلفين ، بالانابة عن ورثة درموند :
— أرجو أن تعيدوا السلام الى ضفاف نهر ديورانس ، التى لطخت
بدم اسرة درموند .

وهتف : ان من واجبكم ادانة هذا الرجل الذى اعترف اكثر من مرة بأنه ارتكب الجريمة المثلثة .

وتردد صدى هذه الكلمات فى المرافعة القوية التى القاها الاتهام ، حينما قال :

- ان الاتهام الذى يوجهه ضد جاستون دومينيكي هو انه تصرف كوحش لحظة واحدة فى حياته .

وسخف الاتهام الاقتراح « الخيالى » بأن للجريمة صلة بحركة المقاومة ، أو بأعمال رجال المخابرات ، وقال : انها جريمة اقترفها جاستون دومينيكي وحده ، وهو رجل قوى الشكيمة استطاع انتزاع الطاعة والخوف من كل فرد فى أسرته تقريبا . . . ومضى الاتهام يقترح أن السير جاك درموند ما كاد يرى شبح المتهم فى ضوء القمر وهو يحمل بندقيته حتى أخطأ فظنه لصا ، فانقض عليه وحاول انتزاع البندقية منه . لست أعلم كم عدد الرصاصات التى أطلقت وكل ما أعلمه انه فى تلك الليلة ان رجلا ليس من هذه البلاد ظن أن رجلا آخر لص ، وأن الرجل الآخر لم يفهم أن الأول كان مدعورا . ثم أطلقت الرصاصات الأولى وأعقب ذلك ما تعرفونه « لقد قتل الزوجان درموند وطوردت ابنتهما وقتلت (بدبشك) البندقية . ولعله يمكن تبرير قتل اثنين من البالغين فى ثورة غضب ، ولكن أحدا لا يستطيع أن يغفر له قتل طفلة صغيرة .

وختم الاتهام مرافعته قائلا : كما أن جاستون دومينيكي لم يبد أية شفقة نحو الطفلة الانجليزية ، فاننى اطالبكم بالألا تبدو أية شفقة نحوه .

وتنهض الدفاع ، وحذر المحلفين من أن ينخدعوا بنظرية الاتهام التافهة . ثم تحدث عن الوحشية التى قتلت بها اليرايث درموند . فقال : لو جال بخاطري لحظة ان المتهم هو الذى ارتكب هذه الجريمة النكرة لما قبلت الدفاع عنه .

واستند الدفاع عن المتهم الى ثلاث نقاط فى دفاعه هى : انعدام الدافع ، والتحقيق الأولى الذى أجراه رجال الشرطة مع المتهم واستمر ثلاثا وعشرين ساعة ، وكراهية اسرة دومينيكي لعميدها . ومرة أخرى ناشد الدفاع « ايفيت » وجوستاف أن يتقدما ويقولوا الصدق . قال :

— بحق الرحمة يا جوستاف ، اذا كنت مجرماً فتكلم . فاذا فصلت سكين المقصلة رأس ابيك في أحد الأيام فلسوف يجمد الدم الذى يجرى الآن في عروقك .. اذا كنت تعرف شيئاً يا جوستاف فتقدم وقله .

ولكن ايفيت وجوستاف بقيا على جمودهما .. فاستطرد الدفاع:

— ايها السادة المحلفون . هل ستطالبون بحياة هذا الكهل لأن الحيوانات الضارية ترفض الكلام ؟ ان هذا الكهل جاهد طوال حياته لتربية اولاده تربية صحيحة ، فاذا كان لديكم أى شك فدعوه يفيد من هذا الشك . احذروا من التردى في هاوية الظلم لأن هذا افطع شيء في العالم . لا تكونوا شركاء لأولئك الذين حاولوا القاء ابيهم الى التهلكة والموت .

وسأل القاضى المتهم : هل تريد أن تقول شيئاً . فقال هذا باقتضاب :

— لقد انقضى على عام وأنا في السجن .. اننى لست قاتلاً ، ولكننى رجل صريح ومخلص .. اننى برىء .

وعلى اثر ذلك اختلى المحلفون للمداولة ..

وصدر قرارهم بادانة المتهم فى الاتهامات الثلاثة .

وحينئذ نطق القاضى بالحكم على المتهم بالاعدام بالمقصلة .

واستمع المتهم للحكم فى جمود وحينما كان يفادر قاعة المحكمة تحت الحراسة وقع بصره على ابنه كلوفيس فصاح : ايها الكلب القدر .

فتحول كلوفيس الى مراسلى الصحف وقال : ان ابنى مذنب ، ولن أراجع فيما قلت .

ولكن وزارة الداخلية الفرنسية أوقفت تنفيذ الحكم على المتهم واستبدلت به الأشغال الشاقة المؤبدة .

وفى يوليو ١٩٦٠ ، وبعد أن قضى جاستون دومينيكي ست سنوات في السجن أفرج عنه لكبر السن ، اذ كان قد بلغ الرابعة والثمانين من العمر في ذلك الوقت .

وظل جاستون دومينيكي مصراً على براءته، وحاول إعادة التحقيق فى القضية ولكن جهوده ذهبت أدراج الرياح .

الفصل الثامن

مازور كفتش - غلام كراكاو العاشر

- ١ -

كان فلاديسلاو مازور كفتش بولنديا اعترف القتل على نطاق واسع سببا ، وقد ارتكب مجموعة متنوعة من الجرائم الاخرى تتراوح بين السرقة والتزيف والاتجار في السوق السوداء . وبعد انقضاء ثلاثة عشر عاما على ارتكابه جريمته الاولى ، وعام على ارتكابه آخر جرائمه قدم أخيرا للمحاكمة أمام محكمة كراكاو . ولقد اكسبت طبيعة جرائمه ومساهاها وغيرها من الاعمال الاجرامية الاخرى محاكمته شهرة واسعة جاوزت حدود بلاده بولندا .

وكان « فلاديسلاو » حسن الهيئة في الثامنة والاربعين من العمر وكان ضابطا سابقا ، متزوجا . وحينما بدأت محاكمته اعترف بأنه مذنب في قائمة الجرائم المطولة التي سجلت ضده واشتملت على ست جرائم قتل ، وشروعين في قتل ، وكان هذا المجرم يتصف بالقسوة والعنف اللذين اتصف بهما من تعاملوا مع المحتلين الالمان في اثناء الحرب العالمية الثانية ، ولهذا لم يتهيب الاعتراف بأنه قتل وسرق للكسب ، ومع ذلك فقد قال متباهيا انه لم يرتكب اية جريمة ضد وطنه بولندا وحاول تبرير سلوكه بأن ضحاياه كانوا جميعا اعداء المجتمع ، ولهذا فان في موتهم خيرا للبلاد .

انحدر مازور كفتش من أسرة محترمة ، وتلقى تعليما حسنا ، ومن المحقق أنه كان على صلات اجتماعية حسنة استغلها في الاستغلال في حياته الاجرامية . وحينما غزا الالمان بولندا في شهر سبتمبر ١٩٣٩ كان مازور كفتش ضابطا احتياطيا في الجيش الالماني ، فاستدعى للخدمة العسكرية مع مئات غيره ولكنه سرعان ما تمكن من الافلات من هذه الخدمة

حينما ادعى أنه مريض بالتهاب في الحنجرة • ومنذ ذلك الحين وهو يتردد على مقاهى كراكاد ونواديهما الليلية حيث اشتهر باسم « الكابتن » ، ومالبت أن تورط فى سلسلة من عمليات التّد غير المشروعة ، وزيف « شهادة عمل » جاء فيها أنه يعمل حلاقا فى القيادة العامة «للجستابو» بـ كراكاو ، وقد حصل على هذه الشهادة بمعاونة ضابط من «الجستابو» كان قد اشترك معه فى بعض صفقات السوق السوداء ، وكانت هذه الشهادة بمثابة جواز أمن أتاح له العمل كمتجر فى السوق السوداء من غير تدخل من جانب سلطات الاحتلال ، وكان الى جانب عبثه واستهتاره مقامرا خطرا • فقد خسر فى جلسة «بوكر» واحدة ٥٠٠ جنيه انجلىزى بغندق كراكاو •

وفى مارس ١٩٤٣ ارتكب أولى جرائمه الخطيرة حينما حاول أن يقتل شخصا اسمه نادىوز برومر ، كان مختبئا من النازى ، وذلك بأن قدم له (سندويتشا) مطعما « بسيانيد البوتاسيوم » الا أنه من حسن حظ هذا الضحية - وكان معه ٢٠٠ دولار طمع مازور كفتش فيها - انه ماكاد يقضم لقمة صغيرة حتى أدرك أن السندويتش مسمم فبادر بتناول ترياق أنقذ حياته • اما جريمته التالية فكان ضحيته رجل اسمه فيكتور زارزكى ، وكان معه ١٢٠٠ دولار ، وقد نجح مازور كفتش فى قتله بأن قدم له قدحا من الشاي محتويا على محلول قوى من السيانيد ، وشرب زارزكى من هذا السم قدرا يكفى للقضاء عليه •

وكان مازور كفتش يملك سيارة ومسدسا فى ذلك الحين • فلم يتردد فى استخدامهما لتحقيق مآربه • وفى شهر يوليو ١٩٤٥ ، وبعد تحرير بولندا ، استصحب شخصا اسمه فلاديسلاو برابلسكى فى نزهة بسيارته، لإبرام صفقة نقد ، وفى أثناء الرحلة أطلق رصاصا على مؤخر رأس برابلسكى أردته قتيلا ، ثم ألقى بجثته فى نهر فستولا بعد أن جرده من مائتى دولار كان يحملها •

وبعد ذلك بثلاثة شهور ، أحاق المصير نفسه بجوزيف توماسيفسكى وحصل مازور كفتش من وراء جريمته هذه على ٢٢٥٠٠٠ زلوتابس ، وفى هذه المرة ، واجه مازور كفتش متاعب ، وفى أثناء عودته من مسرح الجريمة التى بالجثة فى أحد الحقول ، ولكنه ضل طريقه وسقط بسيارته فى حفرة ، واتفق مرور أحد المزارعين ، فساعد مازور كفتش فى اخراج سيارته الى الطريق • ولكن المزارع لاحظ وجود بعض بقع دموية على سلم السيارة،

فساورته ، هو وعابر سبيل آخر ، الريبة فى الامر فالتقطا رقم السيارة وأبلغا الامر للشرطة .

واستدعى رجال الشرطة مازور كفتش وطالبوه بتفسير ، ومع انه ألقى القبض عليه فانه استطاع الافلات من توجيه أى اتهام رسمى اليه ، اذ أقنع امرأة اسمها « اجنيزيسكاريس » بأن تقسم أنها كانت معه فى سيارة وقت مقتل توماسفيسكى ، وانهما كانا فى طريقهما لزيارة أحد الاديرة ، وأيد شاهد مزيف آخر ، هو الاب بوتوكرناى هذه الرواية . وعلاوة على ذلك فان الضابط الذى حقق القضية ، الكابتن جاسكو ، كان صديقا للمتهم ، وقد أجرى التحقيق معه بين زجاجات « الفودكا » التى دفع مازور كفتش ثمنها ، وأخيرا قرر ضابط الشرطة المرتشى انه لوجه لاقامة الدعوى ضد مازور كفتش فأطلق سراحه .

وما لبث مازور كفتش ان عاد الى مهنته القديمة . ففى مايو ١٩٤٦ قتل شخصا اسمه جرزى دى لافوه ، بعد أن جرده أولا من خاتم خطوبته الذهبى وساعته و ١٠٠٠ دولار . كانت معه ، وألقيت الجثة والمسدس الذى ارتكبت به الجريمة فى نهر الفستولا .

وبعد ذلك بعدة أعوام ، أى فى عام ١٩٥٤ ، طلبت أرملة دى لافوه . التى كانت تعلم أن مازور كفتش شريك لزوجها فى صفقات السوق السوداء ولكنها كانت تجهل أنه قاتله . من مازور كفتش العناية بمبلغ ٦٣٥ دولارا كانت معها وحليها ، اذ يبدو أنها كانت جزءا من صفقة سوق سوداء ، وان السيدة كانت تخشى تفتيش رجال الشرطة لمسكنها حيث كانت تعيش مع أختها ، فيصادرون هذه الاشياء .

ووافق مازور كفتش ، ولكن رواج السوق السوداء كان قد بدأ فى الفتور فى تلك الفترة نظرا لتوافر السلع فى الجوانيت ، وحرص الشرطة على تطبيق القانون . ومهما يكن من أمر ، فقد بدأ مازور كفتش ينفق النقود ، كما باع الحلى وأنفق الجميع فى احتياجاته اليومية ، وحينما سألته مدام دى لافوه أن يعيد لها نقودها وحليها دعاها الى حظيرة سيارته مدعيا أنه أخفى النقود والحلى هناك . وبمجرد وصولها ، أخرج مسدسه وأطلقه على مؤخر رأسها فقتلها ، ثم دفن جثتها فى حفرة كان قد أعدها تحت الارض . وبعد ساعات قليلة جاءت أخت مدام دى لافوه ، وكان اسمها صوفيا سكوبا ، وكانت تعلم بأمر صفقات الاسرة فى السوق السوداء . . جاءت الى الحظيرة لترى ما حدث لاختها فقتلها المجرم أيضا

ودفنها بجانب اختها ، ثم صب على الجثتين مقدارا من الاسمنت المسلح .
وبعد ذلك سطا على مسكن الاخت وسرق ما خف حمله وغلا ثمنه .

وأخيرا جاءت الجريمة التي قضت على مازور كفتش ، فقد طلب من متجر آخر في السوق السوداء ، اسمه ستافسلاو لويوزفسكى ، أن يرافقه بسيارته الى الجبال القريبة من كراكاو ، للتحديث في صفقة ساعات ذهبية وحين عودتهما ، وكانت السيارة تسير في معبر غير مطروق ، أوقف مازور كفتش السيارة وكان رفيقه نائما في مقعدها الخلفي ، ولذلك لجأ المجرم الى طريقته المفضلة وهي « تصفية » متحية مرتقبة ، فأطلق الرصاص على مؤخر رأسه . ولكن المحاولة فشلت هذه المرة لان الرصاصة استقرت في جمجمة لويوزفسكى . ومن العجيب انها لم تقتله بل لم تعجزه وكان من الطبيعي ألا يدرك لوبوزنسكى أن الرصاص أطلق عليه ، ولو ان صوت الطلق أفزعته كما أحس بشيء يؤلمه في مؤخر رأسه . وادعى مازور كفتش أنه أطلق صاروخا صينيا على سبيل المزاح . وظن لويوزفسكى ان الامر لا يعدو جرحا سطحيا فرافق مازور كفتش الى كراكاو حيث ذهب الى أحد المستشفيات فحقنوه بمصل مضاد للتيتانوس .

وكان لوبوزفسكى يقيم في وارسو ، وأصر على المضي في رحلته الى هناك ، وشجعه مازور كفتش على ذلك ظنا منه أنه لن يصل الى منزله حيا ، ولكن ضعيفته لم يفعل ذلك فحسب ، وانما زاح يؤدي أيضا أعماله العادية لعدة أيام ، وأخيرا شكأ من صسداع شديد وذهب الى المستشفى لاجراء فحص بالاشعة ، وشد ما كانت دهشة الطبيب حينما كشفت الاشعة عن وجود رصاصة محشورة في قاع الجمجمة ، واستخرجت هذه الرصاصة وعرضت على المريض الذي بهت بدوره .

وما ان اكتشف مازور كفتش حقيقة ما حدث حتى بعث بمحاميه الى لوبوزفسكى ، وكان المحامي من الاشخاص الذين تحيط بهم الريبة ، وهو بعينه المحامي الذي ساعد مازور كفتش في الاجراءات العقيمة التي اتخذت ضده بعد مقتل توماسفسكى قبل ذلك بعشرة أعوام . ونصح المحامي لوبوزفسكى بالتزام الصمت لمصلحته والا فان أي إجراء قانوني سيتخذ سوف يكشف للشعب عن نشاطه غير المشروع في السوق السوداء .

ولكن لوبوزفسكى رفض الاذعان لهذا التهديد ، وأبلغ الشرطة . فألقي القبض على مازور كفتش وفي هذه المرة لم يفرج عن مازور كفتش الا حينما أحاط الجلاد عنقه بحبل المشنقة .

أثارت محاكمة مازور كفتش اهتماما كبيرا فى طول البلاد وعرضها ،
مخصصة الصحافة البولندية الشيوعية ثمانين مراسلا لحضور المحاكمة ،
كما خصصت لها أعمدة مستقلة . ولقد دفع بعض المتفرجين مبالغ كبيرة
وصل بعضها الى ما يعادل مرتب عامل لمدة ثلاثة شهور ، لدخول قاعة
المحكمة المكتظة . وكلما تقدمت المحاكمة زاد تدفق سيل الشكاوى التى
تلقتها السلطات والتى يتهم فيها مرسلوها مازور كفتش بأنه مسئول عن
خمسین جريمة قتل أخرى لم تكتشف حقيقتها ، بالإضافة الى جرائم القتل
الست التى اشتملت عليها قائمة الاتهام . ففسال المتهم معقبا على ذلك
بتواضع « ان الناس ينسبون الى أشياء كثيرة ، ولكنى لم أرتكب غير ثمانى
جرائم قتل ولذلك أرجو تصحيح الامور »

ولم يبد مازور كفتش أى ندم على ما اقترفته يده من جرائم ، وكان
موقفه طوال الاربعة عشر يوما ، التى استغرقتها المحاكمة ، يوصف بعدم
المبالاة . فبعد أن قرأ الكاتب للمحلفين الاقوال التى أدلى المتهم بها فى أثناء
التحقيقات التى أجريت قبل المحاكمة ، واعترف المتهم فيها بجرائمه ،
اعترف الدفاع بأن موكله كان يعاني من مرض انشطار الشخصية ، وأنه
غير مسئول عن أعماله ، فرد الاتهام على ذلك معارضا وقال « ان المتهم كان
متمتعا بكامل قواه العقلية طول الوقت ، فأيدته المحكمة فى قوله ، والواقع
ان رأى الاتهام قد تأيد بسبب رسالة كتبها مازور كفتش حديثا وهو فى
السجن الى صديق ، وقال فيها : « اننى مازلت بصحة جيدة ، ولكنى
اعانى فقط من آلام بذراعى ، وأكبر ظنى اننى أصبت بالروماتيزم لتقدم
سنى ، لكن لا تصدق الروايات السخيفة التى تردد عن اعتلال صحتى .
فاننى فى حالة طبيعية » .

وكان أول شاهد « تاديوز برومر » ، وهو ضابط سابق بالمدفعية ،
حاول مازور كفتش قتله بالسهم سنة ١٩٤٣ ولكنه لم ينجح فى محاولته . .
قال للمحكمة : انه رافق السجن الى قرية صغيرة بالقرب من كراكاو بغية
اتمام بعض أعمال مع السجن أدت الى ضياع ٢٠٠ دولار من الشاهد .
ومضى يشرح كيف أن مازور كفتش قدم له (ساندويتشا) قضم منه جزءا
صغيرا ، وفى الحال شعر بدوار غريب فركض الى أقرب مزرعة حيث قدم
له أحد المزارعين عدة أكواب من اللبن ، وبهذا أفلت من الموت بمعجزة ،
ونظرا لان النازى كانوا يطاردونه فقد كان يعيش تحت اسم مستعار ،
ولذلك فانه لم يجرؤ على شكوى المتهم بمحاولة قتله فى ذلك الحين ، وقد

خطر له بعد التحرير أنه قد يصعب عليه الإبلاغ عن الجريمة نظرا لانقضاء وقت طويل على ارتكابها ، ولأنه ظن أن مازوركفتش ينتمى الى الشرطة السرية البولندية الرهيبة ، ولذلك لم يفعل شيئا .

وكانت الشاهدة الثانية سيدة « مالجورزاتا بيلانسكا » وهي زوجة سابقة لرجل اسمه ستانسلاوكورتا . قالت « ان منزل أسرتها كان فى أثناء الاحتلال الالماني - وكرا للمقاومة يتردد عليه كثيرون من بينهم السجناء ، وفيكتور زرزكى ، وكان الاخير يخسر باستمرار ، وانها تذكر انه اقترض ذات ليلة مبلغا كبيرا من النقود من عدة أصدقاء ثم انصرف . ولكنه لم يعد ثانية كما انها لم تره بعد ذلك .

وقال الشاهد التالى فرانسيز جرابوفسكى ، انه كان جارا للمتهم ، وذكر أن مازوركفتش كان دائما مهذبا معاونا ، وكثيرا ما كان يبتاع الحلى للأطفال المحليين .

وأضاف ان المتهم لم يقسم أبدا ، كما انه لم يكن سكيما عربيدا ، ولم يكن يبدو عليه أى شىء يدل على أنه مجرم أو قاتل ، ومع ذلك فقد بدأ الناس يهربون هذا الجار الودود ، وبالأخص بعد أن اكتنفته الريبة فى حادث مقتل جوزيف توماسفسكى . الا أن أحدا لم يحرك ساكنا لإبلاغ السلطات عنه ، نظرا لما كان يبدو من أن جميع أصدقائه ومعارفه كانوا متورطين فى معاملات بالسوق السوداء ، ولهذا رأى الجميع أنه من الخير لهم التزام الصمت التام .

ولم يستطع المزارع الذى ساعد مازوركفتش فى اخراج سيارته من الحفرة ورأى بقع الدم على سلم السيارة ، ولا الكثيرون غيره الذين كانوا موجودين عند مسرح الجريمة فى ذلك الوقت ، الجزم بأن مازوركفتش كان قائد هذه السيارة . الا انه كان من حسن الحظ أن اثنين منهم التقطوا رقم السيارة وابلغاه للشرطة فى الوقت المناسب . وشهدت فلاحه بأنها جمعت بضع قصاصات من الورق القيت من النافذة وقد ساعدت هذه القصاصات فى التعرف على شخصية القاتل توماسفسكى .

أما الشابة ابنزسكاريس ، التى جعلها المتهم تروى قصة مزيفة تثبت براءته ، فقد تقدمت للمحكمة للدلاء بشهادتها ، فروت كيف انها ذهبت مع مازوركفتش فى سيارته مرتين الى دير اسمه « الوريينا » لشراء تفاح ، وبعد اكتشاف جثة توماسفسكى بوقت قصير جاءها مازوركفتش وطلب اليها أن تقول - اذا دعت الضرورة لذلك - ان من بين الايام التى

ذهبا فيها معا الى الدير يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٥٣ ، ونظرا لانها لم تستطع أن تذكر تواريخ الرحلات بالدقة ، فقد وافقت . وقد تأيدت هذه المناشدة بزيارة قامت بها زوجة المتهم ، هيلينا مازوركفتش لها ، وقالت الشاهدة ان زوجها كان في يوم وقوع هذه الجريمة - في طريقه الى القيادة العامة السرية للحركة البولندية السرية ومعه أوراق هامة ، وانه من المهم جدا أن تقول الآنسة ريس انها كانت مع مازوركفتش في ذلك اليوم ، والا فمن المحقق أن يقبض على عدد من مقاتلي حركة المقاومة مع زوجها . ونظرا لان الشاهدة نفسها كانت عضوا في حركة المقاومة فقد وافقت على أن تفعل ماطلب منها . ونفلا أدلت بالشهادة التي طلبت منها في أثناء التحقيق الذي أجرى عقب مقتل توماسفسكى . وأضافت الشاهدة أنها فعلت ذلك بحسن نية مع ادراكها بأن ما فعلته كان خطأ فاحشا ، وانها شعرت بأسف عميق لذلك .

وأدى نظر الاتهامات الخاصة بمقتل جرزي دى لافوه وزوجته وأخت زوجته الى الاستماع لشهادة عدة شهود آخرين اذهلت أقوالهم المحكمة ، فقد ألقى أخو القتل ضوئا هاما على الكيفية التي كان الناس يعيشون بها في كراكاو في ظل الاحتلال الالماني . ووصف الاناث العتيق الذي كان موجودا في منزل أخيه وقال ان جرزي دى لافوه وزوجته كانا يعيشان عيشة بذخ واسراف ، وقال انه يذكر انه رأى هناك ذات مرة ماسة كبيرة وعدة قضبان ذهبية الى جانب كمية كبيرة من أوراق نقد الدولارات من فئة ١٠٠٠ و ٥٠٠ دولار . وبعد اختفاء أخيه لم تبذل أية محاولة جادة للعثور عليه .

ووصف صديق للأسرة كيف ان مازوركفتش كان يغازل مدام دى لافوه ، وكيف انه كان يصحبها في سيارته للنزهة في الريف والاستماع للأغاني الريفية . وقالت أخت أخرى ، هي جوستافا سوبولفسكى ان مازوركفتش قال لها ان أختها - كزوج أختها - اضطرت للسفر للخارج فجأة . فأجابته ، كيف يمكن أن ترحل أختي للخارج على هذا النحو ؟ ان الغسيل ما زال منشورا فوق الحبل ، والغلاية معدة للغليان فوق الموقد .

وقالت إحدى الجارات ، واسمها أنا أوليكوا ، انها سمعت أن مازوركفتش من كبار رجال الشرطة السرية ، وكانت تعرف أنه يحتفظ بنفائس معينة من بينها بعض الماسات مخبأة في أنبوبة معجون أسنان ، وأنه رفض أن يعيدها الى مدام دى لافوه حينما طلبت استردادها . وقالت

الشاهدة للمحكمة ان الشرطة سألتها عن السيدة المختفية وان مازور كفتش زارها بعد ذلك ليعرف منها ما قالت له للمحققين ، وأنها لاحظت في أثناء هذه المقابلة انه كان مضطربا .

وفي اليوم الثامن من المحاكمة حدثت ضجة كبرى في قاعة المحاكمة حينما تقدم ستانيسلاو لوبوزفسكى المعروف بـ «الرجل الذى خدع الموت» وهو فى السادسة والثلاثين من عمره وظل يحمل رصاصة فى جعبته مدة اثنتين وسبعين ساعة ، لرواية قصته المدهشة . .

قال انه قابل المتهم لأول مرة فى وارسو عن طريق بعض الأصدقاء . وذكر له مازور كفتش فى هذه المناسبة أن صديقا بحارا أحضر معه من الخارج عددا كبيرا من الساعات الذهبية تقدر قيمتها بنحو ثلاثة آلاف جنيه استرليني . وقال لوبوزفسكى : انه اهتم بالأمر وأبدي رغبته فى شراء الساعات ، ولكنه لم يكن مستطيعا حينذاك أن يدفع أكثر من خمسمائة جنيه استرليني ، وحينئذ ادعى مازور كفتش أن الساعات موجودة عند أخت البحار فى كراكاو ، ودعا لوبوزفسكى للمجيء الى كراكاو ومقابلته هناك .

وسافر لوبوزفسكى الى كراكاو ، وذهب لمقابلة السجين ، وعهد اليه بالمبلغ لأنه كان يخشى حمل مثل هذا المبلغ الكبير فى جيوبه . وذهب مازور كفتش للبحث عن أخت البحار ولكنه فشل فى العثور عليها ، وهو أمر ليس بالمستغرب لأنها كانت شخصية خيالية . وفى تلك الأثناء ، طلب مازور كفتش من ضيفه النوم على سرير رحلات فى حظيرة السيارة ، وحاول التخلص منه فى أثناء الليل . فقد استيقظ لوبوزفسكى فجأة على صوت عال . وحينما فتح عينيه رأى مازور كفتش واقفا بالقرب منه ، وصرح له مضيفه بأن عابر سبيل ألقى نوعا من الصواريخ الصينية فى الحظيرة (الجراج) ، بل انه أراه بعض أجزاء من علبة كرتون محترقة قال انها جزء من الصاروخ الصينى ، وفى اليوم التالى دعا مازور كفتش ضيفه للذهاب فى رحلة بالسيارة الى الجبال الواقعة جنوب كراكاو ، وأنهما ذهبا معا الى زاكوبين ، وهى مصيف جبلى معروف . وفى أثناء الرحلة تولى لوبوزفسكى القيادة ، ونظرا لأنه كان قائدا ممتازا فقد قال له مازور كفتش « انك رجل شجاع ، فلعلنى اضطر الى ادخال الفزع فى قلبك ثانية باستخدام صاروخ صينى » .

وحينما نزل الاثنان فى فندق زاكوبين احتسسيا مقادير كبيرة من الخمر ، ثم كرا عائدين الى كراكاو فى المساء . ونام لوبوزفسكى فى المقعد

الحلفى للسيارة وللمرة الثانية استيقظ على صسوت فرقة عالية ، وفى هذه المرة نجح مازوركفتش فى اصابة رأسه ، وحينما تبين انه أصيب بجرح بسيط فى رأسه ، قال له مازوركفتش انه أطلق صاروخا صينيا على سبيل المزاح . واذ أدرك الشاهد أن شيئا غير عادى يحدث ، ولو أنه لم ير شيئا عن الحادث نفسه ، أمر مازوركفتش بإيقاف السيارة ، وجلس هو الى عجلة القيادة وقاد السيارة الى الحظيرة فى كراكاو .

و حين عودتهما حاول مازوركفتش الاسراع بالرحيل بدعوى أن حياته فى خطر . وحينما ضغط عليه الشاهد ليتكلم انفجر باكيا واعترف بأن قصة الساعات مختلفة من أساسها ، وأنه اقترض نقود لوبوزنسكى للتغلب على بعض مصاعبه المالية وكان رأس لوبوزنسكى قد بدأ يؤلمه فى ذلك الوقت ، فطلب من مازوركفتش أن يذهب به الى أحد المستشفيات حيث يعرف طبيبا هناك . ولكن الطبيب كان بالخارج حينما وصلا الى المستشفى ، ولذلك ذهب لوبوزنسكى الى العيادة الخارجية حيث ضموا له الجرح وأعطوه حقنة مضادة للتيتانوس . وبعدئذ اقترح لوبوزنسكى أن يقود السيارة بنفسه الى وارسو مصرا على الاستيلاء على ضمان لنقوده التى اقترضها مازوركفتش . ونظرا لأن مازوركفتش كان يعتقد أن أى شخص فى مثل حالة الشاهد لا يمكن أن يتمكن من الوصول الى وارسو وهو على قيد الحياة فانه لم يبذل أية محاولة لاستبقاء لوبوزنسكى .

ولكن الجريح استطاع الوصول الى وارسو . أما ما حدث بعد عودته فسبق أن ذكرناه ، فقد استخرجت الرصاصة التى كشفت عنها الاشعة بنجاح من جمجمته و قبض على مازوركفتش متهما بالشروع فى القتل .

- ٣ -

و حينما أشرفت المحاكمة على الانتهاء استدعى الاتهام طبيب الأمراض العقلية ، كارول سبت ، كخبير شاهد . ومع أنه اعترف بأن جميع شهود الاتهام شهدوا بأن السجين رجل عادى العقل وبالتالي مسئول عن أعماله ، الا أنه اقترح سؤال أفراد آخرين من أسرة المتهم وأصدقائه عن رأيهم فى المتهم . . ووافقت المحكمة على طلب الاتهام .

ولقد بدا أن كلا من والد السجين وزوجة أبيه يعتبران المتهم شخصا غير عادى بسبب طفولته غير المستقرة ، وما كان لجنون أمه من تأثير عليه . فحينما كان فى العاشرة من عمره هربت أمه مع رجل آخر وطلقت من

أبيه ، إلا أنها انتحرت غداة زواجها الثانى لأسباب غير معروفة وذلك بأن شربت سما • وقالت زوجة أب المتهم ان مازوركفتش كان غلاما صعبا عند تربيته ، اذ كان يكثر من الكذب • وكانت تقارير دراسته سيئة ، وكانت قراءاته المحببة روايات الجيب •

ومن ناحية أخرى تحدثت أخته عن المساعدة المالية التى اعتاد تقديمها لأسرته فى أثناء الاحتلال الالماني حتى لقد اعتبرته زوج أبه زوجا مثاليا لابنتها ، وبعد الإفراج عنه فى قضية نوماستيسكى أقام حفلا لأقارب الميت - وأضافت الشاهدة أنها لا تعتقد ان شخصا مذنباً يمكن أن يفعل ذلك •

وقال شاهد آخر ، هو الدكتور تونونبىسكى ، وكان يقيم فى شقة واحدة مع المتهم ، انه لم يكن هناك أى شنود أو غرابة فى سلوك مازوركفتش ، وانما كان دائما رجلا جادا متزنا العقل ليس فى تصرفاته أى شنود •

إلا أنه اعترف بأن مازوركفتش كان كثيرا ما يتغيب شهورا فى أماكن مثل زاكوبين وسويوث على شاطئ بحر البلطيق ، وكان يدعى أنه يذهب الى هذه الأماكن لشراء قطع غيار لصفقات السيارات التى يبرمها •

وعلى أثر انتهاء الشهادات سأل القاضى السجين : هل لديك ما تريد أن تقول ؟ وشد ما كانت دهشة الجميع حينما أعلن المتهم أنه يريد سحب اعترافه بأنه مذنب لانه غير مذنب ، وقال انه وقع الاعتراف بالجرائم التى اتهم بارتكابها لانهم قالوا له انه اذا لم يوقع الاعتراف فانه سيقدم للمحاكمة ، على كل حال ، على أساس الأدلة الملبسة الموجودة ضده ، وفى هذه الحالة سوف تمس المحاكمة أشخاصا آخرين ومن بينهم زوجته وأخته • ومضى يقول : ان كل هذه الأقوال خيالية ، لقد كتبتهما لأننى فهمت أن الاعتراف الذى انطوت عليه سيجعل الأمور أقل تعقيدا بالنسبة لى • • وختم المتهم كلامه بانكار ذنبه بقوة ، وكرر أنه لم يقتل أحدا فى حياته كلها •

ونفض الاتهام وطالب برأس المتهم ، ولكن الدفاع قال ان بولندا تنظر موضوع الغاء عقوبة الاعدام ، وأنه يحسن بالمحكمة أن تكون البادئة بضرب المثل للمحاكم الأخرى لانهاء تطبيق هذه العقوبة •

ولكن المحكمة لم تأخذ برأى الدفاع ، وأدانت المتهم فى جميع الاتهامات التى وجهت له وحكمت باعدامه •

الفصل التاسع

القواد والبغى

٩ - الفريمو مسينا فى لندن

- ١ -

عندما كتب برناردشو تمثيليته « الكريهة » حول موضوع الدعارة « مهنة مسز وارن » حوالى نهاية القرن الماضى ، كان يسعى للفت الأنظار الى شر اجتماعى أطلق عليه انه أقدم مهنة فى العالم .. ففى مكان ما من خلفية الصورة يوجد دائما شخص مخيف يعمل « حاميا » للبغى ، ينظم لها عملها ويستولى على كسبها ولا يقدم لها منه غير ما يمكنها من شراء ثيابها وطعامها ودفع ايجار غرفتها أو « ماخورها » بلغة البغايا العامية ، وهو المكان الذى تأخذ اليه عملاءها .. ويعيش « الحامى » عادة مع البغى ، الا انه اذا لم يشاركها « ماخورها » - وهو ما يحرص دائما على الا يفعله فانه - برغم صرامة القانون الانجليزى فى بعض النواحي المتعلقة بالدعارة - من الصعب جدا اثبات انه يعيش كلية أو جزئيا من كسبها كبغى .

فى أحد فترات السنوات الثلاثينية من القرن الحالى وصل خمسة اخوة اسمهم مسينا الى لندن بعد أن سبقهم أبوهم اليها ، ونظرا لانهم جاءوا أصلا من مالطة فانهم لهذا كانوا رعايا بريطانيين برغم انهم ينحدرون من سلالة ايطالية .. وراح الجميع يجمعون أرباحا طائلة من استغلال البغايا اللاتي كانوا يسيطرون عليهن واللاتى سهلت حالة « الاظلام » وغيرها من أحوال الحرب عملهن بما فى ذلك رغبة رجال القوات الامريكية الذين كانوا يقضون عطلتهم فى لندن فى « قضاء وقت لطيف » وأثناء فترة الانتعاش التى أعقبت انتهاء الحرب ، استمرت أعمال أسرة مسينا فى الازدهار برغم ما كانوا يتعرضون له من انتكاسات من حين

لآخر . وقد انجلت حرب جرت بالموسى والمدى ضد عصاية منافسة بسبب بعض البغايا المحمين فى منطقة بوند سستريت عن الزج بأحد الاخوة فى السجن لمدة ثلاث سنوات لأنه أصاب أحد الأشخاص بجرح خطر . وعلى اثر ذلك عينت بعض صحف الاحد مخبريها لاجراء التحريات فكانت النتيجة الكشف عن بعض وجوه نشاط الاخوة الشائن، وذكرت أسماء الاخوة جميعا بالاضافة الى سلسلة من البغايا كن على اتصال بهم : هرميون هندن « مارسيل » ، سيسى كوهين ، « نيفين » ، جورجيت بورج وغيرهن . . . وكان من نتيجة هذه الدعاية غير المرغوب فيها ان عمد أحد الاخوة الأبعة وهو الفريدو مسينا الذى يعتبر أخطر اخوته الى تغيير اسمه سرا فى يونيو ١٩٥٠ فأصبح يدعى الفريد مارتن .

كان الفريدو مسينا وشهرته الفريد مارتن مالطليا أصلح الرأس فى الخمسين من العمر معتل الصحة - كان مصابا بالدرن الرئوى وارتفاع ضغط الدم - ولكن هذه العقبات لم تمنعه من استغلال الجسد البشرى فى شكل الانثى بحذق وبراعة . وكانت لغته الانجليزية ضعيفة - ولا عجب فانه كان أميا وان كان فى استطاعته أن يحور شيكا سليما ، ومع هذا فانه لم يحاول انكار عجزه عن كتابة الشلنات والبنسات فى أى شيك يكتبه ، ولهذا اضطر الى مطالبة البائع بكتابة الرقم فى الشيك يوم أن اشترى غرفة مائدة من متجر هارودس . . . واذا قيل ان له مهنة مشروعة فانها مهنة بائع الجواهر لأنه احترفها فترة من الزمن فى بلجيكا ، ولكنه لم يكن معروفا فى هاتون جاردن بعد وصوله الى لندن قادما من بلجيكا عام ١٩٣٩ ، ولو انه كان معروفا الى حد ما فى أجزاء معينة من مايفير ولم يكن هناك شك أيضا فى انه كان - قبل مجيئه الى انجلترا - يشتغل بتجارة الرقيق الأبيض عن طريق الاتصال بمدن مثل باريس ومدريد والدار البيضاء . أما زوجته التى تزوجها فى اسبانيا عام ١٩٣٥ وأصبح يقيم منفصلا عنها ، فكانت بغى بوند سستريت المعروفة باسم « مارسيل » وفى تلك الأثناء كان الفريد يعيش مع بغى أخرى هى مسز هرميون هندن منذ سبع أو ثمانى سنوات فى منزل بومبلى . وأثناء تلك الفترة كان كل مبلغ نقدى كبير يودع فى واحد من حساباته المصرفية الثلاثة ، كما كان يملك مبالغ كبيرة فى ثلاث خزائن للأمانات .

بعد ظهر يوم ١٩ من مارس ١٩٥١ بقليل ، زار اثنان من رجال الشرطة السرية هما المفتش ماهون والجساوئش فوستر منزل مسينا

بهارودين رود بناء على موعد سابق . . كانا قد جاءا الى المنزل قبل ذلك بأربعة ايام ولكن مسينا كان بالخارج ، ولكنها قابلا مسز هندن التي كانا يعلمان انها بغى نظرا لأنها قدمت للمحاكمة فى أكثر من ١٠٤ قضايا متهمه « بالتحريض على القسق » وكان منزل هارودين رود الذى جاء اليه ضابطا الشرطة منزلا منفصلا يدل مظهره على انه مسكن محترم ، يتكون طابقه الأرضى من غرفة للمائدة وأخرى للجلوس ومطبخ ويوجد بالآخر خزانة نقود كبيرة . أما الطابق العلوى فكان مكونا من غرفة نوم كبيرة ، واثنين صغيرتين ودورة مياه ، وبالإضافة الى ذلك كانت هناك حديقة أمام المنزل وخلفه أيضا . وكانت الأسرة تستخدم خادمة « نهارية » شهدت فيما بعد أمام هيئة المحكمة بأنها كانت تعتبر الأسرة « محترمة جدا » ، وانها كانت تنادى مسز هندن بـ « سيدتى » وتعتبرها ربة البيت وانها ومسينا كانا يعيشان معا مثلما يعيش الزوج وزوجته . وكان رجال الشرطة قد استجوبوا من قبل رجلا اسمه روبر يؤدى أعمالا نافهة فى المنزل كتنظيف السيارة حول طريقة حياة مسينا .

وعلى أثر وصول رجلى سكتلانديارد ، انسحبت مسز هندن الى المطبخ تاركة مسينا وحده مع الرجلين فى غرفة الجلوس .

وبدأ مفتش الشرطة الحديث قائلا :

— اعتقد انك تعرف اننا نتحرى ادعاءات تقول انك تعيش منذ سنوات على كسب احدى البغايا .

فأجاب مسينا بلا حذر : أعرف ذلك .

— من قال لك اننا قابلنا مستر روبر وتحدثنا اليه عنك ؟

— هذه مسائل يجب أن أعرفها ، فأننى أعرف أشخاصا كثيرين جدا ، وهم يحدثونى بما يجرى .

— هل اخبرك مستر روبر اننا قابلناه ؟

— كلا ، ولكنى اعلم انه كان قلقا لامر ما .

وشدد الضابط الضغط على مسينا فى هذا الموضوع بغية معرفة الشخص الذى افضى اليه بمعلومات كان ينبغى ان تظل معرفتها قاصرة على الشرطة .

وفجأة قال مسينا : لنكن أصدقاء ، فنحن رجال محتكون ولا يمكن أن نتخلف عن الركب . سأقدم لكما غداء شهيا به ديك رومي وشمبانيا . ولم يجب رجلا الشرطة على هذه الدعوة السخية ، ومضى المفتش يسأل مسينا :

— من صاحب هذا المنزل ؟

— أنا .. اشتريته منذ حوالي عشرة أعوام وأقيم فيه منذ ذلك الحين .

— هل تؤدي أى عمل ؟

— كلا .. لأننى مريض لا أفعل شيئا .

— من يقيم معك هنا ؟

— مسز هندن . انها تعد طعام الفداء لنا الآن .

— هل تعلم ان مسز هندن بغي وانها عملت فى شوارع ويست هذه سنوات كثيرة ؟

— يبدو انك تعرف كل شيء عنا .. اننى لا انكر ذلك على كل حال .

— اذن فانت تعلم انها اديننت فى قضايا دعارة كثيرة ؟

— اوه .. نعم .

واستمر المفتش يسأل مسينا عن بغي أخرى اسمها جورجيت بورج وسأله ان كانت تقيم فى عنوان ذكره ، وكان هذا العنوان شقة يستأجرها مسينا ولكنه لم يعد يستخدمها .

أجاب : ليس الآن .. كانت تقيم هناك ولكنها لا تفعل ذلك الآن ، ويمكنك تفتيش الشقة اذا أردت .

وعندما القى المفتش السؤال القانونى الصحيح على مسينا . سأله : نظرا لانك تعيش مع بغي فان عليك ان تثبت انك لا تعيش من كسبها .

ولم يجب مسينا على هذه الملاحظة ، وانما قدم كاسين من الشراب لضابطى الشرطة ، فقبلاهما ، واستمر الحديث .

— اعتقد انك تذهب بمسز هندن بسيارتك كل مساء تقريبا الى « ماخورها » بشارع مادوكس بمايفير ، وانك تعيدها الى هنا في ساعات الفجر بعد ان تنتهى من عملها كىفى .

ومرة أخرى أجاب مسينا : يبدو انك تعرف كل شىء عنا .

وعندئذ تحولت دفة الحديث نحو زوجة مسينا وشئون أخرى . . وفجأة استدار مسينا الى ضابط الشرطة وقال له :

— أريد أن أتحدث اليك على انفراد .

فطلب الضابط ما هون من الجاويش مغادرة الغرفة ، ففعل واغلق الباب خلفه .

قال مسينا : ها قد أصبحنا وحيدين وبذلك يمكننا أن نتحدث بصراحة . انى أملك مالا كثيرا وفى استطاعتى مساعدتك فهل يكفىك مائتا جنيه لتسوية الأمر ؟ .

واخذ الضابط على غرة ، وسأل : ماذا تعنى ؟

فقال مسينا : سأذهب لاحضار النقود .

وقرن القول بالعمل اذ غادر الغرفة ثم ما لبث ان عاد بعد لحظات ومعه رزمتان من أوراق النقد قدمهما للضابط .

وقال : اليك مائتى جنيه يا مستر ماهون . فخذها وسو الأمر بغير أن تتخذ اجراء ضدى .

فأخذ الضابط النقود وتقدم من الباب ففتحه وهو ينادى الجاويش فوستر .

وقال له : لقد قدم الى هذه النقود وطلب منى عدم اتخاذ أى اجراء ضده .

وعندما أقبل الجاويش قال مسينا بضعف : اننى لم أعطيها له . لا ريب انه عثر عليها فى هذه الغرفة .

وبعد ان قدم له التحذير المعتاد بأنه ليس هناك ما يدعوه الى ذكر شىء لا يريد ان يقوله ، لأن كل ما يقوله يجوز ان يتخذ دليلا ضده ومضى الضابط ماهون يقول :

— سألقى القبض عليك لانك تعيش من الكسب غير المشروع لاحدى البقايا وسأبلغ أيضا انك حاولت ارشائى .

واستدعيت مسز هندن من المطبخ ، وحينما أقبلت ألقى عليها
الضابط سؤالين أجابت عليهما بالإيجاب .
- هل تقيمين هنا مع مستر مسينا ؟

- نعم

- فهمت أنك تتاجرين بعرضك وأنه صدرت ضدك احكام كثيرة
لاحترافك البغاء ؟

- نعم

وعندئذ أجرى الضابطان تفتيش المنزل بما في ذلك الخزانة
الموجودة في المطبخ التي عثر فيها - الى جانب جوازي سفر باسم
الفريدو مسينا وهرميون هندن - على مائتين وعشرين جنيهًا من
الأوراق فئة الجنيه وعشرة شلنات ، وحينما سئل ان كان يريد ان
يقول شيئًا عن مصدر هذه النقود أجاب مسينا :

- لست راغبًا في أن أقول شيئًا الآن .

وذهب الجميع بعد ذلك الى قسم شرطة ويمبلي تاركين الديك
الرومي سليبا وزجاجات الشمبانيا وهي غير مفتوحة فوق المائدة ، وفي
الوقت المناسب وجه الى مسينا الاتهام وأطلق سراحه بكفالة على أن
يقدم للمحاكمة امام محكمة اولد بيلى في دورة انعقادها التالية . وحينما
سئل ان كان لديه ما يعقب به على الاتهام أجاب :

- سأجيب امام قاضي التحقيق

- ٢ -

بدأت محاكمة الفريدو مسينا وشهرته الفريد مارتن باتهامه انه
يعيش على الكسب غير المشروع لاحدى البقايا مع علمه بذلك ، ومحاولة
رشوة ضابط شرطة ، امام القاضى كاسلز بمحاكمة الجنايات المركزية
بلندن يوم ٣ من مايو ١٩٥١ وتولى مستر كريستماس همفري اعمال
الاتهام ومستر ج . سكوت هندرسون أعمال الدفاع . وقال المتهم بصوت
جهورى « لست مذنبًا » بالنسبة للاتهامين ، وكان عدد المحلفين الذين
استمعوا الى القضية احد عشر رجلا وامرأة واحدة ، واثناء اليوم الاول
من المحاكمة اعتذرت المحلفة الوحيدة عن الاسهام فى المحاكمة بحجة
المرض وان كان الأرجح ان المخازى التى انحسر القناع عنها فى ذلك اليوم
هى التى دفعتها للاعتذار ، واستمرت المحاكمة باحد عشر محلفًا .

وادلى رجلا البوليس بشهادتهما في لهجتهم الجافة النمطية العادية ، فذكرا كيف رؤيت مسز هندن كثيرا وهى تعمل في «ماخورها» بمنطقة بوند ستريت هـ وكيف انها اتهمت في مناسبات لا حصر لها بالتحريض على الفسق ، وكيف ان السجين رؤى اما سائرا او راكبا معها في هذه المنطقة . وقد دل ترخيص المكان العام « راننج هورس » بشارع دافيس على ان مسينا ومسز هندن عميلان في « البار » حيث كانا يتقابلان كل ليلة قبل ان تذهب مسز هندن « الى عملها » . . . وادلى المفتش ماهون والجاويش فوستر بشهادتهما فيما يتعلق بزيارتهم لمنزل شارع ويمبلى وهى الزيارة التى انتهت بالقبض على مسينا ومحاولته تقديم الرشوة للضابط . وتمسك الضابطان بأقوالهما اثناء استجواب الدفاع لهما ، وان حاول مستر هندرسون استقلال قبول الضابطين لكأسين من الويسكى ، مما اضطر احدهما الى الخروج الى - ما قال عنه قاض مشهور فى قضية أخرى « جزء هادىء من المنزل » . وكان معظم الشهود الآخرين من رجال المصرف الذين استدعاهم الاتهام لتقديم بيان للمحكمة عن الارصدة المختلفة للمتهم فقانوا انها كانت تزداد باستمرار فى فترات منظمة باوراق نقدية من فئة الجنيه والخمسة جنيهات .

وبعد ان ادلى مستر سكوت هندرسون بمرافعة قصيرة حاول ان يدلل فيها على جهل موكله بحقيقة مهنة مسز هندن ، طلب وقوف المتهم فى قفص الشهود . وكان سؤاله له يهدف أساسا الى شرح ثراء مسينا فقال انه حصل على ثروته البالغة ٣٠٠٠٠ جنيه من عمله الناجح فى تجارة الماس التى كان يزاولها فى بلجيكا قبل مجيئه الى انجلترا عام ١٩٣٩ . أما تفسيره لزيادة ارصدة مسينا فى المصارف فلم يكن مقنعا .

- من اين جاءت تلك النقود التى كنت تودعها فى تلك المصارف ؟
- من خزائنى ياسيدى .

واجاب مسينا على اسئلة اخرى وجهها له محاميه فقال انه قدم لمسز هندی هدايا مختلفة من بينها معطف من الفراء ثمنه الف جنيه كما منحها حوالى الف وثلاثمائة جنيه لتضعها فى وصيدها بالمصرف .

- هل حصلت منها على اية نقود ؟

- كلا .

وبدا مستر كريستماس همفرى استجوابه بسؤال المتهم عن

شقيقته بشارع لانتكستر رقم ٣ التى كان يحتفظ بها بالاضافة الى منزله فى هارودين رود ، فأجاب المتهم بأن اياه كان يقيم فى هذه الشقة قبل وفاته ، وان احد اخوته يقيم حاليا فى هذه الشقة ، وان اخاه هذا ، واسمه يوجين ، يقيم فى هذه الشقة مع بفى اسمها سيسى كوهين وشهرتها فىرا جونسون او « فيفين » ، ونفى المتهم بشدة أى معرفة بينه وبين هذه السيدة برغم انها رؤيت معه منذ شهور قليلة فى شارع ساكفيل حيث استلمت منه مظروفا متضخما .

وهنا سأل الاتهام المتهم عن مسز هندن :

— اليست مسز هرميون هندن بفا ؟

— لا اعلم ، والى ان اقيمت الدعوى الحالية لم اكن اعلم ذلك .

— هل تستطيع ان تقسم على ذلك امام المحلفين ؟

— نعم ..

— سبقت ادانتها فى ١٠٤ قضايا .

— لا اعلم .

— الا تعلم ؟

— كلا ..

— اما كانت تذهب الى الويست اند بلندن كل ليلة ؟

— انها لم تغادر منزلى مساء كل ليلة .

فقال الاتهام باصرار : الا ترى ان قائمة الادانات السابقة خير دلائل على ذلك ؟

فأجاب مسينا باعياء : انى لا أعلم شيئا عن الادانات السابقة .

ثم اردف وهو يشير الى المفتش ماهون :

— اننى لم اكن اعلم شيئا عن ذلك الى ان جاء هذا السيد والتقى القبض على واصطحبني الى مركز الشرطة .

— الم تكن تحاكم كل اسابيع قليلة عن «التحريض على الفسق» ؟

— لا علم لى بذلك .

- ماذا تظنها تفعل بعد الساعة الخامسة مساءً ؟
- انها تلازم المنزل مرات كثيرة ، وتذهب الى السينما مرات كثيرة ، وتزور امها مرات كثيرة أيضا ، وهذا هو كل ما أعلمه عن ذلك .
- برغم الادلة التي قدمها ضباط الشرطة عن رؤيتهم لها في الويست اند الليلة بعد الأخرى ، متسكعة في شارع مادوكس ، تقول انك لا تعلم انها بغى ؟
- كلا ، لا أعلم انها بغى — فقط عرفت ذلك من المحكمة الآن .
- لا ريب انها كانت صدمة لك ؟
- نعم .
- وبعد هذا الاعتراف المثير انتقل الاتهام للحديث عن ترتيبات مسيئنا المالية .. سأله :
- لماذا تحتفظ بثلاثة حسابات مصرفية في لندن ؟
- لاننى احب ان يكون لى ثلاثة حسابات مصرفية في لندن ؟
- ام لأن ذلك يجعل من الصعب على من يريد فحص موقفك المالى معرفة ما لديك من مال ؟
- كلا . فى استطاعتهم ان يفحصوا ما يشاءون . يمكنهم ان يجرؤوا هذا الفحص الآن مثلما فعلوا من قبل .
- لماذا تحتفظ بثلاث خزائن ودائع منفصلة بالاضافة الى حسابات البنوك الثلاثة المنفصلة ؟
- بعضها موجود قبل الحرب والبعض الآخر منذ عام ١٩٤١ عندما بدأ الالمان يضربون لندن بالقنابل ولذلك اخترتها منفصلة حتى اذا ضرب احد المصارف بالقنابل بقيت حساباتى وودائعى بالمصارف الأخرى سليمة .
- اذن لماذا استاجرت خزانتي منفصلتين فى سلفريدج ؟
- لأنه لم يكن هناك متسع فى الأولى .
- اكان ذلك لانها امتلات بأوراق النقد من فئة الجنيه الواحد ؟
- كلا ، لم تكن من فئة الجنيه . سلوا هذا السيد عما وجدته فيها .

هل تعنى أنك لم تكن تعلم بأنها تذهب الى ويست اند بلندن كل ليلة ؟

— كلا

— ألم تكن تذهب بها الى هناك ؟

— لا أعلم .. كلا . لا أحد يستطيع ان يثبت اننى كنت افعل

ذلك .. ان هذا القول غير صحيح

وحيث تلى على السجين العبارة التى ادلى بها المفتش ماهون اثناء الحديث الذى دار بينهما قبل القبض عليه من انه يعتقد ان مسينا كان يذهب بالمرأة فى سيارته الى « ماخورها » بشارع مادوكس ويعيدها الى منزل ومبلدون عند الفجر ، كما تليت عليه الاجابة التى نسبت اليه « يبدو أنك تعرف كل شيء عنا » ، ولكنه نفى بشدة صدور هذا القول عنه .

وهنا سئل مسينا عن جورجيت بوج التى اقترضها نقودا والتى اعتادت التردد على منزل شارع ومبلدون فى عطلات آخر الاسبوع ، فاعترف بأنه كان يعرف انها بغى ، ولكنه نفى علمه بسابقة محاكمتها ، وقال انها زارته مرة او مرتين لاقتراض بعض النقود وكن الرقائع دلت على انه كان يعرفها حق المعرفة لان صورا كثيرة التقطت لهما معا فى بلجيكا وعشر عليها فى خزانة ودائعته .. وقال مسينا انه وان كانت جورجيت قد ترددت عليه لاقتراض بعض النقود فانه لم يكن يعرف عنوانها ، وحينما قيل له انها تقيم فى منزل بشارع كنجلي ، وهو العنوان الذى يقيم فيه احد اخوته - اتيليو - ابدى مسينا دهشته ونفى علمه بذلك نفيا قاطعا (١) ، كما قال انه لا يعلم ان هرميون هندن اعطت عنوان شارع كنجلي بوصفه عنوانها فى عدة مناسبات اثناء محاكمتها فى قضايا التحريض .

وسئل المتهم بعد ذلك عن زوجته ماى مسينا المعروفة باسم « مارسيل » ، فاعترف بأنها كانت تقيم مع أبيه بعد مجيئها الى انجلترا وانه كان يبعث اليها بالنقود لتعيش بها ، ثم ابدى دهشته مرة اخرى حينما قيل له انها اتهمت فيما لا يقل عن ١٢٢ قضية دعارة ..

وعاد الاتهام يستأنف الحديث عن قضية مسز هندن ، مما ادى الى تبادل اعجب الاسئلة والاجابات فى هذه القضية الغريبة .

(١) فى ابريل ١٩٥٩ اتهم اتيليو مسينا بأنه يمشى من الكسب غير المشروع لاجل البغايا وحكم عليه بالسجن اربعة اعوام واستطاع رجال الشرطة ان يثبتوا انه جمع من كسب بنى واحدة ٤٠٠٠ ر. جنيه فى عشر سنوات .

واشار مسينا مرة اخرى الى المفتش ماهون وأردف : أوراق من
فئة الجنيهات الخمسة .

— من فئة الجنيهات الخمسة لا الجنيه الواحد ؟

— نعم .

— وهل هذا كله للاحتفاظ بالنقود التي أقتنيتها منذ عام ١٩٣٩ ؟

— نعم . انها تقودى وفي استطاعتى ان احتفظ بها حيثما اشاء .

واخيرا نفى مسينا انه عرض على المفتش ماهون اية نقود لوقف
تحريات الشرطة وقال ان الحادث الذى قيل انه وقع فى المنزل كان
اختلافا ، ولهذا فانه لم يدل بأية أقوال عنه فى مركز الشرطة وقال :

— اننى لا أجيب على أى شخص لا يلتزم الامانة معى .

فقال الاتهام : انتظر الى ان تصبح بين ايدى المحلفين ثم سلهم .
اتظن انهم سيصدقونك ؟

— نعم .

- ٣ -

على اثر نزول المتهم من فوق منصة الشهود صعدت اليها المرأة
التي قيل انه يعيش من كسبها غير الحلال . كانت هرمون هندن بغيا ذات
سجل طويل من المحاكمات يوحى بأنها كانت تزاول مهنتها غير المشروعة
فى الويست اند كل ليلة . . وكانت هرمون قد جاءت الى المحكمة بلا زينة
او بهرج محاولة ايها من يراها بأنها تعيش عيشة منزلية شريفة فى
ويمبلى وانها منصرفه للعناية بامها العجوز وابنها الذى يبلغ من العمر
ستة عشر عاما ، وقالت ان هذا هو سر زياراتها المسائية لمنطقة بوند
ستريت . . واعترفت بأنها تعيش مع مسينا منذ ثمانية اعوام وانه قدم
لها هدايا ، من بينها معطف من الفراء وخواتم وأقراط ماسية . وقالت
ان مسينا اعطاها أيضا حوالى ١٤٠٠ جنيه وان هذا المبلغ دفع فى
حسابها بالمصرف .

فسألها محامى مسينا : الا تزال كل هذه النقود باسمك فى
المصرف ؟

فأجابت متظاهرة بالسذاجة : نعم .

— وهل كان مسينا وحده هو الذى منحك هذه النقود ؟
— نعم .

وبعد ذلك تولى مستر كريستماس همفرى سؤال الشاهدة ، وكانت أسئلة محرّجة بحيث جعلت قصة المرأة تبدو عرجاء . . . وقد كشفت هذه الأسئلة أيضا عن تفاصيل مخزية فى حياة البقى وعن سلسلة طويلة من المحاكمات عن التحريض على الفسق وكثرة تغيير العنوانات التى استلزمته هذه المحاكمات .

— هل توافقين على ان لك غرفة فى منزل رقم ٣ شارع بولم .

— نعم كانت لى غرفة هناك .

— الى متى ؟

— الى ان عرف مستر مسينا ما كنت افعله .

— عندما القى القبض عليه ؟

— نعم .

— الم يقل لك انه يحسن بك ان تتركى منطقتك بشوارع مادوكس ؟

— كلا . انه لم يكن يعلم ان لى اية منطقة بشوارع مادوكس .

— هل كنت تزاولين مهنتك بشوارع مادوكس والمنطقة المجاورة لها كل ليلة تقريبا ؟

— كلا .

— كم مرة فى الاسبوع ؟

— احيانا مرة واحيانا اخرى مرتين وفى بعض الاحايين لا ازاولها اسابيع كثيرة .

فقال الاتهام باصرار : ولكنى اقول انك كنت تذهبين الى هناك كل ليلة .

فاجابت الشاهدة متظاهرة بالكبرياء :

— كلا . انى لا افعل ذلك .

— واقول ايضا ان رجال الشرطة رأوك هناك كل ليلة .

— كلا . . . هذا ليس صحيحا .

فاردف مستر همفري : ١٠٦ محاكمات فى خمسة عشر عاما . .
هل انت جادة فى أن الرجل الذى كنت تعيشين معه طوال السنوات
الثمانى الأخيرة لم يكن يعلم انك بفى ؟ .

— نعم .

— حتى وانت تغادرين المنزل ليلة بعد أخرى للذهاب الى الويست
اند ؟ .

— كلا . لم اكن اغادره .

— ومع هذا فقد رؤى معك فى (بار) رافنچ هورس ؟ .

— لم اذهب معه الى هناك سوى مرة أو مرتين .

— هل صحيح ما يقال من ان الفتاة كانت تستطيع كسب ٢٠٠
جنيه فى مناطق البغاء بشارع مادوكس فى الايام الخوالى ؟ وهل حصلت
على مبلغ ٢٠٠ جنيه فى تلك الايام ؟

— لم يحدث هذا فى حياتى .

— ولا مائة جنيه ؟

— كلا

— ولا فى شارع مادوكس ؟

— كلا

— كم كنت تربحين ؟

— فى الأسبوع ؟

— نعم

وفكرت الشاهدة لحظة ثم أجابت : ربما خمسة عشر جنيها .

فسأل الاتهام : ١٥ جنيها ؟ اعتقد انك لم تكونى ناجحة ؟

فقاطعته مسز هندن : ليس دائما .

— ولكنك كنت تدفعين ايجارا قدره ١٨ جنيها فى الاسبوع .

— بل ثلاثة جنيها .

فقال كريستماس همفري : اعلم أن عقد الايجار بثلاثة جنيها ،
لكن لم تكونى تدفعين ١٥ جنيها اضافية ؟

فاجابت الشاهدة بين شهقات المحكمة : كلا .

— هل تقسمين على انك لم تربحي اكثر من ١٥ جنيه في الاسبوع
بشارع مادوكس ؟ .

— نعم

— وماذا كنت تفعلين بها ؟ .

— كنت اعول امي وابني الصغير ، كما ان لي اخا مريضا كنت
أمدّه بالنقود .

— هذا صحيح . . ان ما كنت تربحينه ذهب كله فيما كنت
تقدمينه من معونات .

ولم تكن الشاهدة تعلم ان المنزل رقم ٧ بشارع كنجلي الذي كانت
تحتفظ فيه بشقة تؤدي فيه (عملها) في احدى الفترات كانت شقة اتيلو
مسينا أخ المتهم ، كما انها لم تكن تعلم ان «مارسيل» البغي التي كانت
تمارس مهنتها ذات يوم في شقة مجاورة لشقتها بشارع بولن كانت زوجة
المتهم : واقسمت على انها لم ترهما معا . . اما عن قصة علاقاتها
بالسجين فقد اكرتها على طول الخط .

— هل صحيح ان مستر مسينا يملك سيارة ؟

— نعم

— وانه كان يذهب بك الى الويست اند في الامسيات التي كنت
ترددين فيها على هذا الحي بسيارته ؟

— لم يحدث هذا مطلقا .

ورفع كريستماس همفري حاجبيه دلالة على فرط الدهشة
وسالها :

— ألم يذهب بك مطلقا الى الويست اند بسيارته ؟

— فاجابت البغي في اصرار : مطلقا .

— اذن كنت تذهبين وحدك الى الويست اند كلما اردت مزاوله
مهنتك ؟

وبدا الالم على وجه مسز هندن امام هذا الاتهام ، واجابت :

— عندما كنت اذهب الى الويست اند مرة او مرتين في الاسبوع،
كنت اقول لمستر مسينا اننى ذاهبة لزيارة امى او لمشاهدة احدى
الافلام السينمائية .

— واين توجد دور السينما التى كنت تترددى عليها ؟ فى الويست
اند ؟

— كلا

— هل كان يعود بك الى المنزل ليلا فى بعض الاحيان ؟

— مطلقا ..

— ألم يكن الاتفاق بينكما ان يهيبء لك منزلا جميلا مريحا في ويمبلى
على ان تؤدي عملك المعتاد فى الليل وتعودى بما تحصلين عليه من نقود ؟
— كلا قطعا .

— ٤ —

عرض القاضي كاسلز الادلة التى تدين الفريدو مسينا وتلك التى
تبرئه ملتزما منتهى العدل والانصاف .

وقال للمحلفين : اذا كنتم تظنون انه لم يكن يعلم ، او من الجائز
انه لم يكن يعلم ان هرميون هندن بفى ، فلن يكون للاثهام الموجه اليه
اساس ولذلك يتعين صدور الحكم ببراءته .. وانما السؤال الحقيقى
هو : هل كان يعلم كل العلم ، او حتى جزئيا ؟ فليس فى هذه البلاد
قانون يعاقب الرجل لانه يعيش مع احدى البغايا وما دام لا يعيش كليا
او جزئيا على كسبها من مهنة الدعارة ، لطالما قلنا فى هذه المهمة عند
نظر عشرات من القضايا الخلقية : ان هذه المحكمة ليست محكمة اخلاقية .
انكم قد لا توافقون على سلوكه وقد لا يوافق عليه ايضا أى رجل محترم ،
ولكنكم لم تجيئوا الى هنا لتقولوا هل كان سلوكه سلوك رجل محترم
ام لا ، وانما جئتم لتقولوا هل هو مذنب من ناحية العيش على كسب
هذه البغى ... فهذا هو السؤال الحقيقى هنا ..

— عليكم ان تتذكروا ان القانون الذى اقره البرلمان يقول :

« اذا ثبت ان رجلا يعيش مع بفى ، او يرافقها باستمرار ، او
اذا ثبت انه يسيطر على اتجاهها او يؤثر على حركتها كبفى على نحو

يثبت انه يساعدها او يحرضها ، او يرغمها على الفسق ... وجب
اعتباره رجلا يعيش من الكسب من الدعارة ما لم يثبت عكس ذلك .

— فعليكم ان تتذكروا ان ثقل الأدلة يكون صحيحا اذا اثبت شيئا
من ذلك او حتى مجرد الاحتمال . ولقد كان هذا هو السبب فيما لجأ
اليه الدفاع من التعرض بالتفصيل لحالة المدعى عليه المالية ..

واستطرد القاضى : لقد نفى المتهم انه كان يعيش كلية او جزئيا
من كسب هذه البغى هرميون هندن .. لقد ذكرت لكم نص القانون
وموقفه من الرجل الذى يعيش مع بغى ، فانه يعتبره شسخصا يعيش
على كسبها سواء كلية أم جزئيا .. هذا هو المفروض .. وقد وافق
المدعى عليه على انه تردد معها على (بار) رننج هورس، ولكن هذه الزيارات
كانت قليلة . وهو ينكر انه كان يرافقها فى الاماكن التى ذكرها ضابط
الشرطة ، وينفى انه اصطحبها بسيارته فى اوائل الليل ، ويقول انه لم
يكن يعلم انها بغى قبل ان تبدأ هذه المحاكمة .

وانتقل القاضى الى الادعاء الثانى، وقال عن قصة مسينا بمحاولته
رشوة رجال الشرطة :

— ان من حقكم بل ومن سداد الراى ، ان تتأملوا شهادة اثنين من
كبار رجال الشرطة ، وبالأخص بالنسبة للمفتش ماهون ، الذى يشغل
منصب وكيل الشرطة وله خبرة بشسئون الشرطة لا تقبل عن
خمسة وعشرين عاما ، وانه لمن سداد الراى ان يطلب اليكم ان تفكروا
فى انه من غير المحتمل ان يتحدر ضابط شرطة لا يهتم من هذه القضية
شئ غير اداء واجبه الى الحضيض الخلقى بحيث ينتزع ٢٠٠ جنيه من
خزانة المتهم ويقول له « والآن ، انى اتهمك بتقديم رشوة لى » .. ان
من حقكم طبعاً أن تفكروا فى هذا الموضوع ومن ثم فان عليكم ان تضعوا
سمعة هذا الضابط المحترم فى كفة ، وان تضعوا فى الكفة الاخرى المدعى
عليه بمنزله الفاخر واسمه المزيف ... كلا . لن أقول ان اسمه « زائف »
ولكنى اكتفى بأن اقول ان له اسما آخر فى بطاقة تحقيق شخصيته وكيف
انه ظل يعيش سبع او ثمانى سنوات مع امرأة بغير ان يعلم انها تمارس
الدعارة منذ ثلاث عشرة سنة .. وهكذا تجدو أمامكم عاملين متناقضين
ينبغى ان تفكروا فيهما حينما تستعرضون الأدلة المعروضة عليكم حتى
يمكنكم الوصول الى الحقيقة الكاملة .

وعندما انسحب المحلفون للتشاور فى حكمهم ، خيل انهم صادفوا

بعض الصعوبة في الوصول الى قرار في ادعاء الرشوة ، اذ انهم عادوا الى قاعة المحكمة بعد ثلاثة ارباع الساعة وقالوا انهم يرغبون في الاستماع مرة اخرى الى شهادة ضابطى الشرطة . وعندئذ قراها القاضى عليهم . وانسحب المحلفون مرة اخرى ، وبعد اثنى عشرة دقيقة عادوا ثانية الى قاعة المحكمة .

وهنا نهض كاتب الجلسة وسال كبير المحلفين :

- هل وجدتم المتهم الفريدو مسينا مذنباً أم غير مذنب في الادعاء الأول :التعيش من الدعارة ؟

- مذنب .

- وهل وجدتموه مذنباً أم غير مذنب في الادعاء الثانى : أى تقديم الرشوة ؟

- مذنب .

- هل وجدتموه مذنباً في الحالين وهذا حكمكم جميعاً ؟

فأجاب كبير المحلفين : نعم يا سيدى .

وعندئذ التفت القاضى كاسلز الى المتهم الواقف فى القفص واصدر حكمه بحبس الفريدو مسينا سنتين وغرامة قدرها . . ٥ جنيه اذا لم يدفعها قضاى خمسة أشهر أخرى فى السجن .

وقال القاضى : لقد جال بخاطرى انه من حيث الصال الامر بشرطة هذه البلاد فان النقود تستطيع أن تفعل أى شىء . انك رجل شرير ، ولقد اصدر المحلفون حكماً سديداً .

وبهذه الكلمات المدوية نزل الفريدو مسينا وشهرته الفريد مارتن درجات قفص الاتهام ليقضى فترة عقوبة استحقها من اعماله القبيحة .

الفصل العاشر

القواد والبغى

٢ - ميكى جلك فى نيويورك

- ١ -

بعد ان احتلت محاكمة مسينا العنوانات الكبرى فى صحف لندن بفترة وجيزة ، بدأ رجال شرطة نيويورك حملة تحريات واسعة النطاق لتطهير مدينتهم من الدعارة . وكانت نيويورك تختلف اختلافا كبيرا عن لندن فى هذا المضمار . اذ فى حين يستطيع العملاء المرتقبون «اصطياد» البغايا بسهولة فى المشارب العامة (البارات) والنوادي الليلية بالمدينتين ، نجد ان بغايا نيويورك يختلفن عن اخواتهن فى لندن من حيث انهن ندر ان يعرضن مهنتهن فى الطرقات . . صحيح انه كانت هناك - ولا تزال توجد - مواخير للطبقات العليا تبعثر فيها النقود ، كالمأخور الذى كان يديره الشرير بولى ادلر ، ولكن هذه المواخير باهظة التكاليف ، كانت اثرا من آثار الماضى . أما اذا اردنا ان نتحدث من الناحية العامة ، فان السواد الأعظم من بغايا مدينة نيويورك من الطراز المعروف بالبغايا « تحت الطلب » فانهن يلتمسن الأسباب لنشر ارقام تليفوناتهن بحيث يستطيع الراغبون فيهن الاتصال بهن والاتفاق على مكان المقابلة ، وهو عادة شقة « الفتاة تحت الطلب » وفى بعض الأحيان يتولى قوادون توجيه « الفتيات تحت الطلب » ويستغلونهن لربحهم الشخصى . ومن تجاوز الثانية والعشرين من العمر عندما قبضت الشرطة عليه . ولكن جلك كان يختلف عن مسينا من حيث انه ينتمى الى اسرة واسعة الثراء لها مكانتها الاجتماعية المرموقة ومع ان دخله المشروع من أملاك أسرته كان صغيرا فى ذلك الحين الا ان آماله كانت كبيرة ، اذ كان من المتوقع

ان يرث عند بلوغه الخامسة والعشرين ثروة قدرها ثلاثة ملايين دولار من صناعة المسلى الصناعى .

وقد قبض على جلك اثناء حملات التفتيش الصباحية التى قام بها رجال الشرطة بمدينة نيويورك واستمرت عدة أيام . اما هو فقبض عليه يوم ١٥ من اغسطس ١٩٥٢ ، وكان يسكن حينذاك فى شقة بالمنزل رقم ٦٥٥ بالشارع السابع والأربعين بايجار شهرى قدره ١٤٧ دولارا . ووجه اليه الاتهام - مع عدد من الاشخاص من بينهم وكيل صحفى عاطل لناد لبللى اسمه دافيونى - بأنه يعيش من كسب البغايا . وفى الوقت ذاته قدم رجال الشرطة اربع فتيات جميلات - ثلاث شقراوات وواحدة ذات شعر احمر - كشاهدات اثبات . وقالت هؤلاء الفتيات انهن عارضات ازياء ويعملن ممثلات فى التليفزيون فى بعض الأحيان . وكانت اصغرهن فى التاسعة عشرة من العمر واسمها بات وارد .

عندما سمع والد جلك بالقبض على ابنه صاح :

- هذا امر مضحك للغاية ، ان ابنى يحب الفتيات الجميلات لا اكثر ولا اقل .

وقال محامى جلك ان حقيقة الامر انه كان ضحية «انثى موثورة» تنكر لها . . وكانت هذه الأنثى بات وارد كما سنرى وكان لديها من الأسباب ما يحملها على الحق من جلك بسبب معاملته لها . اما جلك نفسه فكان يسخر من الموضوع كله ، وحينما افرج عنه بكفالة قيمتها ٥٠٠ دولار قال :

- لا أشعر بأن هناك أى أمل فى اثبات أى من هذه الاتهامات السخيفة .

ولكن هذا لم يكن رأى وكيل النائب العام مستر انتونى ج . ليبلر الذى تولى الاتهام فى هذه القضية ، فقد قال ان جلك والآخرين كانوا يقدمون « الفتيات تحت الطلب » للعملاء ومن بينهم اصدقاء المقاهى والثراة من رجال الأعمال ، وكانت اجور الليالى الغرامية تتراوح بين ٥٠ و ٥٠٠ دولار ، كما كان العملاء يدفعون ثمن الكوكتيل والعشاء ودخول السينما فى برودواى . ولم يكن جلك ودافيونى يعملان معا ، ولكنهما كانا يقدمان الفتيات احدهما للآخر اذا عانى من نقص الفتيات . وقال وكيل النائب العام ايضا ان جلك ربح مبلغا يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ دولار فى ثلاثة أشهر من استغلال جسد بات وارد . ووصفه

بلا مواربة بأنه « مورد نساء » كان يستخدم شقته التي امتلأت بصفوف من صور النساء العاريات « وكرا للرزيلة » .

وبعد ستة اشهر من دفع الكفالة قدم جلك للمحاكمة امام محكمة مانهاتان التي يرأسها القاضي فرنسيس ل . فالنت وتكونت هيئة محلفيها من الرجال فقط ، وعلى اثر افتتاح اول جلسة للمحاكمة امر القاضي بخروج رجال الصحف والجمهور من قاعة المحكمة بسبب طبيعة بعض الادلة ، ثم اعلن ان الجلسة ستكون سرية .

وفي يوم ٢٨ من فبراير ١٩٥٣ ، وبعد ان قضى المحلفون اربع ساعات ونصف وهم يتناقشون في الحكم ، أدانو جلك في ادعائين أولهما « حث وتحريض ودفع » بات وارد وشهرتها ساندرا نستوسكى « على ان تحيا حياة البغى » ، وثانيهما محاولة تحريض عارضة الازياء مرجريت كوردوفا التي تبلغ الثالثة والعشرين من عمرها على ان تفعل ذلك بدورها .

ووصف القاضي فالنت ميكي جلك بأنه « معدوم الخلق منحل الشخصية » حينما حكم عليه بقضاء فترة تتراوح بين عامين وستة اعوام في اصلاحية حكومية .

وحينما سمعت بات وارد بالحكم قالت معقبة : انه حكم مخفف ، لأن عذابه سيقصر على السنتين او السنوات الست التالية اما انا فسأعذب بقية حياتى

- ٢ -

مهما يكن امد فترة العذاب التي كابدها جلك ، فانه لم يقضها في السجن ، لان محاميه بادر من فوره بتقديم التماس بالنيابة عنه على اساس ان القاضي استبعد الصحافة والجمهور في قاعة المحكمة . وقال قسم الراى ان الالتماس صحيح بأغلبية ثلاثة اعضاء الى اثنين ، وامر باعادة المحاكمة نظرا لأن جلك حرم من حق المحاكمة العلنية نتيجة لتصرف القاضي ، فبادر وكيل النائب العام بدوره واستأنف هذا القرار امام محكمة النقض وهي اعلى سلطة قضائية في الولاية ، ولكن محكمة النقض ايدت قرار قسم الراى واعيدت القضية ليحققها القاضي فالنت للمرة الثانية .

ونظرا لبطء الاجراءات القضائية في الولايات المتحدة فان محاكمة ميكي جلك للمرة الثانية لم تبدأ الا بعد انقضاء عامين على محاكمته الاولى . وكانت بات وارد البالغة من العمر واحدا وعشرين عاما هي شاهدة الاتهام الاولى .

وكطلب وكيل النائب العام ، رددت الأنسة وارد حديثا دار بينها وبين جلك عند أول لقاء بينهما .

قالت : قلت له اننى اشعر بالشقاء فى المنزل ، وان علاقتى بأسرتى سيئة ، وشرحت له الظروف ، فقلت : ان أختى كانت تتردى ثيابى دائما فتلطيخها وتمزقها - وما أشبه ذلك من الامور التافهة .. فقال لى « حسنا .. لماذا لا تتركين المنزل ؟ » فأجبت « لا أعلم الى اين يمكننى الذهاب ، واين أستطيع الإقامة ، بل اننى لا عمل ثابتا لى الآن » فقال لى انه سيناقشنى فى هذا الموضوع فى اليوم التالى ..

وقابلت الفتاة جلك فى اليوم التالى ، وشربت معه خمرا حتى ثملت، وقضت تلك الليلة فى شقته ، وقالت انها كانت مندعرة لانها لم يسبق لها ان قضت الليل خارج منزلها ، وقال لها جلك انها تستطيع الإقامة بمسكنه ، ففعلت . وعندئذ سألها الاتهام عما حدث بعد أن بدأت تقيم مع جلك .

قال : هل كان بينك وبين جلك علاقة زوجية اثناء هذه الفترة ؟

- نعم . بعد الليلة الاولى .. فقد مرت الليلة الاولى بدون حب .

ومضت الفتاة تقول ان جلك قال لها ذات ليلة « انك تعلمين اننى احبك حبا جما واننى سأ تزوجك فى شهر مايو عندما احصل على ٢٠٠٠ دولار من اخى شارلس .

- قلت له انه يستطيع الحصول على عمل ، واستطيع انا ايضا الحصول على عمل ، والانتقال الى شقة اصغر ، فقال انه لا يستطيع ان يعيش على هذا النمط .

وهنا قال لها ميكي انها اذا انشأت علاقات بينها وبين الرجال مقابل النقود فانها بذلك تساعد فى الخروج من الورطة الى ان يحين موعد زواجهما . وقالت ان هذه الفكرة روعتها وأثارت فزعها .

- قلت له « كيف تقول انك تحبنى فى الوقت الذى سأخرج فيه

مع رجال آخرين وانشىء علاقات معهم ؟ كيف يمكنك ان تقول بعد ذلك انك تحبني وتريد الزواج مني؟ » فقال : « انى اعلم انك تحبيني يابات، ولهذا فان هذه العلاقات لن تغير من الامر شيئا » .. ولكنى اصررت على الرفض .

واخيرا قال لى ميكي « ليس فى ذلك شيء مشين . فان لى بعض اصدقاء سيقدمون الهدايا لك . وهذا كل شيء . فهل تفعلين ذلك لأننى فى اشد الحاجة الى النقود ؟ كلانا محتاج لها » . واخيرا قلت له : « حسنا .. سأفعل ذلك » .

وذكرت بعد ذلك كيف بدأت تنشىء العلاقات بينها وبين رجال كانوا يدفعون لها اجرا يصل الى ١٠٠ دولار فى المرة . واردفت ان هذا سر ميكي وقال ان مبلغ مائة دولار « عظيم جدا » و « رائع » . وكانت كلما حصلت على نقود ذهبت الى ميكي واعطتها له ، وكان يقول لها : « انه يسدد الشيكات والفواتير بهذه المبالغ » . ومضت الفتاة تقول انها قدمت لعدد آخر من الفتيات ، وكن يقابلن الرجال معا ويتصلن بهم اتصالا جنسيا .

وحينما سئلت كيف غيرت اسمها من ساندرا فيسوتسكى - وكان من الواضح انها بولندية الاصل - قالت انها تسمت باسم بات وارد حينما كانت تتردد على الوكالات المسرحية لتحقيق املها فى ان تصبح ممثلة .

وحينما استجوبها محامى جلك ، صموئيل سيجال ، اعترفت الانسة وارد بأن اول علاقة جنسية لها مع الرجال كانت مع رجل وهى فى السادسة عشرة والنصف من عمرها . وبدأت هذه العلاقة عندما اسقاها الرجل خمرا حتى دار رأسها ثم أخذها الى شقة قال انها شقة اخته وان « اخته ليست موجودة فى المنزل » . و اضافت بأنها كانت تشعر بدوار كبير ، وعندما استيقظت فيما بعد وجدت نفسها عارية فى فراش مع رجل اطلقت عليه لارى وتبين ان اسمه بالكامل لارى جرينيوم .. و اردفت انها كانت تقابله من حين لآخر فى الفندق الذى كان يقيم فيه ، واخيرا حملت منه .

- عندما اكتشفت انك حامل ، هل ذهبت الى امك وقلت لها ان لارى جرينيوم هو السبب ؟

— لم اقل لها فى بادىء الأمر اننى حامل ، واخيرا صارحتها بالحقيقة .

واستطردت ان لها ابنا غير شرعى ، ولكنها لم تتخذ اى اجراء ضد لارى او تطلب القبض عليه .

وعندئذ قدم مستر سيجال صورا فوتوغرافية لبات وارد وهى عارية وفى اوضاع مخلة بالآداب وعرضها على الشاهدة ، فقالت انها كانت ثملة جدا عندما التقطت لها هذه الصور ، ونفت بكل شدة انها قبلت التقاط هذه الصور لاغراض بهيمية ، الا انها اعترفت بانها لم تكن تذكر ماذا كانت تفعله وهى مخمورة .

وكان معظم شاهدى الاثبات اللائى قدمهن الاتهام من البغايا المعروفين ، ومنهم مرجريت كوردوفا التى شهدت بان المتهم حاول اقناعها « بانشاء علاقات جنسية مع الرجال مقابل نقود » .

ولم يصعد جلك الى منصة الشهود ، وأدلى بالشهادة لمصلحة نفسه ، وقنع محاموه بسؤال الشاهدات عن سلوكهن الخاص ، ولفتوا نظر المحلفين الى انه لا يجوز لهم ادانة المتهم استنادا الى شهادة مجموعة من البغايا المحترقات .

ولكن قضية البغاء كانت وطيدة . وتمخضت عما يأتى « ان جلك كان ينفق نقودا كثيرة ، وبحاجة الى نقود كثيرة ، وقد اثبتت الادلة انه كان يحصل على النقود على نحو كان يعتقد انه وسيلة سهلة « العيش من عائد البغاء .. »

وفى يوم ٣١ من مارس ١٩٥٥ ، وبعد مشاورات طالت لأكثر من اثنتى عشرة ساعة غادر المحلفون غرفتهم الى قاعة المحكمة واعلنوا انه تبين لهم ان المتهم مذنب فى ادعاء « البغاء الالزامى » .

— ٣ —

قال القضاى فالنت وهو يصدر حكما على ميكى جلك للمرة الثانية « هذا الرجل الاشعبى ، الدنىء ، مستغل اعراض النساء ، المجرد من كل خلق ، المنحل ، الذى لا يقيم وزنا لأقل مستويات الأدب .. انه عدو المجتمع » .

وكان الحكم الذى اصدره القاضى فى هذه المرة هو قضاء سنتين الى ثلاث سنوات فى الاصلاحية . واستأنف جلك الحكم للمرة الثانية ولكن الحظ خذله ، لان محكمة الاستئناف ايدت حكم محكمة اول درجة، وبذلك زج ميكى جلك فى سجن سنج سنج لقضاء العقوبة التى حكم بها عليه .

وبعد محاولة واحدة غير ناجحة لاطلاق سراحه بكلمة الشرف ، اطلق سراح جلك من السجن بعد أن قضى فيه واحدا وعشرين شهرا . .

وعاش بعد ذلك حياة هادئة مع زوجته الشقراء ، سيلفيا ايدن، التى كانت معه وقت القبض عليه وتزوجته بين المحاكمتين . وظل الزوجان يقيمان فترة من الوقت فى شقة مكونة من اربع غرف فى حي بروتكس بنيويورك .

لعل ميكى جلك كان سعيد الحظ فى لعب الميسر ، لأن من المحقق انه لم يكن سعيد الحظ فى الحب . . فبعد انقضاء عدة اعوام على زواجه تقدمت زوجته الى المحكمة تطلب الطلاق ، واصدرت المحكمة حكمها بالطلاق على أساس ان زوجها يستخدم معها « منتهى العنف » .

فهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٣
الفصل الاول	
تشيستان .. كيف عاش ١٢ عاما بعد ادانته ؟ ! ! !	٦
الفصل الثانى :	
جوردون لونسدل وجواسيس البحرية	٢٧
الفصل الثالث :	
بريان دونالد هيوم، بريطانى حوكم فى زيورخ	٥٧
الفصل الرابع :	
الدكتور ريتشارد مولر طبيب الاستاذ الامانى والسيارة المشتعلة	٨٣
الفصل الخامس :	
رودلف ايفانوفتش آبل استاذ الجاسوسية السوفيتية	٩٥
الفصل السادس :	
محاكمة فرانسيس جارى باورز قائد الطائرة ي-٢ فى موسكو	١٠٩

الفصل السابع :

الدومينكيون وأسرة داروموند ١٤٧

الفصل الثامن :

مازوركفتش – غلام كراكاو العايب ١٦٩

الفصل التاسع :

القواد والبقى الفريدوسينا في لندن ١٧٩

الفصل العاشر :

القواد والبقى ميكي جلك في نيويورك .. ١٩٧

الدار القومية للطباعة والنشر

يتضمن الكتاب عشر قضايا من أهم المحاكمات
التي أحدثت ضجة عالمية في السنوات الأخيرة ،
وتمثل قطاعا شاملا لجميع أنواع الجرائم الدولية
المعاصرة . وقد اكتسبت هذه القضايا صفة دولية
واستحوذت على اهتمام الرأي العام العالمي لأسباب
ودوافع متباينة . وأهم ما يستخلص من هذه
القضايا حقيقة يجب أن يستوعبها المجتمع الانساني
وهي أن المجرمين على اختلاف ظروف المجتمع الذي
يعيشون فيه يكونون غالبا ضحية المجتمع في سنيهم
المبكرة ، وأن على المجتمع أن يعمد الى علاجهم وهم
في سن الطفولة تلافيا لأسباب الانحراف .

الدائرة القومية للطبابة والنشئة

العدد ١١٥

ص

التمن ٢٥

١٩٦٤/٧/١٦